صفحة كُتب
facebook.com/the.boooks

صفحة كتب

الرجاء شراء الكتاب من المكتبات

دعما للكاتب ولكي لا تضيع مجهوداته سدى!

مع تحيات فريق صفحة كتب

www.facebook.com/the.Boooks

فاكِهة مُحرَّمة

facebook.com/the.Boooks

روايـة

فاكهة محرمة

سارة البدري

- الطبعة الأولى.......... سبتمبر 2012
- الطبعة الثانية.......... مارس 2013
- الطبعة الثالثة.......... اكتوبر 2013

الغلاف: أحمد مراد

المراجعة اللغوية: محمد طاهر

رقم الإيداع: 13998/ 2012

الترقيم الدولي: 0 - 21 - 5153 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع محفوظة

3 شارع إدريس - أول شارع الوحدة - إمبابة - الجيزة

هاتف وفاكس: 33100951 (202)

محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing

facebook.com/the.Boooks

فاكِهة مُحرَّمة

رواية

سارة البدري

الرواق للنشر والتوزيع

facebook.com/the.Boooks

إلى رجل الاقتصاد الأول، إلى عظيم استحق دون أدنى ريبة أن يكون عظيمًا، إلى مبدع كان له السبق في فكر راقي، ناهض, وأصبح له الفضل في الكثير... إلى من أعتبره قدوة، لي الشرف أن تكون لي، وأحلم أن تكون للكثير... طلعت حرب، أهدي إليك شكري وتقديري، وإعجابي الذي لا ينتهي.

facebook.com/the.Boooks

(١)

انزاح جفناه عن عينيه العسليتين الضيقتين في تثاقل، رأى السقف، تذكر أين يكون.. شقة المعادي! لابد أن حريقًا داهمًا اشتعل بالأمس، وهو بالأحرى لا يزال مشتعلًا، في منزله الآن.. قلقًا عليه!

قام جالسًا فوق السرير، أغرق العرق ظهر قميصه، شعور بالغثيان.. مختلط بالألم والتيه! أمسكت رأسَه كفاه.. رأسه ملأى بشظايا حلم، تخزها باستمرار، يود لو ينجح في تجميعها والوصول إليه.. لكن كيف؟

من تنبأ للخيال بهذه الدائرة الداهمة المبرحة؟ أن يتحولا كل هذه التحولات التي يرفضها التصديق! وينتهيا إلى هنا، حيث البقعة المجهولة الصماء!!

نظر بغتة نحو طاولة الزينة، وشاحها الحريري لا يزال هناك، قام بصعوبة متحركًا إليه، مسدته أصابعه، التقمته تقربه من أنفه، اجتاح عطرها كل مراكز حسه، لا حق له فيما يزيد!!

تخبره نفسه بذلك وتسأله "أتنسى الحق يا صاحب الحقوق؟"، اعتصر الوشاح بين أصابعه فكأنما أدماه، ألقاه أرضًا في يأس .. حلمه عصيٌّ على الموت.. وعصيٌّ على الحياة !!!

facebook.com/the.Boooks

(٢)

لا أحد يعرف أو يذكر على وجه التحديد، كيف ومتى نشأت تلك المنافسة الضارية بين هذين الرجلين.

"يونس عبيد"، رجل أعمال كبر بنجاح في النصف الأول من التسعينات، بئر خبرة، محاور ذكي يضم مناهضيه إلى صفه بعد جلسة ودية واحدة، وفي ذات الوقت، تجد ملامحه المصرية الخالصة وتجاعيد وجهه المنمقة، يضفيان تلك الهيبة والعظمة التي تغرز أظافرها في حس الطرف الآخر من حيث لا يدري.

مهندس عتيق، يميل للنظرية الاقتصادية "النيوكلاسيكية" التي ترحب بالمستهلك والمنتج معًا، ينقسم الناس في نظره إلى قسمين، مهندسين.. وما غير ذلك!

وتستعر المنافسة هناك.. معرض "دُبي"، حيث يلتقي الإخوة الأعداء، يجتمعان على فرح الانتصار بكبر الحيز المصري هناك، يتفرقان فيما بينهما، في محاولة كل منهما نزع المشعل من يد الآخر، بكل خفة وحرفنة!

تحرك "مهدي عبيد" بعد أن أنهى لقاءه مع جماعة من "Singapore" نحو والده، كانت لفكِّه ضمة قاتمة، مميزة، إذا ما حاول كبت غضبه! طوله المتوسط متسق مع عرض كتفيه الذين ينحيان بأتب خفيف بعد سنوات مضنية من المذاكرة في كلية الهندسة مثل أبيه، قال لوالده بصوت خفيض وأعين طبيعية:

facebook.com/the.Boooks

-أمال عماد الزفت ده بيعمل إيه بالفلوس اللي بندفعها له، لما سابنا نتفاجئ بالـBooth العظيم اللي الباشا هو وبنته عاملينه ده! على الأقل كان يبقى عندنا علم!

ابتسم "يونس"، الذي بدا طبيعيًّا جدًّا وأجاب:

-تقصد يعني الكوبري اللي عامله من أول المعرض لآخره؟ أنا مش عايزك تتوتر يا مهدي، ماحدش هنا ناسي إن أبوك أول مصري حجز أرض في معرض دُبي، خليك واثق في نفسك وفي أبوك، أبوك أسد! بص حواليك كده؟

نظر "مهدي" كما أمره أبوه، وكان يعلم ما يقصده، كل الزائرين فرحين بالحقيبة الجلدية (الترولي) التي زُينت بعلم مصر، ولمع فوقها الـ(لوجو) الذهبي المميز لشركة "يونس عبيد"، شعر بالارتياح، نظر نحو أبيه... كلما اهتز يجده عصبًا صلدًا يسانده ويقيم صلبه، كانوا يطلقون على "عمرو بن العاص" داهية العرب، أبوه بكل ما تحمل الكلمة من معنى هو داهية، وهو أسعد الناس به، ويحاول باستماتة أن يمتص منه الرصانة وثبات الأعصاب اللذين لم يرثهما منه!

هناك على الطرف الآخر من المعرض، كانت "هَيبت فخري" واقفة تشير إلى بعض أفراد الصيانة لإصلاح خيط أعلام مصر الذي بدأ يقع فوق رؤوس

facebook.com/the.Boooks

المارة، بعد أن تدلى من الـBooth الكبير. نظرت لهاتفها المحمول الذي يرن، فزمت شفتيها بضيق وهي تحوِّل كاتم الرنات للعمل، وضعته على الطاولة من جديد. سمعت والدها:

-

هيبي حبيبتي، روحيله، تلاقي الولاد مطلعين عينه! كلها ساعتين ويخلص المعرض – تأففت معترضة - الدنيا مستقرة وبشمهندس يوسف معايا – ابتسم- وجيرانًّا وهزتهم المفاجأة!

-

ولاد إيه يا بابا! حضرتك عارف إن الـBabysitter معاهم! ثم أنا لا يمكن أسيبك في أول يوم! وماضمنش عبيد ممكن يفاجأك هو كمان بإيه! وعشان إيه أساسًا؟ دكتور في الجامعة مش عارف يقعد لوحده كام ساعة؟؟

وضع يده على كتفها بدفء

facebook.com/the.Boooks

-

هَيبت، لازم تعذريه! كتر خير الراجل إنه ساب شغله وجه معاكي عشان المعرض، إنت عارفة أنا بعز سامح قد إيه، ومش عاوزه يزعل مننا، عاوزين نحافظ على الراجل – قبل أن تعترض أصرَّ – عشان خاطري!

أمسكت حقيبتها وتحركت بعصبية للخروج إلى حيث المرآب، عند البوابة أوقفتها الفتاة المُبتسمة لتسليم هديتها، نظرت للحقيبة الجلدية والشرر يتطاير من عينيها، كانت قد نسيت وضع شارة "مُضيف" واعتبرتها الفتاة بطبيعة الحال زائرة، انطلقت كالصاروخ بعد أن ابتسمت لها ابتسامة مصطنعة غليظة! هذا الرجل وابنه سيطيِّران برجًا من عقلها، كلما أوشكت على تصديق أنها بدأت ووالدها في اجتيازهم، كلما أعادوها بفكر ما لنقطة البداية! لن تنسى الحوار الدامي الخفي الذي جرى بينها وبين "يونس عبيد" في السنة الماضية في نفس المكان، وقد أنهى تحياته لها ولوالدها، ثم بدأ في التعليق الماكر حول شركات الاتصالات، وهذا الأسلوب "المبتذل" – على حد قوله – الذي اتبعوه في تعيين أكفأ الموظفين لديهم دون أي مجهود يُذكر في تأهيل هؤلاء الموظفين، وفقط بواسطة رفع الرواتب بشكل جنوني لاجتذابهم! قال

facebook.com/the.Boooks

بأسلوبه المُسيطر:

-

أنا لو وزير الصناعة والتجارة هاحط قوانين تمنع المهزلة دي! مش معقول ييجي واحد يلم أكفأ موظفين السوق في شركته برواتب خيالية، وبعد ما يبنوله الهيكل الرئيسي يستغنى عنهم، ويبقى طبعًا كوِّش على السوق في الوقت ده، وفي النهاية الشركات المنافسة اللي خسرتهم دي، هي اللي علمتهم وربتلهم الخبرة من الأساس!

-

بس السوق مفتوحة للجميع، والحرب بين المنافسين أكيدة يا بشمهندس يونس، والحرب خدعة!

-مه ده اللي سمح للي يسوى واللي ما يسواش، يدخل السوق ويعك فيه على مزاجه! فاهماني؟

facebook.com/the.Boooks

طبعًا تفهمه! لن ينسى لوالدها ما حيا أنه دخل السوق واقتسم مكانه بالشكل ذاته من عشر سنوات! لن ينسى له أبدًا خسارته في موظفين داموا لديه عقودًا قبل هروبهم نحو "رفعت فخري" والحصول على مرتبات وفيرة ومنافع إضافية تخص السيارات، والتأمين الصحي، وحتى المصايف! بينما كان هو يتبع سياسة المرتب المعقول مقابل الدوام والأمان أثناء الأزمات! ليتها تنال منه! ليتها تقدر أن تثبت له أنها ووالدها الآن لهما الأهلية الكاملة للحصول على نصيب وافر من السوق.. لكن كيف؟ كيف يسعها أن تفكر في عملها ووالدها ومنافسها، بينما لها زوج ثائر غضوب؟؟

ركبت سيارتها تفكر بحنق، لابد أن تشكر لهذا الزوج صنيعه المنقطع النظير كل ثانية؟ فيما قصرت أو قصر والدها؟ والدها مثله في النهاية، كل السنوات التي عاشها في "انجلترا" لم تغير من لون مخزونه ولا رائحته!! دعته مرارًا زوجها هذا وقت أن كان مُعيد بكليتها ليعمل معهما في شركة أبيها، لكنه أصر على تكملة مشواره الأكاديمي، لمَ عليها أن تدفع ثمن أحلامه بينما لا يريد أن يدفع هو بالمثل ثمن حلم واحد لها؟ يعرفه كل المعرفة، ليس الشهرة، ليس المال، ليس المجد! بل ألا تتخلى عن والدها ما حيا! لماذا لا يريد أن يفهم؟ ربما ليس فقط لأنها الكبرى بطبيعة الحال، بل لأنها ذات العاطفة الجياشة المستحيلة في زمن كاليوم، كأبيها.. لم تأخذ برود الإنجليز رغم إقامتها الطويلة هناك!

facebook.com/the.Boooks

وصلت للفندق، وكانت تفكر في كل دقيقة أثناء صعودها المصعد ماذا ستُكيل له من تعبيرات الضيق المكبوتة داخل كل شريان بجسدها! فتحت باب غرفتها بالكارت وفوجئت لدى دخولها.. كانت الغرفة مليئة بالورود، ظلت واقفة تسمع انغلاق الباب ببطء خلفها، بينما دخل "سامح" من الغرفة المشتركة التي بها الأولاد والـBabysitter، وبات من الواضح أنه سمع دخولها حيث أنه غير مُفاجأ البتة، تعلو وجهه ابتسامة صامتة، بادرها وهو يقترب منها "وحشتيني".

لم تكن قد ابتلعت الصدمة بعد حينما لف ذراعه حول خصرها وألصقها إليه، نادرًا حين تراه على هذه الحالة، ابتسمت رغمًا عنها وسألت - هو عيد جوازنا ولا إيه؟

ابتسمت شفتاه، وهو يقول بصوته الهادئ - الولاد ناموا، والدادا نامت، وانا لوحدي!

بادلته الابتسام، فكت عناقه وذهبت لتجلس على السرير، وراحت تضع ساقها على ركبتها المقابلة لتخلع حذاءها وجوربها الشفاف، شيء بداخلها ارتبك!

جلس إلى جوارها وهي تقول له:

-

facebook.com/the.Boooks

الأحاسيس الحلوة دي جت على جو دُبي ولا إيه؟

رفع شعرها من فوق الكتف القريب إليه وأخذ يقبل عنقها، يعرف جيدًا كم تحب ذلك.

كان شيطانها حية تسعى! استفاقت قرب الفجر، وتحركت من جواره كي تأخذ حمامًا ساخنًا، فتحت بهدوء الباب المشترك كي تطمئن على طفليها، كم تحبهما! "ليلى"و"فارس". توجهت للمغطس الذي ملأته بالمياه الدافئة والمعطرات وغاصت فيه. لم يعد يُحيِيها ببساطة كما كان، لم تفهم أبدًا إن كان ذلك فيما مضى ضعفًا منها أم تعلقًا به أم ماذا؟ شيء ما انكسر في هذه العلاقة.. وأصبحت آثار الكسر المدببة توجعها كلما آنت تلك العلاقة! وحتى في الحياة العادية، هل تنكر أنها تعجلت في إنجاب "فارس" خصيصًا، كي لا يظل يُذكِّرها أن دوامة عملها الأهم منه ومن طفلتهما الحبيبة، ستحرمهما قطعًا من إنجاب أخ لليلى؟ لم تكن أبدًا على اقتناع! وكانت توًّا قد انتهت من دراسة الـ MBA وتتحرق شوقًا لتُضفي تأثيرها، وتثبت لأبيها ولكل الناس أن "رفعت فخري" أنجب ولدًا! ألا يرى أي نُبل في هذه الرسالة؟ لكنها غيرت الخطط كي

facebook.com/the.Boooks

تُرضيه، وتشفي نفسها من عقدة الذنب التي تكره حملها!

في الصباح أيقظته بقبلة على جبينه، سأل يكمش حاجبيه عن الساعة! اعتدل جالسًا حينما رأى هندامها وسأل عن الأولاد

-صحيوا وخدوا شاور وراحو يفطروا مع آمنة.

-وطبعًا إنت هاتبدئي جولتك من دلوقتي وتسيبيني!

-سامح؟ - بهدوء - مش انت عارف كل ده قبل ما نيجي؟ هم كام يوم في السنة بعمل معاك كده، إستحملني شوية!

-كام يوم في السنة؟ على أساس إني طول السنة لاقيكي قدام عيني أربعة وعشرين ساعة؟؟

-ولو كنت فاضية أربعة وعشرين ساعة! ما كنتش إنت هاتفضالي! – سكت – أعمل إيه عشان تبطل تضغط عليَّ من الناحية دي؟ انت عارف كل حاجة، من واحنا مخطوبين! وأنا باجي على نفسي عشان ما أقصرش! وحتى أهلك! كل خميس بروح لهم مع إني مابيقاش شايفة قدامي، عشان ما أقصرش معاهم، عشان خاطري يا سامح، سيبني أقف مع بابا لما يحتاجني.

-انت عارفة آخر مرة كانت إمته؟ - استقامت وقفتها! - ولولا التحايل والترجي... ولا كان زمان حتى فيه إمبارح!

facebook.com/the.Boooks

-وبابا بقى هو السبب؟ ولا شغلي هو السبب؟

-ماعرفش! إنت اسألي نفسك!

واجهته - سامح! نسيت لما كنت بعيط بالأيام وساكتة؟ نسيت لما كنت بروح دكتور نفسي؟!

نظر للسقف متأففًا، وضعت حقيبتها على كتفها وقالت:

-

طبعًا! بلاش نفتكر اللي بيوجعنا..

عرفت أن والدها اتجه إلى هناك بالفعل، يالوالدها.. "رفعت فخري"، من أوائل المغتربين الذين استجابوا لقانون الاستثمار الجديد، حضر مختارًا مجال تجهيزات الفنادق، وكأنه كان في انتظار أن تلوح له مصر ليعود إليها ويقتل سنوات الاغتراب! لذلك فقد صفى شراكته في Milton Keynes بإنجلترا بحثًا عن ملكية خاصة في أرض الوطن، وقد كانت له تلك القدرة الغريبة على استقطاب الفرص، فقد كان يعشق أخذ المخاطرة لجرأته المعروفة، ولذلك استطاع اختراق السوق بيُسر رغم الحداثة! بشرته البيضاء التي ورثها عن أصله التركي مع شعره الفضي طويل الخصال، ومسكته الدائمة للسيجار،

facebook.com/the.Boooks

أضفيا على شخصه نوعًا خاصا من الجاذبية والبريق، خاصة مع شعب يحب هذا الجمال ويؤثر التعامل مع أصحابه. لكنه في النهاية، شرقيٌّ حتى النخاع!

مرت أيام معرض دُبي عليها مرورًا متعثرًا، لكن ما الجديد؟ فيما يخص منافسهما الأكبر هو وابنه لا جديد... الصراع يحتدم ثم يخبو! وفيما يخص "سامح" أيضًا لا جديد، الصراع دائمًا محتدم!

رن الهاتف المحمول بشكل متصل، بينما هي جالسة تتحدث على هاتف المنزل مع إحدى صديقاتها، أغلقت الخط وأجابت زوجها "مهدي"

-

معقولة يا شيرين! عارفة كروت الفيزا بتوعك جايبين كام؟ عارفة ولا كنت بتصرفي كالعادة بدون تفكير!

-مهدي.. أول مرة تزعق معايا بسبب الفلوس! مالك يا حبيبي!!

-

facebook.com/the.Boooks

لما تصرفي عشرين ألف جنيه في خمس تيام وأنا اللي بصرف على كل حاجة يبقى أكيد فيه حاجة غلط! مش معقولة يا ماما، مش معقول!

ضحكت ضحكتها الناعمة التي دومًا ما تهدئه

-حبيبي دول مش أي خمس تيام، دول أيام في دُبي! ثم كل اللي جبته عجبك، نسيت؟ هدوم البنتين وأساورهم وهدايا بابا وماما، أنا حتى ما جبتش لنفسي غير بالطو وكام إزازة بارفان.

تنهيدته أحرقتها عبر الهاتف، فراحت تزداد دلالًا

-قلتلك ما أروحش معاك، أنكل يونس هو اللي أصر، على العموم... أنا آسفة!

-حبيبتي، أنا مش عاوزك تعتذري، أنا اللي آسف يا ستي، بس أرجوكي..

شوية عقل في المصاريف!

-حاضر! أوعدك، لغاية آخر الشهر مش هاشتري أي حاجة.

أغلق الخط وهو يزفر ضحكة، تقصد حتى آخر الأسبوع! في الحقيقة هو يحب أن يدللها، يهواها كالطفلة الرقيقة تعدو إلى صدره كي تحتمي من الأشرار، هذا ما أعجبه بها، ليس أبدًا بسبب منصب أبيها الهام، فلو لم تعجبه لم يكن ليقبل بها، ولم يكن أبوه ليرغمه، على العكس، ظل أبوه يبحث طويلًا خلف حامل

facebook.com/the.Boooks

منصب حسن السمعة، ولا غبار عليه!!

"كل الخير اللي احنا فيه ده عشان بنتقي ربنا! فلو زعلناه.. نستاهل اللي يجرى لنا.. فاهمني يا مهدي"

ورغم هذا الميثاق الذي حفظه دومًا كوشم على الصدر لا يزول سوى بماء النار، لم يتربَ "مهدي" على الخوف من النار -رغم خشيته الشديدة من والده- بل أحب ربه، لن ينسى أبدًا جده لأبيه، وقد انتهى من صلاة المغرب وهو خلفه يسلم، حتى إذا نظر "مهدي" إليه فوجد الابتسامة الصافية فوق الشفاه التي ترتل التسبيح في همس! ويبادل "مهدي" جده الابتسام، فيعانقه الجد قائلًا "أخذتك معي إلى العمرة وأنت في السابعة، واستطعت أن أجعلك تلمس الحجر الأسود! انت مبروك بإذن الله".

كانت ليلة الأحد الليلة المنُتظرة، حيث تتحدث "هَيبت" مع الطفلين وأبيها إلى أختها في كندا عبر Skype، تبدو "قسمت" سعيدة! وولداها أيضًا سعداء، تكلمهم كل صباح الآحاد من كل شهر بتوقيتها وهي في حديقة المنزل، تلعب مع الأولاد أو تتأهب لرحلة ساحلية أو جبلية أو ما إلى ذلك، الغريب أنها لا تبدو مفتقدة إياهم! بل تبدو راضية هكذا وكل شيء على ما يرام.. كم يبدو هذا طبيعيًّا!! تذكرت أيام الصبا، أيام المدرسة في إنجلترا البيضاء، كانت تركب

facebook.com/the.Boooks

السيارة السوداء خلف السائق، الشتاء قاتل، تنتظر أن تعقبها أختها كي تتدثر بدفئها، "إبعدي عني هيبي!"، بعنف هادئ وثبات غريبين كانت تقول وهي تنفضها بكتفها، لم تكن الأصغر سوى في السن! لكن من يراها ويرى صلفها المخيف يعتقد فيها النضج! "ما علاقة الصلف بالنضج؟" تسخط "هَيبت" داخل نفسها وتشكو والدها أحيانا.." "قسمت" لا تحبني يا أبي! إنها ترفض حتى أن تتشابك أصابعنا أثناء الخروج من المدرسة!"، كان يعاتبها والدها في هدوء، "لا أحد يكرهك يا حبيبتي" ويخبرها بأنها هي ذات الدم الحار، وأختها ذات الدم البارد وعليها ألا تنتظر منها المزيد! وكأنه يُهدئها!! إن ذلك الرد كان يزيدها غليانًا، فلم عليها هي أن تتنازل بينما ليس هناك مجال لتفكر أختها في تحريك عاطفتها -التي من المفروض هي غريزية- نحوها وتقابل تعلقها بها بحب؟؟ لم يجبها أحد!! وحدث ذلك الحدث الصغير الذي بدأ يغير مسار تفكيرها! التقت مُدرسة العلوم "مس ريتمور" صدفة بالعائلة في مطعم صغير على بحيرة willen أثناء إفطار الأحد، كان اسمها "إيميلي"، وكانت "هَيبت" تحبها وتجلها كثيرًا! رغم أنها كانت تسميها "الفتاة الخجولة"، the shy girl، وهي الآن تُدرس أختها الصغيرة في نفس الصف الذي عبرته "هَيبت" بنجاح من سنوات، ابتسمت المدرسة وعلقت للوالدين "تبدو الكبيرة حمقاء (silly)، بجانب تلك الصغيرة الشرسة! كم أخبرتُها أن تكف عن

facebook.com/the.Boooks

خجلها! أما هذه – مسحت على شعر "قسمت"- فسوف يكون لها شأن!"

كم تأذت "هَيبت" لهذه المقولة التي نسيها أبوها تمامًا، وباتت ليلتها تفكر.. إذن أنا الحمقاء الطيبة، ولست الشرسة التي ستصبح ذات شأن!! جميل! لماذا إذن ظللت أظن أنها تحبني وتراني طالبتها المجتهدة المفضلة؟؟ هل أنا حمقاء لهذه الدرجة؟ نظرت نحو أختها النائمة في استرخاء، يتطاير من عينيها الشرر.. لم ترحمها مراهقتها الساذجة الخالية من أي متطلبات! بل لمع نصلها يتوق للذبح! وقررت شيئًا قلب كيانها، ستكون أبرد من الثلج وأكثر صلفًا من الصوان! لن تطلب الدفء مجددًا في بلاد كل ما حولها فيها جليدي! ولن تكون خجلى أو حمقاء أبدًا منذ هذه اللحظة! وسنرى.. من منا سيكون صاحب الشأن!!

ولم يكن هناك من هو أسعد منها حينما علمت بقرار العودة للوطن! ليس لشيء، وإنما لقولة والدها التي حفرت لها بئرًا في عقلها كمنت فيه، بأنها ذات الدم الحار! وها هي عائدة حيث جذور الدم الحار والدفء! وعبثًا ظنت أنه حان الدور على أختها كي تغير من دماء الأفاعي الأزرق الذي يسري في جسدها! لكنها صلدة كجبل صخري، أبدًا لا تلين، واكتشفت سريعًا أن سكوتها لم يكن سوى بياتًا شتويًّا تنتظر صيفه للانفلات والاندلاع حيث

facebook.com/the.Boooks

جذورها الزرقاء! وذهبت هنالك دون ندم، ودون أي تفكير في العودة... أحيانًا تحسدها!

على الشاشة قالت قسمت

-

By the way أنا هاعمل "Abortion" بكرة! حسام مش عاوز خالص! هي أصلًا فعلًا Mistake!

-قسمت! طول عمرك عندك مشكلة من المستشفيات! تروحي برجليكي؟ إنت في الشهر الكام أصلًا!

-

Don’t worry هيبي، take care of dad، وسلامي لسامح، باي.

قامت تغلق الجهاز وتنهدات حائرات يفررن منها

-

facebook.com/the.Boooks

يا ريتها كانت هنا!

-

هيه مش محتاجاكي معاها - مسح والدها شعرها المتموج – هيه أجمد منك.

-هيه تبان جامدة، وبتحب تبان جامدة، إنما أنا عارفة إنها خايفة، ومرعوبة كمان! فاكر؟

-

مش هي اللي اختارت؟

-اختارت؟ نفسي أفهم نوع السحر اللي بيمارسه حسام ده عليها، ومخليها تسمع أي حاجة يقولها بكل الطواعية دي! دي حتى طول عمرها Stubborn!!

-

facebook.com/the.Boooks

هو اللي تسمع كلام جوزها، يبقى ساحر لها يا عمي؟

دخل "سامح" وتعلقت حدقتا "هَيبت" بالسقف، بينما رد والدها بابتسامة:

-لما يوصل الموضوع إنها تسيب أبوها وأختها اللي مالهاش غيرهم في الدنيا...

وسكت! ظلت جملته مبتورة، ربت على كتفه، وشعر "سامح" بالإحراج مما قال توًّا، فنظر للأرض متنهدًا، إن معزة هذا الرجل لديه لعظيمة، وإنه ليخشى من حزنه! قال:

-

ما بدري يا عمي! ما تقعد للسهرة معانا؟

-يابني.. الناس حياتها كلها مشاكل، عشان ما بتحبش أهاليها، بلاش تخلي حياتكم مشاكل، عشان بتحبوا أهاليكم.

أنزل ذراعه من على كتف سامح واتجه للباب وقال:

-

facebook.com/the.Boooks

عاوزك بكرة بدري يا هيبي، يونس عبيد قلب اتنين من المهندسين علينا، وراحوا له.

-هو البني آدم ده عاوز مننا إيه بالضبط! ماه عارف كويس إن بتوع المبيعات اللي سابوه، سابوه برغبتهم بدون ما نستقطبهم ولا حاجة! إيه؟ فاكرنا ملايكة عشان نرفضهم؟

-

لأ طبعًا! هو عارف إن زمن الملايكة انتهى! وعشان كدة عاوز يرد الألم بأي طريقة! بكرة هانشوف ها نعمل إيه، تصبحوا على خير.

تحدث "سامح" إليها برفق، مربتًا على كتفها، يهون عليها كأن لم يكن حامل السياط منذ ثوان!! كثيرًا ما يُحيرها! أبدى دهشته المعتادة لهذه المنافسة الشديدة لدرجة الغرابة! "إشمعنى الراجل ده وابنه بالذات؟"، وذكر أن المجال لم يعد كالسابق! كثرت الورش اليدوية التي تعرض أسعارًا مغرية، وكم كان غريبًا ما ذكره عليها، إذ أين تكمن المقارنة في نظره؟ ذكَّرها ساخرًا، مُحررًا نفسه من ثوب التعاطف الذي بدا مُتهدلًا فوق كتفيه!

facebook.com/the.Boooks

-هيبي حبيبتي، ماه من خمستاشر سنة، مصنعكم ده كان ورشة، ولا نسيتي؟

-يا سامح الورشة اللي في التسعينات ممكن تبقى مصنع! إنما الورشة اللي في الألفيات... هياكلها المصنع، مش انت برده بتدرس الولاد الكلام ده دلوقتي؟!

-ولاد؟ أنا بدرس ناس كبار، وزي ما بدرسهم إن اللي عايز يعيش في السوق دلوقتي لازم يبتدي كبير.. بدرسهم إن الكبير لما بيكبر قوي بيبقى وقوعه سهل!

هي تذكُر جيدًا ماذا كان "سامح" حينما كان يُدرسها معيدًا في الجامعة.. دون خطأ! هكذا رأته وكان يراه الجميع! في الصغيرة قبل الكبيرة، أجمل الخطوط فوق لوح الكتابة، وكأن في أصابعه السحر! أجمل رائحة عطر، ليست نفاذة ولا يمكن تجاهلها في آن! أجمل النظرات من العينين المتعاليتين إذا ما اهتم، أفضل الأساتذة يُشرف على رسالته! طبعًا! صغير السن ذو العقل الفذ! لكتفيه العريضين فوق خصره المشدود هيبة عظيمة، وهناك.. تموت أحلام الصبايا وتمنياتهن.. بعد أن يُبدي البرود! تتنافسن في ارتداء الكعوب العالية كي تظهرن أليق إلى جانبه حينما ينهمرن فوقه سائلات، وكأن النجاح يكمن في مادته فقط! وفوق كل ذلك، تلك المادة الوعرة التي يخشاها الجميع، والتي يذيبها لُجًّا سكريًّا في جوف الطلبة العطشى المتوجسين.. كيف كان لها أن

facebook.com/the.Boooks

تقاوم إعجابه بها؟ وقد كان إعجابًا صخريًّا في البداية، يبعث مع أي نشوة، ريبة في كون الأمر كله وهميًّا من الأساس! بطريقة ما كان يضرب ويلاقي! وتجد نفسها تنسحب نحو دوامته في رغبة مؤكدة لذلك!

حتى حينما تمت الخطبة، طار بها أهله طيرانًا يدفع للنشوة! أمه التي ليس لها رجل سواه، والتي تعلم جيدًا قيمة ما صنعته يداها، أحبتها وارتضتها زوجًا تليق بولدها، كانت محظوظة أيضًا بذلك! كيف لها أن تنكر؟ أخته وزوجها البسيطان، اللذان توجسا منها خيفة في البداية، ثم رأت منهما حبًّا غريبًا لطفلتها الأولى، وكأنما لم ينجبا قبلًا!! كيف نسيت بيُسر مدهش تلك الفوارق المادية أمام ترحيب أُسري دافئ طالما حُرمت منه وتاقت إليه؟ كيف اعتبرت ميعادها الأسبوعي معهم شيء مقدس مثلما طلب "سامح" لا لأجله بل لرغبتها هي بذلك؟ كيف لها أن تنكر كل ذلك؟ كيف؟

فورما فتح الباب حتى شعر بشيء مُتغير.. لديه دون شك حاسة سادسة! أو لعلها رائحة المكان؟ دخل "مهدي" بخطوات هادئة، ووجد ابنته الكبرى "ملك" تركض نحوه مُسرعة "بابا بابا"، عانقت قدميه، فرفعها من على الأرض حاملًا لها يسألها عن حالها وعن أختها "فريدة"

facebook.com/the.Boooks

-

عارف مين عندنا؟ طنت نورا!

تفاجأ حتما! هكذا إذا؟.. ياللمثابرة!

خرجت "نورا" من المطبخ إثر صوته وهي مُبتسمة ذات ابتسامتها، ابتسامة نمرة! لم تتغير! تمر السنوات ولا تتغير، كفَّ عن التفكير في سر تأثيرها وانتهى الأمر! اقتربت وصافحته تنظر لعينيه، بينما نزلت الفتاة عنه راكضة:

-عامل إيه يا مهدي؟.. وحشتني!

-

إزيك، حمد الله على السلامة، إيه أخبارك؟

-

facebook.com/the.Boooks

طبعًا، مانت بقالك كتير بتسافر لما باجي مصر، المرة دي قلت هارتب مع شيرين عشان أشوفك!

وهل هناك أكثر سذاجة من زوجته، سأل نفسه يحاول استكمال رسم الابتسامة، قال يشتت السكون الذي يزحف سمه نحوه - إيه الريحة الحلوة دي؟ لازم محاسن عاملة لنا مفاجأة بمناسبة وجودك!

-

لأ! أنا روَّحتها، دي (أم علي) عاملاها لك بإيدي، منا عارفة قد إيه إنت بتحبها، وفي نفس الوقت ماحدش بيعرف يضبطها لك.. أنا جيت.

وهل يحتا ج وجودك لإعلان؟ تبًّا لهذه العينين الجريئتين اللتين لا تتورعان عن قول أي سهام! صاح مناديًا "ملك!" سائلًا "فين ماما؟"، بهدوء تخبره "نورا"

-بتلبس وجاية! إيه، مش هاتقعد معايا شوية لغاية ما شيرين تنزل؟.. ما وحشتكش؟

جلس.. لن يدعها تظفر بشكله المرتبك. متى آخر مرة؟؟ جلست أمامه واضعة ساقها الرشيقة فوق الأخرى، والحذاء ذو الكعب العالي يزيدها طولًا.

-

facebook.com/the.Boooks

أخبار الطيران إيه معاكي؟ لفيتي العالم ولا لسا؟

-

لسا طبعًا! العالم كبير قوي يا مهدي، قوي! بس عارف، مش قادرة أحس بحد زي إحساسي بالراجل المصري، مش عارفة ليه؟ مع إنه لا أحلى ولا أذكى ولا أغنى الرجالة!

-

يا ستي ماه الراجل المصري ماعجبكيش، وسبتيه في الآخر!

-إنت بتسمي البني آدم اللي أنا كنت متجوزاه ده راجل؟ بني آدم واقف جمب الحيط، أقصى طموحه يفضل موظف بأجر عند ناس هايفضلوا أسياده طول العمر؟

facebook.com/the.Boooks

-

مش عيب الراجل يبقى موظف محترم مدام بيأدي شغله بنجاح! وبعدين هو ده الراجل الوحيد اللي كان في حياتك يا نورا؟ ما العرسان كانوا زي الرز قبله وبعده، إنت اللي مش عاجبك حد!

كم يزلزلها نطقه لاسمها، قالت - أعمل إيه؟ - أحرقته تنهيدتها – مااللي عاجبني سابني، وبقى ولا كإنه شايفني!.. تفتكر ليه؟.. نفسي أعرف إيه اللي حصل؟!

-

يا ملك! – نادى بقوة - روحي نادي ماما، احنا جعنا.

-

مش هاترد عليَه يا مهدي؟

facebook.com/the.Boooks

قام واقفًا يصد إصرارها:

-

مش هاتستفيدي حاجة! عاوزة تعرفي إيه؟ ده كلام فات عليه دلوقتي سنين!

تشربي عصير؟

-أنا مش عاوزة أشرب حاجة! أنا عاوزاك تفضل قدامي كده...

تعانقه عيناها القططيّتين، عناقًا يحاول جاهدًا ردَّه! سمعا صوت "شيرين" تنادي: "مهدي! نورا!"، تراجع كلاهما باتجاه الصوت الذي يتهادى من فوق الدرج، ارتدت "شيرين" عباءة تركوازية اللون مطرزة بالفضة، وفردت شعرها الناعم خلف ظهرها وقد اختارت قرطًا فضيًّا لامعًا طويلًا يتدلى من أذنيها ببهاء، بُهت "مهدي" لدى رؤيتها وابتسمت "نورا" مُعلقة - زي القمر يا روحي!

اقتربت "شيرين" سعيدة تقول - شفت نورا جابتلي إيه؟ أحضر بيها عيد ميلاد ملك؟ إيه رأيك!"

ابتسم وعانق خصرها عن عمد وهو ينظر لها قائلًا - طبعًا ألف شكر لنورا، وانت بجد تجنني، لكن مش هاينفع عيد ميلاد ملك يا شيري، العباية كمها بس

facebook.com/the.Boooks

اللي واسع! وانت عارفة رأيي.

ابتعدت عنه وأوقعت ذراعيه مُعترضة في استياء - إيه بقى؟

نورا: جرى إيه يا مهدي! دي مناسبة يا أخي! إنت لسا زي مانت ماتغيرتش!

-

معلش! هو ده الراجل المصري ياستي، مخه زنخ كده في شوية حجات، وأولهم، إنه مايحبش مراته تبقى فُرجة للكل! –اغتاظ من ابتسامتها الغير مُسببة، ووضع كفه على خد زوجته قائلًا يحدثها – لإنه بيحبها، وبيحب يحس إنها بتاعته لوحده!

بشكل طفولي رجعت خطوة للوراء، وقالت عائدة للدرج تصعده:

-بتقلك مناسبة، ما كل ست نفسها تحس إنها حلوة !

نظر ناحية "نورا" التي تخفي غيظها ببراعة، وقال:

-عن إذنك، لازم أروح أصالحها، طبعًا البيت بيتك.

سمعها وهو يصعد - طبعًا! مستنياكم علشان ناكل سوا.

أغلق "مهدي" خط الهاتف مُهنئًا، ونظر ناحية والده وهو مُسترخ فوق الفوتيه

facebook.com/the.Booooks

الجلدي، يشعر بسعادة حقيقية كلما شعر بالانتصار عليهم! هذا المُتكبر وابنته المُنعَّمة!!

-بس خد بالك يا مهدي، الكلب اللي يربيه صاحبه ويخونه، أكيد.. أكيد هايخون الغريب.

-

عيب يابو مهدي! أنا عزلتهم هناك.. وهاجمدهم عندي، زي لعيبة الزمالك اللي بتروح الأهلي كدة تمام!

ضحك كلاهما أثناء انتظارهما داخل غرفة المكتب حتى يتم تحضير العشاء، نادت "كاميليا" على زوجته "شيرين" التي تصر على أن تُقحم نفسها في كل الأمور التي يمكنها أن تهملها تمامًا، بينما تهمل...

-مش شايفة يا شيري إنك لازم تصالحي باباكي على أختك!

-الموضوع مش سهل يا طنت، بابا طول عمره جامد معانا، ونورا زي ما حضرتك عارفة...

-عارفة! عارفة! مه هي دي المشكلة، بصراحة، مايصحش يا حبيبي قعدتها دي

facebook.com/the.Boooks

معاكم هنا بالشكل ده، هو مش دايمًا بيقدر حبيب قلبي يضبط مواعيد شغله.

-

يا طنت كاميليا دي أختي، مش ممكن يكون...

-لا يا شيري دي مش أي أخت حبيبة قلبي! أسلوبها في الحياة، لبسها، كلها كده مش صح! – أجفلت شيرين – أنا زي مامتك، وأخاف عليكي وعلى إبني، ما انتي عارفة جوزك!

هي تعرف جيدًا أن أسلوب السهر والحرية الزائدة لا يعجب زوجها أبدًا، لكن.. يمكنهم تحملها بالتأكيد! كل الناس لا تفهم أختها الكبرى بشكل صحيح، حتى أبويها، ظلت أختها لسنوات السلطانة، وفجأة لم تجد السلطانة السلطان! لم تجد سوى عبيد من حولها، اضطرت لاختيار أفضلهم كي لا يفوتها القطار، بل ويدوسها ويحشها حشًّا! وقطعا باءت هذه التجربة بالفشل! من يفهم معنى الفشل؟ من يفهم أن تظاهرها بالحرية والنجاح إنما هو طوق كاذب تحيط به نفسها ألَّا يمس كبرياءها مسّ؟ ماذا علَّها تقول للشامتين، ماذا علَّها تقول لنفسها، إذ تكبر وتكبر، وتتضاءل فرصتها لتسمع كلمة "ماما"! وتتكاثر فرص أن تموت وحدها في شقتها الفاخرة بدُبي!!

facebook.com/the.Boooks

على مائدة العشاء سأل مهدي عنها، "هاتتأخر"، مضغ بغضب، قال ضابطًا نفسه أمام أمه وأبيه:

-أنا قلت قبل كده إن النظام ده مش مقبول في بيتي.

-

هي مسافرة بكرة لشرم.. ومن هناك على دبي، خلاص.

فكَّر في حنق.. حقيقي خلاص؟ يا ليت! لا زال مغلولًا لما حدث بالأمس! فهل ذنبه أن أخت زوجته على خلاف عظيم مع والديها وكلما نزلت مصر.. أقامت لدى أختها؟ بل هل هو فرض عليه أن يظل يدفع ثمن ما لم يرتكبه للأبد؟ ومهما احترس، تغلبه في النهاية وتلقاه! تداعب صبره بحدة وجودها؟ تختبر صموده بإصرار لا ينقطع، بالأمس كان عائدًا للمنزل حينما خطر في باله خاطر، ماذا لو طلب من "نورا" مباشرة لو تبيت مع الطفلتين ومربيتهما تلك الليلة مستغلين وجودها كي يذهب مع زوجته لمشاهدة السينما بحفلة منتصف الليل؟ سيخفي عليهما ويحجز لهما ليلة في الـ(Fairmont) أو حتى الـ(Concord)، ويوصلها في الصباح قبل الذهاب للعمل، راقت له الفكرة بقوة! اتصل يرتب حجز الفندق

facebook.com/the.Booooks

والسينما، قبل أن يدخل مرآب منزله اتصل بزوجته، وفوجئ أنها بالخارج مع الأولاد!!

-يا حبيبي الطريق واقف خالص تقريبًا فيه حادثة، كلها نص ساعة وأكون عندك!

-

يعني نورا جوه؟

-

أيوه!

صاح فيها على غير عادته - يعني انت مش عارفة ان مايصحش أقعد أنا وأختك لوحدينا في البيت؟؟ ماخادتوهاش في المدرسة؟

-جرى إيه يا مهدي؟ بقلك غصب عني الطريق! هدي نفسك مش كدة!

-

facebook.com/the.Boooks

ماه على الأقل ياهانم يا عاقلة، تكلميني تبلغيني! وطبعًا وكالعادة نسيتي! أنا قرفت وزهقت من تصرفاتك دي! مافيش واحدة عاقلة تتصرف كدة!

وأغلق الخط! استدار بسيارته وخرج من المرآب، لو لم يكن هاتفها لكانت مصيبة! ماذا يفعل بزوجته تلك والتي تزوجها بنصف عقل؟ ماذا يفعل وقد نسيت تفكر حتى في أبسط البديهيات؟ هي قرب النار ولا تتقي أن تحرقها! الغريب أنه ظل طوال الليل يحاول مصالحة دمعاتها الضعيفات، تشكو بدهشة حقيقية "ما الذي حدث لدرجة أن يصايحها هكذا ؟؟"، وبما علّه يجيب؟

كانت "هَيبت" متوترة أثناء جلسة نفسية جديدة، ولا تطيق فكرة أن تتمدد، قالت:

-

حتى الأولاد، الأولاد كمان، بقوا زي سلاح في إيده، بقيت مركزة معاهم مش عشان عاوزة أستمتع بيهم، مش عشان هم ولادي وبحبهم، عشان خايفة أبقى

facebook.com/the.Booooks

أم مهملة! والألعن، إني باقيت بكدب، بكدب لما يلمسني وأبتسم، بكدب لما آجي هنا وأقول إني رايحه لبابا، بكدب لما أقول إن أسرتي مالية عليه حياتي، وفي الحقيقة أنا محتاجة صحاب!

يُسائلها طبيبها في ترقب عما تحب أن تخفيه عنه أيضًا؟

-

مصطفى!

أجابت بهدوء، ذلك الصديق المشترك بينها وبين زوجها، المرتبط، هي تحب أن تخفي أي اتصال أو لقاء يتم بينهما عنه! لا تدري لماذا ولا تسأل نفسها كثيرًا، قناعتها التامة باحتياجها للخصوصية.. قناعتها التامة بعدم خطئها بهذا الشأن، تكفيانها!

-

هل فيه حاجة لازم تستخبى في علاقتك بالشخص ده؟

facebook.com/the.Boooks

-

دكتور! مانت عارفني من زمان وعارف اللي جرى لي من كام سنة، كان أولى أعمل كدة ساعتها! لازم تعرف إني متربية كويس، يعني مش مجرد احترامي لنفسي ولبيتي هو السبب.. أنا عارفة يعني إيه حرام!

كيف تقنعه بأنها تحب أسرتها، هل يتعارض كلا الأمرين؟ كيف تشرح له، أن كل ما في الأمر هو احتياجها لأناس غيرهم! تحس إنها يمكن أن تلجأ لهم! صحيح أن احتياجًا للعاطفة يتخلله، لكن هذا في نظرها احتياج طبيعي وإن لم تكن له مبرراته!!

-الحقيقة إن أنا بجد وحيدة، وبجد ضعيفة! بجد! –بدأت تدمع- مهما مثلت إني مهمة، وإني مشغولة، أنا مش مهمة بالنسبة لأي حد! تليفوني في الأجازات وبره الشغل، مابيرنش.. ببقى نفسي يرن!.. نفسي!

هي تعرف، للأغنياء ضريبة! وهي غالبًا مرض من الأمراض النفسية! حتى أطفالها الصغار، حبّتيِّ قلبها، تحب أن تنفرد بهم بشكل مَرضيٍّ! تذهب للمدرسة، تطلب رؤيتهم، تعانقهم تقبلهم، تداعبهم، يسألونها في قلق "إنت

facebook.com/the.Booooks

مسافرة يا مامي؟" فتنفي وهي تضحك لتُطمئنهم، تصر على أن توصلهم لفصولهم، تشير فرحة "باي"، وتحب أصابعهم الصغيرة وهي تقبَل شفاههم الصغيرة مُشيرة لها بقبلة طائرة.

كان "مهدي" منتظرًا في سعادة، قالت له "هدير" أنها ستمر عليه اليوم لنصف ساعة لا غير! رحب كثيرًا، تهون كل الأمور لدى حضور "هدير"! دخلت الغرفة مُبتسمة بعد أن طرقت الباب، رداؤها الفضفاض المتناسق يعجبه كثيرًا، يثبت له أنها حقًّا جميلة، رغم أنها حتمًا أقل أخوتها جمالًا! لكن كي تستطيع أن تظهر بهكذا رداء بكل هذه الروعة والبهاء، فلا يدل ذلك إلا على جمال حقيقي، ليس عن مفاتنها يتحدث، إنما هو نور عذب غريب ينبعث من طلتها في أي وقت! لا ينكر أهدابها الكثيفة الرائعة ومالها من إضافة سحرية، لكن الخلاصة، أن لها حضور مميز يجدها معه بهيَّة، أجمل حتى من أختها الأكبر زوجته! طبعًا علمت أن "نورا" عندهم في البيت، فلا يمكن لـ"شيرين" أن تُخفي خبرًا! بعد أن سألها عن أحوال الجامعة وتبادلا بعض الأحاديث، قالت عما جاءت إليه:

-

facebook.com/the.Boooks

هو عاوز ييجي يقابل حضرتك! مقابلة ودية للتعارف، هو عارف إن حضرتك أخويا الكبير، أنا حابه أكون موجودة، بس زي ما تحب!

ابتسم - واضح انه عاجبك قوي عشان تصري عليه بالشكل ده، وانت عارفة كويس الفروق اللي بينكم!- نظرت للأرض مُبتسمة لكن صامتة – طب أنا عاوز أعرف حاجة، هو انت عاجبك فيه إيه غير إنه متدين وشاطر؟ يعني فيه مشاعر؟ الحب مش عيب!

-

طبعًا مش عيب! – أدركت من فورها أن تسرعها لم يكن موفقًا – أقصد أنا عارفة إنه مش عيب، النبي عليه الصلاة والسلام كان أكبر مُحب! ماتخافش، أنا فاهمة قصدك، وماتخافش من اللي في بالك.

-

facebook.com/the.Boooks

إمممم.

كان مُستمتعًا جدًّا بوجودها كله في حياته، لكنه يخشى عليها صغر سنها وبراءتها!

-أنا فعلًا عاوز أشوفه!

-

إمته؟

ابتسم لاندفاعها الشاب - قريب قوي أنا اللي هاقلك أقابله، بس ماتنسيش، أنا لو حسيت فيه أي حاجة غلط مش هاسكت!

-هو عارف إن ده أصعب اختبار بالنسبه له، -ضحكت- أصعب حتى من المقابلة اللي قابلها لماما، أنا قلتله إن رأيك تقريبًا الرأي الأخير في حالة الرفض!

ابتسم في وجهها الملائكي، يود كثيرًا لو يربت على يدها أو كتفها، لكنه يعلم أن لها مقاييس مختلفة لا يريد أن يخدشها! وقف حينما وقفت وأردف:

-هو مش مهم! يهمني إنت، إوعي تسيبي مشاعرك تسيطر عليكي.. إلا لو

facebook.com/the.Boooks

اتأكدتي إنها رايحة للي يستاهلها!

احمرت هذه المرة بعمق، شكرته، سألها ممازحًا - بالنسبة لأمن الدولة..

أطمئن؟؟

صُدمت لوهلة، ثم انفجرت ضاحكة - لأ حضرتك اطمئن، ماتنساش إن بابايا لوا سابق!

اتجهت للباب، لكن، توقفت مُترددة.. نظرت ناحيته دون أن ترفع رأسها..

-قولي يا هدير، أنا عارف إنت عاوزه تسألي عن إيه.

-أنا مش عاوزه أسأل عليها! أخبار نورا كلها عندنا!! أنا.. مش عارفة! وجودها معاكم مش صح يا أبيه!

-

ما انت عارفة رأيي في الموضوع ده وعارفة إن احنا متفقين

رفع كتفيه علامة أن ماذا بيده، خرجت "هدير" تفكر ساخطة.. أي أخت؟ لا تُشعرها سوى بالعار!.. دومًا! فلن تنسى أبدًا أول عام دراسي لها في الجامعة، حينما باغتتها بالحضور لتبارك لها دخول الجامعة، ظلت مشدوهة تنظر لها وهي تقترب من بعيد، تمنت لو أنها تبخرت أو أن أختها تحولت إلى

facebook.com/the.Boooks

سراب! هي تضرب بكل شيء عرض الحائط دون أدنى عذاب ضمير، تعلم جيدًا تدينها، لكن لا تكترث بها أو بغيرها! ما الجديد؟ التفت الغريب والقريب، فهناك نجمة سينمائية ها هنا! ملابسها التي لم تناسب سنها يومًا! الضيقة باستفزاز! شعرها الأرجواني وعدساتها الملونة مع فعل الـ(ماسكرا)! يا إلهي! ولمن الزائر؟ للشيخة هدير! تحركت من بين أصدقائها مُخضبة الوجنات، اتجهت إليها حانقة:

-إنت مش مبسوطة إنك شفتيني ولا إيه؟ ده أنا جاية من المطار على هنا!

-من فضلك يا نورا افهمي، أنا مش لسا في المدرسة عشان حد يجيلي، يقولوا عليكي إيه؟ ولي أمري؟!

منذ متى واستطاعت أن تواجهها بما في نفسها؟ منذ متى وفعل أحد! هي تعلم ضمنًا، لكن أحدًا لم يواجهها! أحدًا لم يجرؤ على مبادلة هداياها غير المُبررة ورقتها المبالغ فيها بالمواجهة! خاصة "هدير"، فأختهما "شيرين" لا تهتم كثيرًا بتلك أمور، أطيب من أن تضع ذلك حائلًا بينها وبين أختها، أجبن من أن تواجهها! لكن من الجبان؟ الذي لا يُدلي بالاعتراض أم الذي لا يُدلي بالاحتقار؟؟ هذا ببساطة ما تشعره "هدير" ولا تقوى على مصارحة أحد! إنها تحتقر أختها، إنها تتمنى لو تتغير نواميس الكون وتستطيع أن تتنصل من

facebook.com/the.Boooks

دمائهما المشتركة! في كل مرة كانت تراها تتزين أمام المرآة وتصر أن تُظهر مفاتنها! في كل مرة تجالس أقاربهم أو أصدقائهم بساق ناعمة عارية تتلذذ بكل نظرة تمسحها مسحًا! في كل مرة، تحب بشكل واضح وغريب أن تخطف الضوء من كل عروس على وجه الأرض! كأنها مسابقة سحق العروس!! كانت سعيدة إذ فشلت فشلًا مُضنيًا كاسحًا في زفاف "شيرين"، وأطفأها الله من حيث لم تحتسب! حتى ذاك اليوم.. اليوم الذي لا يعلم سره سواهما، يوم رأت دموع أختها الكبرى الكسيرة التي نادرًا، نادرًا حقًّا ما تراها! دمع كالسيل! وجه مخضب بدماء مُستعرة، وأعين ذليلة ماتت فوقها الجفون! ذُهلت لها "هدير" كل الذهول، وحنَّت لا تدري من أين! واستقبلها حضنها بأيد ترتجف، تربت، حائرة، تسألها المرة تلو المرة عما بها، ولا تجد سوى النحيب، حتى أنها ظنت ظنًّا ظالمًا غريبًا باغتها بفجاجته! أن أختها قطعًا وقعت في إثم كبير، وهو سبب رفضها الزواج!!

-

لازم تقوليلي مالك؟ مش هاقول لحد! والله ماهاقول لحد!

facebook.com/the.Boooks

كم كانت صغيرة سانجة! تحن للعقرب! وتعد بالكتمان رغم التوهُّم بفضيحة!

ظلت كثيرًا تردد كلمة واحدة، من بين الأنفاس اللاهثة، الباكية "ليه؟.. ليه؟.. ليه؟؟"

وتعانقها الصغيرة أكثر، وتحاول أن تهدئها أكثر! وتخشى أن يصيبها الكمد فيقتلها! لكن للقطة سبع أرواح!

-عشان خاطري تهدي! خدي نفسك طيب!!

-قوليلي يا هدير، أنا وحشة؟ أنا وحشة؟؟

كيف يمكن أن تسألها ست الحسن هكذا سؤال؟؟ كيف يمكن أن يبكي جماله القمر!؟

-

إنت أحلا واحدة فينا يا نورا، وكلنا عارفين كده!

-إزاي؟ إزاي يسيبني ويختارها هي؟ إزاي؟ إزاي؟ وليه؟ سابني ليه؟ ليه؟

ظلت "هدير" تحتضنها وهي تائهة، مُعذبة، ماذا تعني؟ من تعني؟ لم تفهم شيئًا! لكنها على الأقل تأكدت من بطلان الظن! ظلت تمسح شعرها راجيتها أن تهدأ، وما بيدها، وهي صغيرة لا يأتمنها الكبار على الأسرار؟؟ حاولت

facebook.com/the.Boooks

مسح وجه أختها المبلل بالمناديل،حاولت أن تلم خصال شعرها وراء أذنيها فتُدخل لها الهواء! قالت بصوت باكٍ ينوح:

-

المصيبة إني بحبه، المرة دي بحبه بجد! وعاوزاه!!.. ماينفعش يسيبني!.. ماينفعش!

-

هو مين ده؟

-لازم أمنعه! لازم أمنع الجوازه دي بأي تمن! أو.. أو أنتحر أنا! أموت أحسن! أموت أنا أحسن!!

بدأت "هدير" تدرك شيئًا فشيئًا معنى ما تسمعه! كتب كتاب "شيرين" تحدد الأسبوع القادم! من سواها؟ تذكرت سريعًا لقاء العائلتين؟ كيف جلست "نورا" أمام العريس بجرأة غريبة ومن دون أي مبرر؟ كيف أعدت نفسها إعدادًا أقوى

facebook.com/the.Boooks

من كل مرة! كيف عجبت من أمرها حين كانت تأكله بعينيها بنهم قوي سافر، لم ينتبه لها أحد سوى "هدير"! كانت "شيرين" مرتبكة بموقفها الخجول، والعريس غاية في الارتباك أيضًا! ما الجديد؟ تحب دومًا أن تأكل فاكهة التورتة وحدها! لكنها ظلت بعد اللقاء وبعد كل لقاء تصر على "شيرين"، "مش هاينفعك!".. "مخه صعيدي آخر حاجة!".. "أبوه مُتسلط ومسيطرعليه!!"

و"شيرين" تحاورها وتدفع عنه التهم، وتحاول إقناعها أنه بحق شخص طيب! ثم حادث الأمس، فورما رأت الأكواب تتكسر فوق الأرض من يد "نورا" وهي تسمع بخبر حجز القاعة! أيضًا لم ينتبه أحد! جف العناق الحاني فجأة! ابتعدت عنها الباكية، نظرت لها واللعاب يلمع فوق شفتيها ويدها فوق صدرها:

-أنا مش وحشة، أنا حاولت! حاولت أبعده عني، حاولت أبعده عن تفكيري، وفشلت! غصب عني! غصب عني ياهدير!

حينما انخرطت في حضنها غصبًا من جديد، تعلمت "هدير" درسًا.. أن الكبار بمعرفتهم للأسرار، يحملون عبئًا عتيًّا فوق كواهلهم. ومنذ هذا اليوم، تخلت عن أمنية أن تكبر! ندمت على ما علمت وذاقت منه الويل! كانت كمخرج المسرحية الذي ينظر من خلف الكواليس على أبطاله وهم يفسدون العمل دون أن يكون بمقدوره تحريك ساكن! ظلت ترقب والغليان يزداد! تدعو والدعاء يرتد لها

facebook.com/the.Boooks

مُتباطئًا لا تدرك حكمته! ومشهد القطة الكسيرة، وكأنه كان غلطة! أو كأنه كان حلمًا لا يمس الواقع من قريب! تحولت لنمرة شرسة تراوغ حقًّا ليس حقها! وتطلب ملك ما لم يكن أبدًا لها! وصغيرتها العليمة بمكنونها وكأنها لا تراها! والذي حيرها كل تلك الفترة كان "مهدي" نفسه! هو رجل! بل رجل ذكي! بالتأكيد علم! بالتأكيد شعر وفهم! كيف يتصرف حيال هذي الورطة؟ كيف؟ ماذا يفعل كي يقاوم واحدة ويحتفظ بالأخرى؟ ماذا يفعل كي يصُدها أو يجذبها دون أن تعلم الأخرى! لكنها تعلم أنه يصُد! حتى بعد زواجها وطلاقها، والدليل، ذاك الثور الهائج الذي دومًا يطل من فوق رأسها ليل نهار! والذي أبدًا لا يهدأ! وأخيرًا لملم أذيال الخيبة نحو دُبي! كان يومًا حافلًا حينما اصطدمت أختها بوالديها، أيضًا لن تنساه:

-

لو نفذتي اللي في دماغك، البيت ده لا تعتبيه ولا تعرفي اللي فيه أبدًا!

وظلت "هدير" تبكي طول الليل! والحمقاء تمسح على شعرها..

-ماتخافيش عليَ! بعدين أنا هابقى أشوفكم من ورا بابا.

facebook.com/the.Boooks

ليتك تعلمين مما أبكي! أبكي من شيطاني الذي هزمني وأشعرني بلذة محرمة كوني لن أعود مضطرة لقبولك في حياتي من جديد! وكل ذلك كان أمرًا، وحبها العتي للأخ الأكبر الذي حُرمت من وجوده دمًا وليس روحًا كان أمرًا آخر!

تخاف! ترتعب من فكرة أن تنجح أختها في إغوائه!! فأختها تلك، ليست تعرف كثيرًا أبعاد كلمة "حرام"، هي لا تصلي حتى! ويلي من دم تبرأ منه روحي في كل دقيقة أكثر من التي تسبقها! أما "شيرين"... فليست حزينة لأجلها، لا تحب الغبيات الغافلات على كل حال، وربما لو وقفت مع عائلتها ضدها وما احتضنتها، لردتها عن قرارها بالسفر، لكنها دائمًا وأبدًا تبدو مستعدة ومتأهبة لاحتضانها مهما بلغت أخطاؤها، وكأنها لا تحس! وكيف تحس بخطئها ولم تحس برائحة خطرها على أقرب الناس إليها؟!

أخيرًا تقول لزوجها أمرًا بصراحة، ميعادها مع "مصطفى"، وخطيبته!

-مصطفى؟؟ إشمعنى؟؟

-ماله مصطفى؟ عاوزة أتكلم مع خطيبته، فيها حاجة دي؟ وهو هايكون موجود فين المشكلة؟

طبعًا! لا يسع الرجل ذو الأصل الفلاح أن يفرض على ابنة الحسب والنسب معتقداته البالية! لا يسعه حتى أن يدعها تدرك أو تتخيل أن لقاءها خارج

facebook.com/the.Boooks

العمل مع أي رجل لهو شيء يضايقه! يخنقه! يرفضه كل الرفض!! بل وحتى في العمل، هو يقبل ذلك على مضض، لكن من يتحدث؟ الفلاح أم دكتور الجامعة؟ هل نسي كيف كانت آراءه لتلاميذه عن الحرية المتكافئة للجنسين طالما أن الاحترام موجود؟ هل نسي كيف هزأ من الدكتور العظيم ذي اللحية حينما كان يفصل الفتية عن الفتيات في المدرج؟؟ كيف أخبر زوجته تلك وقت أن كانت طالبة تنبهر بكلماته أننا على مشارف القرن الواحد والعشرين وأن من يتجاهل تلك الحقيقة لهو محسوب على الموتى؟

-يعني إنت دلوقتي بقيتي مُصلحة اجتماعية؟ وليه إنت بالذات؟

-ليه مش أنا بالذات؟ - تنهدت – سامح، إنت مش ملاحظ إنك بقيت بتخنق تصرفاتي بدون سبب مُقنع؟ please يا سامح.. مرة واحدة ماتحسسنيش إن اللي بعمله بيضغط عليك بشكل أو بآخر، سيبلي مساحة، زي ما انت عندك مساحة!

هناك في city stars رحبت "هَيبت" بهما بحرارة، بدت "صفى" غير راضية.. مما؟؟ وبعد سؤالهما عن الأحوال وحكايات مُختصرة عن طفليها لتلطيف الجو، بدا أنها ستبدأ الحديث في الجد! لم تعد "صفى" تطيق السكوت! قالت مرة واحدة:

facebook.com/the.Boooks

-أنا عاوزه أعرف حاجة واحدة، على أساس إيه ممكن نناقش حاجة تخص مستقبلنا معاكي؟

احمرت واحمرَّ "مصطفى" غضبًا، قال - صفى؟ إنت وافقتي نتقابل كلنا، عشان تقولي كده؟ لو كنت أعرف، ماكنتش أحرجتها، ولا أحرجت نفسي!!

صُعقت "هَيبت"، ثم أصرت دون مبرر أن يتركهما "مصطفى" قليلًا، لم يكن وحده من تذمَّر، "صفى" أيضًا اعترضت! لكنهما رضخا في النهاية. قالت "هَيبت" بهدوء:

-انت طبعًا عارفة ان سامح جوزي صديق مصطفى.

-أنا مش عيلة يا هَيبت مش عارفة إيه اللي بيحصل حوليه، أنا عندي تمانية وعشرين سنة! وفاهمة كويس الراجل اللي قدامي بيفكر إزاي.. فاهمة لما يكون مش كله ليه لوحدي!!

استقامت ملامح "هَيبت" في صدمة، لكنها أجابت برصانة:

-

أنا محترمة صراحتك، أنا كمان مابحبش اللف ولا الدوران! واضح إن

facebook.com/the.Boooks

مصطفى حكى لك كتير عني، - زمت صفى شفتيها بقلة صبر - بس ماقلكيش حاجات مهمة قوي، حكى لك مثلًا إنه فضل يعرفني تلات سنين وإحنا أصحاب بس؟

نظرت "صفى" نحوها كأنها تختبر مدى صدقها أو مدى دقتها! أردفت الأخرى:

-طب قالك إن هو اللي عرفني على جوزي، وكان ناقص كمان يشهد على العقد!

تحولت نظرة الريبة قليلًا...

-

صدقيني يا صفى، لو حاجة من اللي في دماغك موجودة.. على الأقل كنت أنا هاعرفها!

ظلت "صفى" صامته بعد ضحكة "هَيبت" الساخرة، ووجدت "هَيبت" نفسها تقول:

-ليه لسا أصدقاء؟ لأن الظروف خلتنا على صلة بدون انقطاع حتى بعد التخرج، جوزي، وكون مصطفى خطب واحدة صاحبتنا قبل كده، وبعد شوية

facebook.com/the.Boooks

الواحد بيعد الناس المحترمين حواليه يلاقيهم قليلين قوي، فيتمسك بيهم قوي!

صمت.. لكن عينيها تتكلمان، وفي الحقيقة تفهم "هَيبت" لغتهما وتجيب!

-

أنا مثلًا، نفسي تشدوا حيلكم، وتتجوزا وتخلفوا، ونلاقي صحاب نروح معاهم chili's!

رقت "صفى" أخيرًا لابتسامتها، وتنهدت في حيرة، مما شجع "هَيبت" على المواصلة، هدف اللقاء

-صفى، كفاية كده، إنت عايزه إيه بالناس؟ وأهلك عاوزين إيه أكتر من فرحتهم بيكي؟ ما تأجلوش تاني بسبب الفرح والقاعة، العمر بيجري.

-

مصطفى بيتلكك!

-

facebook.com/the.Boooks

وماله، إنت ثبتيه! مافيهاش حاجة لما انت اللي تثبتيه، مدام هو معدن! يبقى اشتريه! قولي لمامتك الكلام ده ومشوا الموضوع بقى! ولو بيتلكك.. ماتسيبيلوش حجة، وهاتوا ولاد وادخلوا في دوامة الحياة.

سألت "هَيبت" نفسها ألف مرة وهي عائدة للبيت، لماذا قالت لصفى أشياء.. ليست على أدنى قناعة بها؟ لم تحب يومًا أن تكبر المرأة فقط لتتزوج، أو أن تتزوج فقط ليكون لها بيت لتنجب! ولا يسمح كبرياؤها أبدًا بوضع كوضع صديقتها، لكن.. ليس كل الناس أصحاب رسالة! وليس كل الناس "هَيبت"! فتاة مثل "صفى" يكاد القطار يدهسها كما دهس من هو أفضل منها! رجل مثل "مصطفى" أكمل الخمس والثلاثين حتى أصبح جاهزًا لزيجة محترمة، كم أيضًا عليه أن ينتظر ليكون أبًا، ولا يُحرم من حق بسيط في أن يكون رب أسرة، حتى لو كانت أسرة عادية جدًّا! سألت نفسها "وأنت يا هَيبت؟ هل تعلمين شيئًا عن سر مصطفى؟ هل تنكرين إحساسك به وإحساسه بك والذي كان يعبر مسامك في وقت ما؟"، وأجابت نفسها،أي إحساس أكبر من الاحتياج لصديق يدفع المرء لتيسير ارتباطه واستقراره؟ جم ارتياحها منذ دقائق، كانت أن نجحت أمامه في رأب الصدع، وقامت أيضًا بدور صديق

facebook.com/the.Boooks

وفيٍّ على أكمل وجه!

في الكافيه القريب من مقر الشركة جلس "مهدي" يحتسي القهوة وهو يتابع مكالماته الهاتفية التي لا تنقطع، حاول فتح E-mail مهم من البلاك بيري غير أن الـAttachment غير قابلة للفتح! فكر أنه كان لابد أن يأخذ Laptop خاصته في جميع الأحوال، فها هي ذي المدعوة "سلمى" لم تحضر! كيف تتأخر على ميعاد رجل مثله؟؟ لماذا وافق على مقابلتها خارج مكتبه على أي حال؟؟ هو ليس بارعًا كثيرًا مع النساء! يتقي شرهن ويود لو يمر أي أمر مرتبط بهن سريعًا وبسلام، فهو على قناعة تامة أن كيدهن عظيم!! كان لابد أن يرضخ، فلن يترك فرصة كتلك – مع صغرها – كي تمر دون أن يكون له السبق فيها، يشعر بسعادة كلما تخيل تلك المغرورة وأباها يصدمان ويفاجآن ولا يلبثان يتابعانه!

-

مستر مهدي؟

facebook.com/the.Boooks

قام واقفًا ليصافحها وهو مذهول! جلست أمامه وهو غير مصدق.. بدت صغيرة جدًّا في السن، أو على الأقل أصغر مما توقع!

-قبل ما تقول أي حاجة، لو حضرتك بصيت ورا ضهرك هاتلاقي في ماسورة مية انفجرت وموقفة الشارع تمامًا! أنا آسفة جدًّا!

-أنا كنت متأكد إن فيه سبب قوي، صوتك متغير جدًّا عن التليفون يا آنسة سلمى – ضحكت – يا ريت لو نبدأ على طول علشان..

قاطعته - عارفة، طبعًا عند حضرتك مواعيد كتير وأنا عطلتك بما فيه الكفاية.

ابتسم بهدوء يحاول أن يكون لطيفًا وأكد قولها بهزة رأسه، قالت مبتسمة أيضًا:

-شوف يا مستر مهدي، أنا ماليش في جو التفاوض بتاع رجال الأعمال، وعلشان كدة هادخل في الموضوع على طول، بصراحة هو مافيش ريپورتاچ ولا حاجة!

كمش حاجبيه بشكل أخافها، وكانت على علم بما يمكن أن يحمل معه أي رجل أعمال من هيبة، حتى لو كان صغيرًا في السن كالرجل - المصري حتى النخاع- الماثل أمامها، مع ذلك ارتعد شيء في أطرافها، سمعته يقول وقد ظهر جليًّا كيف يحاول أن يكبت صاروخًا من لسانه...

facebook.com/the.Boooks

-إنت جاية تضيعي وقتي ولا إيه؟ يعني إنت أصلًا صحفية ولا إيه بالضبط؟؟

-يا فندم هدي نفسك، طبعًا صحفية، وجايالك في حاجة أهم من الريـپورتاچ!

-

قدامك خمس دقايق، لو ماعجبنيش اللي انت بتقوليه، هاتحرك فورًا، ومش عاوز أقولك رئيس الجرنان بتاعك هايعمل فيكي إيه!

-

أنا كنت بعمل تحقيق صحفي عن حضرتك، وعن المنافس الأول ليك، طبعًا حضرتك فاهمني.

-

وبعدين؟

-في الحقيقة كنت عاوزة أجيب أصل كل واحد فيكم، إزاي كبرتوا، وإزاي

facebook.com/the.Boooks

جمعتوا ثروتكم، وإزاي بدأت المنافسة الشرسة اللي ماحدش عارف سببها الحقيقي لغاية دلوقتي! – لم يجبها، لكن ظهر الاهتمام داخل عينيه الضيقتين – المهم وانا بتابع البحث ده وبكل دقة، لإن طبعًا حضرتك عارف إن جريدتي مش أي جريدة! وانا ورا الأصل والفصل اكتشفت سر ممكن يقلب موازين الدنيا، بالنسبة لكم طبعًا!

-

سر؟ - ضحك مبتعدًا بعنقه للوراء، ثم نظر إليها قائلًا – سر إيه بقى ياستي؟ استاءت "سلمى" قليلًا، وآخر ما توقعته هو أن يستخف بما ستخبره به، كما أن ذلك ليس من المصلحة في شيء، فقد يبخس قدر العمولة كلها!

-

طبعًا المجتمع كله فاهم إن كاميليا هانم تبقى والدة حضرتك – اكتست ملامحه بجدية – وأنا طبعًا عندي أوراق بتقول غير كده!

facebook.com/the.Boooks

اعتدل في جلسته مكشر القسمات "هو ده بقى السر؟" وأشار من بعيد للنادل كي يحضر الحساب...

-يا آنسة أنا مش شايف في المتابعة لحياة الناس الشخصية أي شطارة، واذا انت فاكرة إن ده سبق صحفي ولا حاجة تبقي غلطانة، أنا لا ممثل، ولا أمي الله يرحمها كانت شخصية مشهورة.

-حضرتك مش مديني فرصة أتكلم، أنا جيتلك إنت مخصوص بدل ما كنت أروح لمدام هَيبت فخري!

-

ومدام هَيبت فخري دخلها إيه بالحدوتة دي؟؟

جاء النادل وأخذ الحساب، وانتظرته حتى ينصرف قبل أن تكمل، ليس فقط للخصوصية، بل لتثير شغفه، نظرت إلى النادل كأنها تتأكد أنه ابتعد، وبدأ "مهدي" ينفذ صبره، قالت بهدوء كمن شعر أن الكرة في ملعبها:

-

facebook.com/the.Boooks

حضرتك تعرف إيه عن حياة رفعت فخري الي فاتت؟؟

لوى فمه - عادي، كلنا عارفين إنه كان مسافر برة، واتجوز واحدة إنجليزية أظن، وبعد ما اتوفت جاب البنتين وجه على هنا، عندك جديد؟

-مش أي جديد، مدام هَيبت كمان مش بنت "سالي" الإنجليزية! اتضح إن رفعت فخري كان متجوز واحدة قبلها، وهي أم هَيبت، السؤال هو مين الست دي؟ الست دي تبقى نوال عاطف عبد الحميد العايدي!

مال بظهره ناحيتها - نعم؟

نظرت حولها تتأكد ألا متابع لهما حولهما، ثم أشارت له بيدها أن يهدأ...

-أنا ماكنتش مصدقة زي حضرتك برده، قلت ده أكيد تشابه أسماء...

وقبل أن تكمل قاطعها:

-إيه اللي انت جاية تقوليهولي ده؟ إزاي مافكرتيش يا آنسة إن ده على أقل تقدير صدفة مالهاش أي معنى؟؟ أنا عمر ما حد ضيع وقتي زيك!

-تشابه أسماء ممكن، طب والعمر؟.. تشابه أعمار؟؟ لو راجعت السجل المدني.. هاتتأكد!

سكت دهرًا يسترجع ما تقوله حرفًا حرفًا، لا يمكن أن تكون هذه هي الحقيقة بأي حال!

facebook.com/the.Boooks

-

بعد الطلاق من والد حضرتك، اتجوزت والدة حضرتك من رفعت فخري، في الإسماعيلية، والظاهر انهم سافروا فورًا، وبعد وفاتها اتجوز سالي.

يَعرف أن والدته من الإسماعيلية، تذكر كلمات والده أثناء صغره "أمك سابتنا، سابتك ومشيت عشان مش قادرة تستحمل ظروفي! سابتك عيل عندك تلات سنين!! إوعاك تجيب سيرتها قدامي ولا تسأل عنها!" ، في الوقت الذي بحث عنها كثيرًا حينما كبر ولم يجد لها أي أثر! لم يكن لها أي أقارب ليلجأ لهم، لكنه لم يجد لها شهادة وفاة!! فهل ماتت فعلًا في الخارج؟ في إنجلترا؟

همس - مستحيل!

-تأكد إني قبل ما أجيلك إتأكدت من كل معلومة أنا بقولهالك، وجبت لحضرتك نسخة من كل الأوراق اللي تثبت كلامي علشان تشوفها على مهلك! – لا يرد – لازم تتأكد إني مش بضيع وقتك ولا حاجة، وأكيد مش عاوزة أضيع مجهودي.

facebook.com/the.Boooks

(٣)

ظل في سيارته يقود دون أن يرى سوى شبحا للطريق، الأفكار تحصد له أي تعقل قبل حتى أن ينضج! كيف ذلك؟ كيف؟ كان قد هاتف المحامي ليقابله على الفور في أقرب نقطة، لابد أن يبدأ في نفي هذه المهزلة وبأسرع وقت! لابد! لا يمكن أن تكون تلك الصغيرة التافهة على حق! لا يمكن! أكيد هي تريد بعض المال، وإلا لما ساومته؟؟...

- مستر مهدي، أنا جيت لحضرتك ليه؟ فكرت.. يمكن تنفعل عليّ هَيبت فخري وتفقد أعصابها معايا، ويمكن على ما تقدَّر صحة الموقف يكون الخبر طار زي الكحول! إنما حضرتك، أكيد ها تتقبل الموضوع بشكل أهدا، وتقدَّره بشكل أفضل – ضاقت عيناه أكثر مستفسرًا – عاوز تتأكد؟ براحتك، حقك، لكن طبعًا حضرتك عارف سبق زي ده ممكن يرفعني إزاي في الجريدة، وزي ما حضرتك شفت، أنا لسا جديدة وصغيرة، في ثانية اسمي هايضرب، لما بقى أختار أضحي بكل ده.. يبقى إيه؟

طبعًا! تعلم أنه يريد سكوتها! هذا إن صح ما تدَعي!! ولم يكن لتهديده إياها بفضح السر أي تأثير، بشكل جليَ هي تريد المال.

- أكيد انت عارفة لو لقيت السبق الصحفي ده، بقلم أي حد! هايحصل إيه؟؟ ولا بتفتكري ده كلام أفلام؟؟

facebook.com/the.Boooks

- يافندم بيني وبينك، زي ما حضرتك قلت.. إنتم مش ممثلين ولا سياسيين، الخبر هايهزكم أكتر ما هايهز المجتمع، اللي بره المجال الصناعي مش هايكون عنده فكرة! وتأكد، إني ممكن قوي بعد ما أأمن نفسي، ألاقي سبق تاني يرفعني إعلاميًّا، وأكيد مش هايرفعني ماديًّا!!

صغيرة لكن جريئة، لعلها فرحة الفوز بمادة! هو يعي تلك الفرحة كل الوعي! سألها بكل اختصار "كام؟"، كتبت له رقمًا على ظهر الورق أمامها، رفع حاجبيه في البداية، ثم فهم أنها تفهم جيدًا قيمة ما تحمله! وفهم أيضًا أنها لا يمكن أن تكون وحدها، وتخيل الناس وهم يقرءون خبرًا مماثلًا، والضجة التي ستحدث! ستنقلب أمور كثيرة في السوق، لن يصدق أحد أنهم لم يكونوا على علم، سيدخلون في دوامة، هذا غير الألسنة التي ستتناولهم والقيل والقال! وأشياء أخرى ليست له دماغ ليتوقعها الآن!

- مين معاكي؟ وقالك تطلبي المبلغ ده؟ - ارتبكت، ليس من الصدمة، بل من فطنته، وإلا كيف أصبح إذًا بهذا النجاح؟ – قولي على طول، خلاص مابقاش فيه حاجة تستخبى، ثم شريكك ده أحرص على الفلوس منك، لإن طلبه في محله.

- زميلي في الجرنال... وخطيبي، ماحدش ليه أي مصلحة، وحلني، على

facebook.com/the.Boooks

ماحد غيري يفكر يكتب في نفس الموضوع، لإني طبعًا هاكتب فيه برده، نتفق الأول، وبعدين نكتب الموضوع سوا.. حضرتك قلت إيه؟

في الحقيقة أعجبته! كل ما فيها من جرأة ومخاطرة وذكاء أعجبه، لكنه الآن ليس بصدد تسجيل شخصية جديدة في حياته، إنه بصدد التفكير في مشكلة متفجرة على حين غرة، صادمة بحيث تشل حواسه حتى عن استيعابها ! لا يجب أن يعلم أي أحد بهذا اللقاء! والده ربما يزداد حقدًا وكراهية لوالدته المتوفاة بمجرد طرح الفكرة! يتمنى لو يصارحه، يتمنى لو يسمع منه أكثر ماذا كان الأمر فيما مضى كي يحدث كل ما حدث؟ لكن.. لا يهم الآن! المهم هو كيف سيتصرف، المحامي الخاص أمين جدًّا ، يمكنه وبكل ثقة أن يوظفه للإتيان بحقيقة الأمر ! بل وسيوافقه تمامًا في أن يخفي هذا الأمر عن والده ولو مؤقتًا ! يجب أن يدرس تداعيات الموقف بكل دقة وهدوء، قد تزلزل الهزة أسهم الشركة كما حدث مع غيره! فبالتأكيد الأمور الشخصية تؤثر، وليس كما ظنت تلك الصحافية الذكية المُبتدئة!.. معقول؟ أتكون الصدفة بكل هذه الغرابة؟! الغريم قريب؟ لن يسمح بخطأ قديم غريب أن يعبث بالماضي والمستقبل، يجب أن يرسل غدًا إيميل للاستشاري الاقتصادي "مانفريد كولنز" صديق والده، سيطرح التساؤل كأطروحة يريد معرفة حلها ، لن يتخيل أبدًا أنه يتحدث عن نفسه! يجب أن يعرف ماذا سيحل لو فُضح الأمر فجأة؟ مهما كانت النتيجة

facebook.com/the.Boooks

تافهة!

الوقت يمر، وانشغالاته تأخذه فينًا وتتركه لهواجسه وتخوفاته على أعماله ووالده فينًا، فقد ثبت الأمر! الكارثة ليست وهمية، وليست تخيلية! دفع ما طلبت "سلمى"، وأخبرها بهدوء مُحذرًا ببساطة.

- أي لعب منك هايعرضك لقضية رشوة! المحامي أكيد شرحلك.

لكنه يعلم أنها لن تفعل.. حدس داخلي قلما يُخطئ أخبره بهذا! قرأ المقال المقترح وعدل به أيضًا "بفلوسي!"، وأعجبته الصيغة النهائية قبل النشر.

وسيكون خبر إمضائه لأول سلسلة فنادق في "رأس محمد"، موحيًا بما فيه الكفاية أن كفة "يونس عبيد" هي الراجحة! بل في الحقيقة سيكون ضربة عتية تخرق ضلع منافسهم، كيف يأتي هذا الرفعت، ويعتقد بهذه البساطة أنه سينافس الأسد المتربع في مخدعه آمنًا مطمئنًّا منذ زمن بشكل قد يقلقه؟ ويحوز على المرأة الوحيدة التي ما كان يجب أبدًا أن يحوز عليها، أمه! وتنتعش "هَيبت"، وتتدلل في بلاد الغرب، وهو اليتيم ذو زوجة الأب! كيف؟

دخلت سكرتيرته مقاطعة مُعتذرة - مدام هَيبت فخري يا بشمهندس.

ابتسم، الريپورتاچ، الضربة أحدثت صداها - ماتحوليهاش عندي، قوليلها إني

facebook.com/the.Boooks

مسافر.

- لا يا فندم، دي برة، وعاوزة تقابل سيادتك بشكل مُلح.

لماذا اهتز؟ - تنتظرني في غرفة الاجتماعات وأنا جي فورًا.

- ولا غرفة اجتماعات ولا حاجة، أنا مش هاخد من وقتك كتير...

قام واقفًا أمام تقدمها الجريء نحوه، صافحها مشيرًا لها كي تتفضل، طلب لهما القهوة دون أن يسألها، وأشار لسكرتيرته ألا مكالمات. كعادتها، أنيقة إلى حد ملفت. النظارة الشمس ترفع خصلاتها العسلية من حول وجهها وتُظهر بوضوح القرط المتدلي من أذنيها الصغيرتين. قميصها الزيتي بنصف أكمام، يزين ياقته وشاح صغير ذهبي، يُظهر ألمعية في توظيف النفس! سألها عن أحوال والدها مؤكدًا أن ترسل له التحية، لم تكن أول مرة يلقاها عن قرب، لكن في غرفة مغلقة.. وحدهما، بالتأكيد هي المرة الأولى!

- مصر الجديدة كلها نورت!

- توقعت إنك تحاول الاتصال طول الفترة اللي فاتت.. والغريب إن ده ماحصلش!

لم تكن تنظر إليه، وأزاد هذا من حيرته، ماذا تعني؟ دخلت القهوة، أمسكت فنجانها بهدوء، ثم ارتشفت منه سارحة، تأخر الصمت دون أن تنظر أو تتابع،

facebook.com/the.Boooks

قال:

- مش فاهم، ليه توقعتي كدة؟

- غريبة! البنت الصحفية.. فهمتني إنها راحتلك قبلي!

بنت الـ...! قالها في نفسه، ازداد مؤشر العصبية التي يحذره منها والده دومًا! فهمت "هَيبت" كل شيء في هذه اللحظات، في الحقيقة هذا ما جاءت لأجله خصيصًا، لتفهم كيف رأى الأمر. قال:

- أول مرة حدسي يخوني في بني آدم! بالذات نسبة ذكاؤه.

- بالعكس، دي ذكية جدًا، لأنها كدة ما نقضتش العهد، لسا الموضوع سر، مه بالتأكيد أنا كمان مش عاوزة حد يعرف، وبالتأكيد هادفع!

- ممكن أعرف سبب الزيارة إيه بالضبط؟ - لم يكن يرى وجهها، ابتسم بسخرية – هاتتازل عن نص صفقة راس محمد عشان القرابة الجديدة وكده؟! نظرت إليه أخيرًا، لكن.. كأنه يراها لأول مرة! عينيها تنضح بشيء لا يفهمه، شيء ربما هو آخر ما يريد أن يفهمه! شيء مع سكونه... يتحرك، يتنفس، يقفز منهما قفزا!! قالت:

- هو حكاية الأخوَة دي.. مالهاش أي معنى عندك؟

- أيوه.. إيه المطلوب؟!

facebook.com/the.Boooks

أكّدت تستفز دواخله دون أن تدري "إحنا.. اخوات!"

- فإيه؟

قال هادئًا في محاولة يائسة لاستيعاب مقصدها، زفر بسخرية، نظر بعيدًا بداخله دهشة، نظر ناحيتها من جديد، لا تُغير نظرتها! عاد بظهره للوراء، كمش حاجبيه، ماذا تريد؟؟ أعادت بنبرة أكثر رقة:

- إحنا اخوات!

هب واقفًا - الإخوة الأعداء! لأ طبعًا مالهاش أي معنى! –ابتلعته عيناها المحدقتين في ذهول- ..عاوزة توصلي لإيه؟ الشيء الوحيد اللي بينا مش موجود أساسًا! مات واندفن! – كاد يتأثر من تغميض عينيها المُتألمة – ودلوقتي اللي فاضل أبويه وأبوكي، اتنين بيكرهوا بعض! واحنا كمان بنكره بعض!! عاوزة إيه يا مدام؟؟

قامت مثله هي الأخرى تواجهه - أنا عمري ما كرهتك!

- والله؟ شيء نبيل قوي منك، لكن أنا بقى كرهتك! –ضاقت حدقتاه – عارفة انت بالنسبة لي إيه؟ واحدة فاكرة نفسها كبيرة قوي، أكبر بكتير من الحقيقة! كل العز اللي انت فيه ده إنت وأبوك ورثتوه، لكن أنا تعبت مع أبوية كتير عشان نوصل للي احنا فيه دلوقتي، طلعنا السلم زي ما بيقول الكتاب، طبعًا انت

facebook.com/the.Boooks

ماتعرفيش ده أنهي كتاب!! وبعدين جايين وبكل بساطة عاوزين تكبروا معانا وتبقوا ند لينا، بأي حق؟ دايرين في كل مكان تتكلموا على مكسب وخسارة، كلام وهمي، وتحدي مغرور! - سند كفيه على مكتبه - لكن أنا هاكمل مسيرة أبويه، وعمري ما هاسيبلكم الفرصة دي! أبدا! فاهماني؟؟

جلست تعبة حائرة - إيه دخل البزنس في حاجة زي دي؟؟

- يا سلام! يعني خلاص! نسيتي كل الصراعات اللي كانت بينا؟ وفجأة بقيتي حمامة سلام؟؟

- حتى لو اللي بتقوله ده صحيح.. - ابتلعت ريقها - فيه حقيقة أكبر مننا ظهرت لنا! المفروض إنها تقلب الموازين!

- بالعكس! – لمعت عيناه كنصل - كرهي ليكي زاد! أبوكي أخد أمي.. من بين كل ستات الدنيا، اختار أمي، يمكن لو ماكانش خدها كانت رجعتلي! لكنه شخص اتعود ياخد كل حاجة! حقه وحق غيره!!

- مش صحيح...

- لو سمحتي! من غير أي نقاش! أنا وانت نعتبر كإننا ماعرفناش حاجة، وأكيد مش عاوزة تقولي لأبوكي زيي تمام، أصل الطينة مش ناقصة بلة! وأظن، مافيش حاجة تاني تتقال.

facebook.com/the.Boooks

قامت دون أن تنبث، فتحت الباب، واختفت! لم تكن تصدق أن هذا ما يفكر فيه! أيام وأيام وهي على صفيحة من نار! أيام تكتم سرًّا بات كأفعى ضارية تنهشها وتدمي جدار قلبها تريد أن تفلت للنور! تفكر ما سيكون رده، تتخيل بلا أي قاعدة للتخيُل! فقد رمت لها الكلمة وهي تتحرك مُبتعدة من أمامها "على فكرة، هو عرف قبلك!"، وكأنها تنذرها! وكأنها رأت في عينه الشرر يتطاير وتوقعت شرًّا! الإخوة الأعداء؟ هذا ما خلُصت به من عبث الأقدار بي وبك؟ أي حقد؟؟ أي حقد دفين هذا الذي تحتشده داخل صدرك يا "مهدي"؟ أي قلب ميت جعل من كلمة "أختك" طافية فوقه بلا أي وزن؟ أي قلب يا "مهدي"؟!

وصلت مرآب شركتها، الدموع أفسدت وجهها، لن يرحمها والدها إذا ما رأى احمرار أنفها؟! دخلت نحو حمام مكتبها أولًا، ثم خرجت على استدعائه لها، كان متهللًا على غير عادة، قال من خلف مكتبه:

- مش هاتصدقي باباكي عمل إيه، مش بيقولوا عليه الأسد؟ باباكي هايموت الأسد ده بأزمة قلبية! – جلست أمامه دون حماس – أتاري رئيس اللجنة التنفيذية للمشروع صاحبي وحبيبي من زمان، ولا كان يعرف إني جيت مصر، ولا بشتغل في المجال ده أصلًا، وبكرة عندي معاد مع المالك، عاوزين كل الأوراق الخاصة بمشروع راس محمد تبقى جاهزة الليلة دي! إيه ده؟ إنت مش فاهمه اللي بقولوا ولا إيه؟ مش قايمة تتنططي من الفرحة يعني!

facebook.com/the.Boooks

- يا حبيبي، على حد علمي إنهم مضوا مع عبيد خلاص! It's over

- عقد ابتدائي، عقد ابتدائي يا هيبي وممكن يرجعوا فيه! وهايرجعوا فيه إن شاء الله، أنا ناوي أديلهم خصم يشل تفكيرهم، إن شالله أطلع كيت!

- بس احنا عمرنا ما عملنا كده يا بابا، ليه حضرتك مُصر على مشروع زي ده هايوقفلنا كل حاجة تانية، وفي الآخر نطلع كيت؟ specially إنه مش بتاعنا!

- الله! مالك ياهَيبت؟ أنا قلت انت هاتبوسيني من هنا ومن هنا؟ هو مش كفاية ان اسم بالحجم ده يتكتبلنا في Reference list؟

- أيوه بس احنا عمرنا ما أخدنا حاجة من بق حد، ولا الأسد! إحنا خدنا ال Opportunity وخرجنا برة! واحنا مش مضطرين نغير مبادئنا عشان خاطر حد!

- لاه! إنت النهاردة مش هَيبت بنتي خالص، أنا بقول تروحي تشوفي وراكي إيه، وتروحي بدري النهاردة، وسبيلي الموضوع ده خالص. ok؟

التفت نحو أوراقه، قامت نحو مكتبها تجرجر أحزانها المتزايدة، ليست بحاجة لجرعة حقد زائدة تحقنها في وريد "مهدي".

****

facebook.com/the.Boooks

جلس "مهدي" على كرسيه المريح متكئًا على كتفه، ينظر للفتى المهندم الجالس أمامه بإعجاب يحاول إخفاءه قدر المستطاع! "حمزة"، ليس شابًّا ينقصه النضج كما ظن، بل يافعًا مثقفًا منظمًا، كان سعيدًا باختيار حبيبته الصغيرة، وكان في الواقع مستمتعًا بالحديث إليه عن مواضيع المجتمع. بعدما أمن جانب شخصيته، انتقل للموضوع مباشرة!

- قلتلي ان والدك مقاول، الشغل عامل إيه معاه؟

- الحقيقة، في الفترة الأخيرة دي مش مستقر خالص! يعني هو اضطر يبطل يحاول مع الشغل الحكومي لأنه بيخسر لامحالة! وطبعًا العلاقات، برده مش مصدر مستقر، شوية فيه شوية لأ... يعني!

تعجب "مهدي" من جرأته التي اكتست بثقة غير مُبررة في النفس! وكان هذا هو الجزء الذي أجفلت لديه "هدير" بعد الابتسامات! تابع "مهدي"

- طب إيه مصدر الدخل الرئيسي للبيت؟ ما تزعلش من صراحتي، أنا أكيد ماليش الحق في سؤال زي ده لو.. ماكنتش جي طالب بنتي!

- أبدًا أنا فاهم، بصراحة فيه مصدر دخل جانبي فعلًا، شقة كبيرة في الزمالك بنأجرها للأجانب، يعني، ورثناها وكنا خلاص أخدنا على منطقتنا ففكرنا نستثمرها، طبعًا فكرنا نبيعها ونعمل مشروع، بس كذا رأي موثوق فيه

facebook.com/the.Boooks

أكدوا لنا إن التأجير أفضل وأضمن وكده، وبس!

رفع حاجبيه محركًا رأسه بالإيجاب

- إمم.. طب كنت عاوز أعرف، يعني بما إنك مهندس معماري، مافكرتش إنك بعد التخرج تساعد والدك وتكبر مكتبه مثلًا!

- أنا ماعنديش مشكلة في التعامل مع والدي والحمد لله، إنما الفكرة إني حتى لو فكرت أشتغل معاه فأنا عاوز أفيده وأرفعه وأتخطى الغلطات اللي فاتت، صحيح أنا عندي علم، إنما ما عنديش تطبيق! فلو اشتغلت برة هاستفيد من system قائم فعلًا.

- لكن هدير فهمتني انك فاتح حاجة شخصية فعلًا.

- فعلًا! مكتب صغير شرك بيني أنا واتنين صحابي، من دلوقتي بنفذ مشاريع للدكاترة ولشوية قرايب كدة من هنا وهناك، يعني عشان نتعرف بدري بدري، - قبل أن يتحدث مهدي أكمل – فاهم حضرتك بتفكر في إيه، ليه هانشتغل موظفين واحنا معانا مكتب؟ إحنا فكرنا لقينا ان احنا في بداية حياتنا عندنا التزامات كبيرة زي الجواز وغيره، فلازم يكون عندنا دخل ثابت مضمون وده من الشركة اللي هانشتغل فيها الصبح، وشركتنا الشغل فيها بعد الظهر.

- مش كتير قوي كده؟ يعني انت كده مش هاترتاحوا، مش هاتشوفوا الدنيا

facebook.com/the.Boooks

وانت لسا شباب وكده.

- لما سألوا الحج محمود العربي عن أسرار نجاحه، قال ان وهو شاب كان بيشتغل ستاشر ساعة في اليوم! وفعلًا لو حضرتك فكرت تلاقي كل العلامات اللي في بلادنا، واللي كبروا بمجهودهم، تلاقيهم كافحوا وفهموا الدنيا عشان يوصلوا، أو طبعًا السكة التانية اللي مالناش فيها والحمد لله.

ابتسم "مهدي" وقال - انت عاوز تطلع زي محمود العربي يا حمزة؟

ابتسم بالمثل مجيبًا - طبعًا، نفسي! وهاكون إن شاء الله.

قام "مهدي" وصب من الغلاية قهوة من جديد - حلو قوي الكلام ده، قللي يا بشمهندس، شقتك فين؟

سكت كلاهما سكوتًا مفجعًا، نظرت "هدير" له لكنه لم يكن ينظر إليها، ثم ظل "مهدي" ينظر لكليهما كل على حدا مرة! ثم قال - إيه؟ في حلوان ولا إيه؟؟

- أنا ماعنديش شقة لسا!

حافظ "مهدي" على رد فعله إلا أن عرقًا أزرق برز فجأة في جبهته، فعرفت "هدير" أن المفاجأة سحقته! جلس، ارتشف، ثم نظر له - وبعدين كمل! مافيش شقة لسا... لكن؟

- في الغالب هانبدأ حياتنا في شقة إيجار، لحد ما أحوش مقدم شقة في حتة

facebook.com/the.Boooks

من المناطق الجديدة، وبعد الاستلام ننتقل لها، وأدفع أقساطها مكان الإيجار لحد ما تخلص الأقساط!

ابتسم "مهدي" ابتسامة مصطنعة، قال أخيرًا:

- شوف يا بشمهندس، كلامك جميل، بس الأفعال لسا! وأكيد أول سنة بعد التخرج ها تورينا حجات كتير، ولا سنة قليل؟ - سكت حمزة أمام السؤال الذي ليس سؤالًا - ساعتها برده هايكون كلامنا على أرض صلبة، ولا إيه؟

أجابه برأسه متوترًا، نظر "مهدي" لـ"هدير" وسألها إن كانت جاءت بسيارتها أم يكلم لها السائق، سألهما أن ينتظرا للغداء معه، اعتذرا منه وشكراه، وانطلقا، بادرت "هدير" وهما في المصعد:

- ممكن تقعد ورا، أوصلك ونتكلم؟

- لأ! بعدين، عاوز أبقى لوحدي شوية.

لم تُلح، تعرفه إذا ما تكلم بنبرة مماثلة، اختفى فورما عبر الشارع، ظل يمشي على قدميه في شوارع مصر الجديدة، قالت له "هدير" أن له من الهيبة ما يُربك محاوره، استعد، لكنه لم يستطع منع القبضة التي تمكنت من معدته طوال الوقت! رجل مختلف فعلًا لم تبالغ، لكنه ليس خاله في النهاية ليتلقى له الأعذار! هل قصد بسؤال "هدير" عن سيارتها أن يُذكره أيضًا بسيارة والده

facebook.com/the.Boooks

التي أحيانًا ما يأخذها؟ ماذا لو كشف كذبه أيضًا!... ماذا لو علم أن شقة الزمالك كانت شقتهم يومًا قبل أن يتأزم والده تمامًا بعد حرب الخليج، والذي كان قد أغناه يومًا، واضطر الوالد للنقل إلى منطقة متواضعة بالعباسية، بالقرب من عمل أمه دكتورة الجامعة ومدرسة أخته الجديدة المتواضعة! ماذا لو علم أن أباه لا يعمل منذ سنين، وأنه يساعد في البيت مع أمه في احتياجاتهم؟ ماذا لو علم؟ هل طلب العلا حينما أحب "هدير"؟ لكنه كان قبلًا مثلها! في مستواها! كان طبيعيًّا إذن أن يتجاذبا كقطبي مغناطيسين! لكن ما الذي يمكن أن يقدمه لها من في مثل ظروفه؟ أن تُشعره أنها سعيدة بكفاحه ولا تريد من أوجه الدنيا شيئًا، هذا لا يعني مطلقًا أن أهلها لا متطلبات لهم! وهو الرجل! الشقة، العفش، الأجهزة، الفرح، شهر العسل!! إذا كان أخاها الأكبر فكر، صديقها المقرب.. فكيف لن يفكر والداها؟؟ أكان عليه ألا يطمع، وأن يمنع عاطفته إلا من فتاة بسيطة تجده "لقطة" هي وأهلها؟ أكان عليه أن يتخلى عن طموحه في مستقبل كالذي عايشه من قبل حينما كان قاطنًا للزمالك؟؟ كان عليه أن يتخلى عن حلمه بأطفال نظيفين في مدارس محترمة أقاربهم محترمين؟ لكنه يعمل ويجد! لكنه يحفر الصخر ولا يقبل الهزيمة، أيراه "مهدي" كذلك؟ أم يراه فأرًا مقتنصًا لقلب الفتاة بنت الناس وطامعًا في مركز أبيها؟؟

عاد لمنزله، سأله أبوه أن يذهب بالسيارة للميكانيكي فقد تعطلت من جديد!

facebook.com/the.Boooks

زفَّت له أمه خبرًا سعيدًا، أحد زملائها في الكلية ابنه سيتزوج ويريد مهندس ديكور لتصميم العفش والشقة، وسألته ضاحكة عن عمولتها، رأت في عين ابنها ما لا تعهده! سألته على انفراد، هي صديقته، أجابها أنه مكبوت! أجابها بما يدور في نفسه مما هو حقه وليس حقه، ابتسمت له ويدها على شعره، وإبهامها فوق جبينه تحاول مسح عبسته الحزينة...

- طبعا حقك يا حبيبي، مش بتشتغل؟ مش بتتعب؟ مش بتشقى؟؟

نظر لها يشك في أنها مجرد "تشجعه" ! تابعت...

- مابتشفش الشباب اللي يوميًّا سهرانين على الكورة؟ مابتشفش اللي بيتلموا على القهوة ولا الـplay station ؟؟ طب ما بتشفش اللي بيلوموا أهاليهم على حظهم ويقعدوا يندبوا؟

- يا ما فيه ناس تعبت ووقعت على مافيش!

- إوعى تقول كده! – نظر لسبابتها أمام شفاهها – إنت مؤمن يا حمزة! يعني ربك ظالم؟

- أستغفر الله! أول مرة.. أول مرة أحس إني قليل الحيلة! ماشفتيش يا ماما شركة جوز أختها!

- بعد الشر عنك من قلة الحيلة يا حبيبي، فاكر لما ستك عينيها تعبت

facebook.com/the.Boooks

واحتاجت عملية مستعجلة؟ والفلوس معانا ماكفتش؟ كنت طالب في سنة تالتة، لكن لقيت معاك وسديت ولا لأ؟؟ مش ضروري كل الاخوات يبقوا في نفس المستوى، مع إني بقلك أهه، في يوم من الأيام شركتك هاتبقى أكبر من شركته.

ابتسم مُستكبرًا حلمها، فأجابته

- إفتكر دايمًا النبي وهو بيطمن أبو بكر.. إن الله لن يُضيِّعنا!

قبلت رأسه - حقك تحلم على كيفك مادام بتكسر الصخر في سبيل الحلم ده، قلبي وربي راضيين عنك ليوم الدين!

فكر كثيرًا، وضعت أمه ثلجة في قعر قلبه المُستعر! رنت له "هدير" كثيرًا، أجابها أخيرًا، ظلت تهدئه، وتخبره عن المقصد وراء الحوار، وتخبره أنها لها حديث مع زوج أختها، فقد صُدمت تمامًا من مقصده، ولم يدر بخلدها أبدًا أن شأن الشقة كبير لهذه الدرجة! فـ"مهدي" نفسه هو وأبوه من العصاميين! قال لها:

- كلام الراجل منطقي جدًا، تأكدي إني مش هادخل بيتكم غير وأنا جدير بيكي!

- يعني إيه؟ مش فاهمة؟

- يعني هانبقى أصدقاء، وهاقدر أشوفك لحد ما نتخرج... وبعدين يحلها

facebook.com/the.Boooks

ربنا!

أغلقت "هدير" الخط وهي ساخطة، ابتغت الصواب وأعلمت أعز ذويها كي تكون في النور، فانقلبت الطاولة عليها! أرادت محادثة "مهدي".. لكن سيكشف صوتها الباكي، سيتهمها بقلة النضج وسيتهم مشاعرها بالسفه، لن يقول ذلك صراحة، تعرف أنه لا يجرحها أبدًا، لكنه سيفهم ذلك! وأخيرًا قررت إرسال ميل إليه، تعرف أنه يفتح جهازه يوميًّا...

- حضرتك عارف اني مابعملش حاجة غلط! وعارف اني قصدت تتعرفوا عشان أفضل ما بعملش حاجة غلط، وآخر حاجة توقعتها ان حضرتك تكون السبب في بعد اتنين محترمين بتربط بينهم علاقة بريئة وكل اللي تمنوه ارتباط مقدس عند ربنا!

قرأتها مليًّا، مليًّا! ثم ألغتها وذهبت للنوم بائسة!

تمر الأيام بتثاقل يكتم أنفاسها، تنظر "هَيبت" إلى "سامح" وتجاهد نفسها، فيما مضى كانت لتخبره بسرها وتشركه حيرتها كي يفكر معها ويؤازرها، اليوم هو زوج وأب، لكنه أبعد ما يكون عن صديق! متى ابتعدا عن بعضهما إلى هذا الحد؟

facebook.com/the.Booooks

رن جرس هاتفها بشكل مُلح من رقم غريب، لم تكد تقول "ألو" حتى انهال صارخًا بعصبية:

- الحرب سجال يا مدام، يوم ليك ويوم عليك، أنا عاوز أقلك حاجة واحدة بس! كنت أكبر مغفل، لما حاولت أصدق كلامك، للدرجة دي انت ممثلة؟ لدرجة إنك تخليني أنا! أنا! أحاول أصدقك؟ لكن والله! والله ما هاسكت ولا هاسبكم!!

أغلق الخط، يبدو أن محاولة والدها آتت ثمارها ولم يخبرها! رأى بوضوح في الأيام الفائتات برودها نحو الفكرة! وربما فسرها بمشكلاتها الزوجية المتفاقمة مؤخرًا، ابتلعت ريقها والدموع تتجمع في مآقيها كمراهقة، قال سامح مُندهشًا

- فيه إيه؟ مين؟.. حصل حاجة؟

لكنها حركت رأسها نفيًا، بينما جاءت تتكلم فصدت صوتها غصة حائمة، قامت من أمامه ودخلت غرفتها، وقررت على شيء جنوني واحد، لن يمنعها عنه مانع!

في الصباح التالي كانت قد أرسلت له على الإيميل نسخة من العقد الذي باتت تكتبه وتعده، اتصل بها بعد عشر دقائق، سجلت رقمه طبعًا، بلا أي تحية قال - مش فاهم حاجة من اللي انت بعتاه!

زي ما شفت، لو قبلت، هايكون أول مشروع نتشارك فيه بما إننا منافسين، ونكسب خطوة تسويقية للمشروع من مقاولين الباطن، ونضمن إن ماحدش

facebook.com/the.Boooks

تالت ممكن يدخل للمالك من أي باب تاني.. وتحاول تصدقني.. لأني ما كنتش باكدب!

تنهد مفكرًا في صمت، هي لا تراه! لا تعرف ما وقع الأمر عليه، تنحنح قبل أن يقول:

- والدك عنده فكرة؟

- إنت عارف إن إمضتي في وزن إمضته!

- هافكر!

أغلق الخط! كل ما يفكر به الآن هو المشروع، الصفقة، أي هراء آخر يستحق؟؟

تذكر حديثه الصباحي مع والده:

- أنا مش فاهم انت ضغطك عالي كده ليه؟ مش فاهم، إحنا أول مرة نخسر جولة يا مهدي؟ مالك عاوز تصور قتيل؟؟

- يا حج، انت عارف حجم المشروع اكتر مني.

- عارف، وكان نفسي، بس خلاص! انتهينا! وبكرة يشوفوا أنا هاعمل إيه؟ ثم دول خادوه كيت!

- كيت كيت! ده مش مبدأك، لكن يعني هانقف نتفرج عليهم بيفوزوا بأول مشروع في راس محمد؟

facebook.com/the.Boooks

- مرة من نفسهم! ما أنا ياما أخدت ألقاب! يابني إحنا أكبر منهم في النهاية، لما الناس يلاقونا غضبانين، نبقى ضعاف، يبقى هم بيكبروا واحنا بنصغر، فاهمني؟ عاوزك تثق في كلام أبوك، ثم تلاقيهم غرقانين! كله هايقف بسبب المشروع، أحسن! خليهم يتعلموا يعرفوا مكانهم فين بالضبط!

لن يكون "مهدي" ابن "يونس عبيد" لو لم يجعلهم يشربوا هذا العقد دمًا! دون استشارة والده، أرسل الصورة المضاة إلى المالك وإلى شركة إدارة المشروع، وأوضح أن منافسيه بعد دراسة تفصيلية قد اكتشفوا عجز في الموارد يحول دون تكملة المشروع حسب المواصفات وفي الموعد المحدد، فطلبوا شراكة سرية مع المنافس الوحيد القادر! وكانت كما قال لأبيه، "ضربة معلم!"، وتم سحب الثقة وإلغاء العقد الابتدائي فورًا! ولحظتها فقط.. نام "مهدي" ملء جفنيه، صحيح أنه اضطر لخفض رهيب في السعر، إلا أن والده ظل سعيدًا به. ولم يخض في تفاصيل "كيف حدث هذا؟؟"

هاتفته "هَيبت"، وكان من الواضح أنه في انتظارها - أنا متصلة عشان أقلك برافو!

- عند حسن ظنك دايمًا!

- بس يا ترى.. خلاص ارتحت؟

ظلت صامتة وكأنها في انتظار جواب.. لم تنُح مكروبة كما توقع، لم تهدد

facebook.com/the.Boooks

وتتوعد ذبيحة جريحة كما ظن! لكنه ظل صامتًا يرفض ما تحركه به تلك المرأة، حتى أغلقت هي الخط!

ثار والدها ثورة حائمة - أنا هاتجنن! يعني إيه عجز في الموارد! إزاي يلغوا العقد معايا بالمنظر ده؟

- زي ما لغوه مع غيرك يا بابا!

- لأ! مش ممكن! فيه حاجة غلط! معقولة تكون لعبة من عبيد؟؟ مش معقول، يكون المالك؟ مش ممكن!

نظرت إليه تكتم سرها الذي يلوعها متمتمة "ولسا!"

تدور الأرض عند زوجته في عكس الاتجاه! هكذا فكر "سامح"، فلا حدود لطموحها النهم! فقد حادثته بالشأن الذي أضناها كتمانه طوال الفترة الفائتة، دون ذكر من هو هذا الأخ! حادثته بعد أن بدأت بمقدمة تُذكره فيها بأيام الحب والقرب، بدا باردًا كتمثال، يضبط نفسه كي تثق به أكثر وتدلي بكامل دلوها، جرح دواخلها بداية "دايمًا كده رجال الأعمال مهما كانوا، يبقوا مخبيين وراهم بلاوي!"، لكن ذلك ليس بيت القصيد كي تقف عنده وتجادل، هي تريد -لا تعرف كيف- أن تستعيد أخاها من بئر اللا وجود!!

facebook.com/the.Boooks

- إنت بتحلمي، والحقيقة حلم مايلقش بسيدة أعمال ناجحة زيك! ده عمي لو عرف ها يغضب غضب! مش زي مانت فاهمة ممكن يقدر مشاعر الأخوة الوهمية الغريبة اللي صحيت جواكي فجأة!

- سامح! أنا بقلك عشان تساعدني! مش عارفه أعمل إيه؟

- انت ليه بتفكري في الموضوع ده انا مش فاهم؟ خلاص سيبي كل واحد في حياته.

- مانت عارف اني طول عمري محرومة من الإخوات، الأخ سند وعزوة، ماما الله يرحمها ماكانش ليها قرايب، وبابا قرايبه اللي موجودين، ساكنين بعيد ومالهمش صلة بينا! فيها إيه لما...

- أقلك فيها إيه، أصلك مش حاسة بنفسك، إنت عاوزة كل حاجة في الدنيا! وفي وقت واحد! مش عاوزة تخسري حاجة! إزاي مش عارف! عاوزة تبقي زوجة غير مُقصرة، وأم غير مهملة، وسيدة أعمال ناجحة، وابنة بارَة بوالدها وإيه؟ وأخت على آخر الزمن وعلى كبر – قامت من أمامه منتفضة تخطو للداخل – فوقي ياهَيبت!

تصارعت أنفاس غاضبة وأضراس تستعر فوق بعضها البعض غضبًا، لا بد أن يُنهي الحوار على خطئها وبأي طريقة! بشكل بارع يستطيع ذلك! يربط

facebook.com/the.Boooks

عملها بالنجاح لكن زواجها بالتقصير، علاقتها بوالدها بالبر، لكن بأولادها بالإهمال! تشكوه احتياجها لأخ فيغرقها بوابل من الاتهامات، تُظهر له ضعفها أمام عاطفتها والتي غلبتها، فيتجبر فوق آذانها صارخًا "فوقي!"، ما هي المشكلة في أن تتمنى الحصول على كل شيء؟؟ سعيها لذلك هو ما أوصلها للمكانة التي وصلت ووصل معها! ألم يرد هو الحصول على كل شيء فيما مضى؟

دخل الغرفة بخطوات رصينة، يسأل نفسه كما كل مرة، لمَ لا يطيق ضعفها وانكسارها ويحتاجهما في ذات الوقت؟ جلس وراءها على سريرهما...

- هيبي، أنا مش عاوزك تزعلي مني، أنا حسيت... حسيت إني عاوز أفوّقك! صدقيني، اللي انت بتتكلمي فيه ده صعب، وعلشان كده ربنا خفاه طول السنين اللي فاتت! هيبي... ردي علي!

- المطلوب مني إيه دلوقتي؟

صُدم حينما اكتشف أنه لم تكن هناك دموع! قالت ذلك بهدوء ابتلع الحنق لا تدري جاءها من أين..

- تنسي موضوع أخوكي ده خالص!

- طب وصلة الرحم؟

facebook.com/the.Boooks

- آه.. يعني انت خايفة إنك تاخدي الذنب؟ - سكتت – هي جت من عند ربنا وانت حاولتي توصليه وهو رفض!

- حاضر، حاضر يا سامح.

ابتسم "حمزة" ابتسامة يشوب صفاءها شائبة! لم تكن والدته سعيدة بنظرة عينيه تلك.. والتي تفهمها تمامًا، لكنها امتنعت عن الحديث معه! هي مُقدرة كم يصعب الأمر عليه.. فقد أبلغته بتوجس:

"وائل وإيهاب جايين يتغدوا عندنا يوم الجمعة، أصل إيهاب جه من السفر إمبارح!"

تعلم والدته أنه لا يحبهما كثيرًا.. هو أمر معقد، رغم كونهما أولاد خالته المتوفاة!! لم يعد "حمزة" يسألها عن سر ولوج "إيهاب" لأرض بلده الدنسة التي أبدًا لا يهواها!! ربما بسبب أمر شقة والديه مجددًا! ولم يعد يسألها عن زوجة "إيهاب" الأمريكية وابنتيه، فالزوجة لا تحب المجيء لمصر لأنها مريضة برهاب التلوث! ولا تأمنه على البنتين أن يسافر بهما وحده!! فقد لا يعود! مضحك حقًّا! رنة صوته البارد المكسر بعجرفة غير مُبررة في نظره كانت تصيبه بالغثيان! ورغم الفارق الكبير في السن – أكثر من عشر سنوات – فكانا كلما التقيا تلاحما، ليس لخطأ من "إيهاب" –كما يدَّعي والده- فالرجل

facebook.com/the.Boooks

عاقل رصين، اللعنة على جنون يبدو عقلًا ورصانة!! لكن لحماسة "حمزة" الزائدة عن الحد – كما يدّعي والده أيضًا – واحتجاجه على كل ما يسمعه منه ولا يرضيه! يذكر "حمزة" جيدًا كيف كان عراكهما الأخير، حينما كان يُدلي بنصائحه كالمعتاد لخالته بأن يجرب زوجها السفر "عمركم ما هاتلاقوا شغل في البلد دي! أمال الناس بتطفش ليه؟"، ولحظتها كان "حمزة" يحاول ضبط انفعاله "مش معنى انك مالقيتش نفسك في بلدك ان ده حال الجميع!"، يرد "إيهاب" وعيناه الناعستين تخفيان استهزاءً عظيمًا كالجبال.

- مين تعرفه لقى نفسه؟ في أكوام الزبالة الـ infinite؟ ولا الشوارع الزحمة Twenty four hours ولا في وسط الإهمال والفقر؟؟ Any way انت لسا صغير، لما تتخرج هاتشوف الدنيا صح!"

- لأ أنا شايف الدنيا صح من دلوقتي والحمد لله، اللي يتعب بجد يلاقي، أصل على فكرة فيه حاجة اسمها توفيق ربنا، أما بقى اللي بيكره التعب بيهرب على بره! ويبرر هروبه بحال البلد! ولا كإنه درجة تانية هناك!

لم يستثشط "إيهاب" كما ظن، وظل يهدئ خالته التي حدجت ابنها بنظرة عتاب وكلمة لوم، ثم نظر مُبتسما نحوه - Take care حمزة، ممكن كُتر تمنيك لحاجة لا يمكن تطوله، يخليك تفكر ازاي تحتقر الحاجة دي! this is in

facebook.com/the.Boooks

psychology!!

ياللثقافة!! القارئ التافه! شيء جميل، استعرت عينا "حمزة" بشرر أسود كاد يُفقده صوابه...

- إنت فاكر صحيح انك محسود على عيشتك برة؟ على أساس الهوا النضيف وكده؟ ناسي ان أسهل حاجة أي فاشل يعملها انه يتجوز (أي) واحدة أمريكية في طريقه وياخد الجنسية ويعتبر نفسه أفضل من غيره!!"

- حمزة!

صرخة والدته أعادت له بصره، تحديقها وكأنما هز أكتافه! تابعت...

- مش عارف تتحاور بأدب ماتتكلمش!

- فيه إيه يا أمي؟ كل الحكاية اني بحب بلدي!

- مش معنى كده انك تغلط في الناس! ماتنساش إنه في بيتك!

أليس يقول الصواب؟ ألم يتزوج أول امرأة في طريقه؟ وكأن الزواج مبايعة ما؟ غضب لظنه أن أمه تسانده عليه!! لم تمهله حتى فرحة أنه أخيرًا أغضب "إيهاب"!! كان صغيرًا! توًّا دخل أبواب الجامعة، فهم فيما بعد لمَ كانت تفعل ذلك.. سأله "إيهاب" وقتها في برود دومًا ما حسده عليه:

- إيه مقياس الفشل عندك؟ بيت نضيف، وأسرة، ودخل محترم وتعليم ممتاز!

facebook.com/the.Boooks

جاوبني؟

أراد! أراد بكل ذرة في دمه أن يصرخ في وجهه "جبان! لم تحاول يومًا كي تفهم الآن! تهرب من أي متاعب وكأن الشقاء ليس لجلالتك كُتب! تعيش في دور الناجح المحسود!! أي نجاح؟ نسيت؟ نسيت كيف كنت تشكو زوجتك غير الجميلة! "الحلوين هناك مصاريفهم فظيعة!"، طبعًا فهي شروة! أم نسيت شكواك من تخوينها المستمر لأي بادرة منك لتربية أولادك أو تعريفهم بجذورهم! "بتقولّي في وشي ان العرب همج!!"، أم نسيت انهيارك الحاد حينما قصت ابنتك الكبرى شعرها تمامًا كصبي وارتدت قرطًا في أنفها؟؟ نجاح؟ كيف تفكر في مجرد النجاح وأنت حتى لا تصلي؟؟ أي دخل محترم؟ لمَ تعمل زوجتك إذن في محل ملابس من أجل هذا الدخل؟ "بره الناس بتفكر بشكل مش مختلف، والمسائل الاجتماعية دي مش بتفرق معاهم!"، حقًّا؟ تعني أنك حينما تأتي زائرًا وترى والدتي في ندواتها الرائعة لا تغار؟ من يصدقك؟؟ أي أبله يفعل؟ والدتي عقدتك منذ صباك.. نسيت؟؟

وتظل والدته تحدثه "عيبك جموحك! لازم تختلف مع الناس بهدوء يا حمزة! لو هاتقدر تقنعهم كان بها، مش هاتقدر خلاص! عيش معاهم بسلام! وافتكر دايمًا إن التجريح ده شغلة الضعفا!!"

facebook.com/the.Boooks

لكن كيف؟ كيف يختلف بهدوء مع شخص في عينيه فاشل كل الفشل، ويتصرف معه تصرف الناجح الذي لا تطوله الأيدي أو العقول!! أما "وائل".. فيا لها من قصة مع "وائل"! وائل الجرح الغائر في القلب الحائر!..

دومًا ما بدا الأخوان متنافران فوق المائدة، إلى أبعد حد! لا جديد في ذلك، فحينما كان "وائل" في العاشرة لا يزال، كان أخوه الأكبر قد وصل أرض الولايات المتحدة وهو عازم تمامًا على عدم العودة! مات والداه كمدًا دون أن يبالي! فكيف يبالي بهذا الصغير الذي تربى مع خالته يتيمًا، ثم هجرهم بعد أن شبَ بحثًا عن الذات والحرية، وبعيدًا عن التعقل والقيود! لا يشترك الأخوان سوى في شيء واحد! نقد البلد! كم قال لهم "حمزة" بإصرار لا يجف!

- أسهل حاجة النقد! ألذ حاجة الشتيمة!! لكن مين حاول يعمل إيه؟ مين فكر؟ مين بدأ بنفسه؟؟ ده اللي فعلًا صعب!"، ولا يجد منهما سوى تلاحم غريب فجائي للاستهزاء به!

إيهاب: بدأ بنفسه؟ you are talking about تمانين مليون حمزة! كفاية أحلام حبيبي.

- إيه يا إيهاب! مش بتقول عندكم المعنى الحقيقي للإيجابية؟ ولا هو كلام والسلام؟ انت بقى عمرك حاولت تمنع حاجة غلط؟ ولا طول عمرك شعارك (وانا مالي)؟ وانت نفسك اللي بتغلط! ولا هيه الإيجابية بالبلد مش بالناس؟

facebook.com/the.Boooks

أجابه "وائل" وقتها - إيه ياعم حمزة! بشويش انت سخنان كده ليه؟ إحنا يا سيدي اللي معفنين ومش طايقين بلدك النظيفة، سيبك من الهم الفكسان ده وقللي، الدقن دي بقى ستايل ولا تدين؟؟ أصلها شيك قوي، فمش باين الغرض منها!

أجابه "حمزة" يحاول باستماتة أن يكون مثلهما هادئًا

- مافيش تعارض بين الإتنين على فكرة!

فاجأه "إيهاب" بضحكة عالية مندهشة، قام بعدها من الجلسة مُعتذرًا، وبابتسامته الساخرة، أشار بإبهامه أن "برافو" تاركًا له. وما كان من "حمزة" إلا أن تباعد واختفى حينما جاء وقت الوداع كي لا يُسلم عليه! أيضًا عاتبته والدته وقتها:

"المشاعر مش كراهية وحب بس يا حمزة!! الألوان الكتير اللي في النص، هيه اللي بتخلينا قادرين نعيش مع ناس احنا مش متفقين معاهم! الشاطر هو اللي يحط كل واحد في لونه، والخايب... هو اللي يصر يحطهم في الأبيض أو في الأسود، عشان بعد شوية هايشوف الناس كلهم سود!"

لم يفهم "حمزة" أبدًا مفتاح شخصية "إيهاب"! رغم أنه كثيرًا ما ظل يفكر

facebook.com/the.Boooks

ويحاول التحليل! لم ير سوى أنه في جميع الأحوال ومع جميع ظروفه رجل عربي مسلم، كيف تواتيه الجرأة ليحب أن يتنصل من كلا الأمرين بهذا الشكل المخيف؟ ما لا يعلمه "حمزة" حقيقة، أن الولايات المتحدة كانت أفضل وأنسب مكان لإيهاب وميوله وشخصيته، وأيضًا جسده الضخم المفرط في الطول والعرض! فقد وجد فيها ملاذًا مما ظل يعانيه طوال عشرين عامًا! أُم بالغة البساطة لحد الاختناق! انحصرت أحلامها في بيت وزوج أعماها اختفاء شخصيتها عن ما به من أفكار لا تُحتمل!! كم كان يحتقرها ويحتقر العالم وهي تتصرف مع هذا الوالد كما تتصرف الماشية مع الراعي!! بكل بساطة ودون أدنى مقاومة، كان قد صبغها بصبغته الدينية الحمقاء وباحتيال تام! لن ينسى أول مرة صارحها بما يرى وهو مراهق لا زال.. "أين أنت؟ أين رأيك؟ إنه يقتل أحلامي وأنت لا تبالين؟ إنه يقتلني وأنت تتفرجين"، أجابته وقتها جوابًا أودى بكل مشاعره نحوها في غيبوبة حتى ماتت!! وشكَّل دماغه تشكيلًا راسخًا حتى هذه اللحظة! قالت: "الزوجة التي تُغضب زوجها، تبات الملائكة وهي تلعنها!!"، سحقًا لك! سحقًا له ولهذا الذي تسمونه دينًا!! أي دين؟ يراني من بعيد بعبسته الشؤم! التي أبدًا لا يغيرها، يصيح في وجهي لأي سبب، "صليت؟"، يسبُّه بأقذع الألفاظ وهو عائد توًّا من المسجد!! أي مسجد هذا! يستيقظ يوميًّا على صوته الجهوري خارقًا حائط هذا المسجد بعد صلاة

facebook.com/the.Boooks

الفجر، يتضاحك أو يتلاحم مع أصحابه! أي دين؟ يمنعه من مصاحبة أي كائن قبل أن يرى والديه، ويتأكد أن لأبيه قدم في المساجد ولأمه حجاب كحجاب زوجته الخرساء! تلك التي رأت في النجاة من النار ألا تنطق حتى لا تلعنها الملائكة!!! أي دين؟ يضربه كمن ينتقم، يركله ككلب! إذا ما جاء مُعكر المزاج من عمله وسمع بدرجة متدنية في أي مادة من مواد الدراسة بالصدفة، وهو لا يعرف حتى في أي سنة هو! يصرخ "إيهاب"، ينادي أمه، لكن أتُجيره أم تلعنها الملائكة؟؟ أي دين؟ يصيح كالثور مُسمعًا كل الجيران لو لم يجد السواك بعد الطعام!! يقذف بالأطباق يدشدشها فوق الأرض لو لم يكن طعامه ساخنًا كما يريد! يدوس بأقدامه فوق الزجاج المتناثر صائحًا "مش راضي عنك!"، فتظل تجمع الزجاج والطعام بأصابع دامية وعيون باكية وقلب وجل!! أي دين؟ وأخيرًا يمنعها من وصل أختها التي ستعمل "دكتورة في الجامعة" وتتكشف على غرباء – كل يوم - ! وتربي أولادها على الحرية والانفلات!! "مالكيش أخت خلاص!!"، أي دين؟ أي دين؟ أختها تلك هي التي أوت ابنكم الصغير التافه بعد أن متُّما وانتهيتما! إن "إيهاب" لأكيد.. أكيد أنهما لا ينعمان بالجنة الآن! ضيعا عمريهما هباءً إذن!! "ارجع أبوك مريض بفقدك!"، طبعًا لن أرجع! سجن غريب عبثي! أفكار ملوثة تدنس أي عقل! من المجنون الذي يرجع! هنا أفعل ما أريد، محاط بأناس لا خرافات في عقولهم ولا دود!!

facebook.com/the.Boooks

هنا مجتمع مفتوح، منطقي! من يعمل يعيش، ونقطة! دون جنة ونار، ودون ملائكة تحوم حولنا لتلعننا!! والآن يأتي هذا الصبي! "حمزة"!! ليحمل راية التدين من جديد!! أحمق! يحب أن يعيش مذعورًا من المجهول، ويقرر أن ستار الدين، سيحميه من هذا المجهول، والذي نصبه هو لنفسه!! غدًا يكبر ويفهم، أو يموت دون أن يفهم! ويفاجأ بالنار مع هذا!!

حينما أتيا – وائل وإيهاب - قام لتحيتهما على أحسن وجه! ربت "حمزة" على أكتافهما كما يفعل الرجال، وكما توجب التحية الحارة! تعلم كيف ينجح في إخفاء مكنونه! أعدت والدته مائدة شهية بحق! وظلت تلوم "وائل" الذي لا يزور ولا يسأل، "الدنيا مشاغل يا خالتو"، لا يملك سوى عمله، فيما الانشغال إذن؟ يعيش وحيدًا بين أثاث شقة والديه المُبعثر دائمًا، وبين صفحاته وأوراقه التي لا تنتهي وجهاز الكمبيوتر الذي يدمن على الجلوس فوقه! فيما الانشغال؟ تؤكد عليه "يابني مابيبقاش نفسك في أكلة بيتي سخنة؟ ولا سهرة من بتوع زمان؟"، يتمنى! طبعًا يتمنى لكنه لا يقدر، غادر هذا البيت بأفكاره وذكرياته ولا يريد العودة إليه مرة أخرى!! لا يريد أن يذكر أيام ضعفه السخيفة وسذاجته المستفزة لأبعد حد!

facebook.com/the.Boooks

اليوم تغير "حمزة"، غيره فهمه الكثير من الأشياء في حقيقة دينه.. وأمه! اليوم هو أقدر على الاختلاف دون كراهية! ولديه دستة ألوان بين الأبيض والأسود يعايش بها الناس كما يجب، شيء آخر ساهم في تغييره... أنه وجد نفسه! وجد مكانًا لحمزة وسط العالم من حوله! وجد طريقه، وهو الذي ما إن وجده إنسانًا، حتى استساغ الدنيا بكل ما فيها من حلو وحنظل! ويبدو أن الأخوان لاحظا ابتسامته المرحة وروحه الصافية، ولم يدر كل منهما لماذا لم يحبا هذا الوجه؟ أو لعل كلًّا منهما يدري ولا يبوح! تحدث والده مع الرجلين عن آخر أخبار العالم، هو يقصد ذلك بلا ريب! يقصد أن يوجه لهما أحاديث الكبار، ولا يُشركه! قال "إيهاب"

- نصر الله ده يا عمو إنسان عجيب جدا! Huge efforts بيخدم بيها مذهبيته! وas usual بيستخبى ورا دقنه! ده أطماعه في لبنان واضح زي الشمس! Finally هاينهاروا! لما تقوم أمريكا عليهم بحرب الإرهاب!

كم بدا الكلام ل"حمزة" بعيدًا عن أي عقل! ليس "نصر الله" شيخ جامع يسرق الصدقات هاهنا!! أي ذقن؟ كم تطفح السياسة الأمريكية في استخدام الإعلام لصالحها على وجه "إيهاب"! كيف يلوم "حمزة" الأمريكان ذاتهم في كرههم للإسلام إذن؟ نسي فجأة أن هذا الشخص –نصر الله - هو الذي فقأ

facebook.com/the.Boooks

ببساطة مطلقة بالون عظمة إسرائيل الحربية من جديد؟ هذا بذاته هو الإنسان العجيب؟؟ طبعًا! فكما ننسى هزيمة إسرائيل في عبورنا خط بارليف ننسى كذلك كيف أذل حزب الله جيشها في حرب تموز 2006! وبما أن السادات صافح إسرائيل، فالحل أن يتحول "نصر الله" إلى حرباء متلونة كل ما يحمله في طياته هو أهداف مذهبية وليست قومية أو عربية أو إسلامية بحال! ويتم التمهيد ذاته بصبر أمريكا عليه قبل أن تقوم بحرب على الإرهاب، تمامًا مثلما حدث في العراق، وقت حرب العراق.. قال هذا الأحمق "إيهاب" مغسول المخ "أمريكا هاتنضفهم!"، يذكر "حمزة" جيدًا كيف بكى كالأطفال وقت حرب العراق، كان طفلًا فعلًا يسأل والدته على ما تبكي؟ لكنه تأثر فعلًا بما قالته! كيف نعى الحدائق المُعلقة والمتاحف العريقة المنهوبة! قالوا "أفغانستان" بلد مسلم لكنه متطرف، أجهزت عليه روسيا ثم أمريكا التي ربت به سلاحا يردع روسيا انقلب من ثم عليها هي! لكن العراق؟ العراق؟ دولة مسلمة عربية! دولة عظيم تاريخها، دخلت كثيرًا بمدنها وأحداثها بين ما قرأ عن تاريخ الإسلام، ولا زال يذرف الدمع حينما يسمع بانفجارات تُميت المئات حتى بعد انتهاء الحرب! لا زال ينتفض حينما يسمع كلمة "البصرة"، "بغداد"، "الكوفة" لكن في ثوبها الجديد.. ليس بأحد الأئمة الكبار أو عصر التراجم العظيم للمسلمين، بل.. عمل انتحاري جديد، أو قنبلة مختبئة، أو سيارة ملغومة أو ماذا يسمونها في

facebook.com/the.Boooks

النشرات "مفخخة" ! صرخ فيه مرة وهو يستهزئ "بصدام حسين" الذي اعتبره العرب المتخلفون زعيمًا عربيًّا ! وكأنه لم يدرك بعد أنه صديق أمريكا الصادقة الحبيبة حتى من قبل حرب العراق وإيران!! صرخ بلوعة حقيقية تقهر تعقله، ألا ترى؟ لا زالت العراق تنزف! لا زال الدم يتضرج بجنون مُخيف! أين أمريكا حبيبتك؟ أين المُنقذ الوهمي الكذاب؟؟ نظفوها أم اغتالوها وأدموها؟؟ لكنه لا يجيب! علموهم هناك أن يصدقوا قنوات الـ CNN وفقط! دون حتى أن يعقلوا ما يسمعون! يريد "حمزة" الآن منه أن يجيبه! يريد أن يطفئ ناره! إنسان عجيب مثل "نصر الله"، كل ما فعله أنه رفض فجأة وضعا قبله كل العرب! رفض أن يضع رأسه تحت حذاء أمريكا ! رفض أن يلغي كرامته وعقله قبلًا! فليكن من الشيعة! مرحى بالشيعة لو ذرة كرامة ورفض للمذلة أتت على أيديهم، أما كفانا هوانًا؟؟ لكن كيف يفهم؟ كيف يدرك هذا الإيهاب كل ذلك الكلام وقد با ع عقله بكل طواعية وأحب قيد الجهل بكل عنفوان؟؟ بل أيضًا ظنه نور العلم! كان يسمع تحاورهما مرهق الذهن، وأبوه يحاول أن يحادثه بمرارة الحرب وخطورة الحرب التي لا يدركها سوى مجربيها ! فوجد "حمزة" نفسه يقول:

- عاوز أسألك سؤال واحد يا إيهاب، يمكن تجاوبني عليه! هو يعني إيه حرب

facebook.com/the.Boooks

على الإرهاب؟ يعني مين يقدر بشكل مطلق يقول ان هنا الإرهاب؟ ما انت شفت ان العراق لا طلع فيها سلاح نووي ولا حاجة! الإرهاب أصله مش شيء، ده فعل! وحتى إذا فرضنا ان بلد زي "أفغانستان" هي معقل الإرهابيين زي ما الأمريكان بتحب تقول، تقدر منين تأكدلي ان القنبلة صابت بيت الإرهابي مش البيت اللي جنبه؟ ممكن تجاوبني؟

سكت "إيهاب" دهرًا وهو عابس! برود عينيه تحول فجأة إلى جحيم، وكأن هدوء ابن خالته الحقيقي وسؤله المتوازن جدًّا أزعجا عقله الذي تعود ألا يعمل! تنهد وقال بصيغة الجاد الحكيم:

- مه عشان نقضي على الإرهاب this is not easy at all!، لازم تكون فيه خساير في الأرواح!

- إمم، يعني هم بيقولوا في أمريكا فجأة ان الأرواح مابقلهاش تمن دلوقتي في سبيل القضاء على الإرهاب، حتى لو الأرواح دي أمريكان؟ يعني لو بن لادن في أمريكا.. هايقزفوا مخبأه بقنبلة؟

- انت بتقارن أرواح ناس متعلمة بتقود العالم، بأرواح ناس كده كده بتموت من الفقر والجهل؟؟

بهدوء أنزله الله عليه - فهمت! يعني الأمريكان دلوقتي بيفكروا زي الألمان وقت هتلر في إنهم أطهر شعوب الأرض وفيما عداهم – بالذات الفقرا والمرضى

facebook.com/the.Boooks

طبعًا – يستحق الموت؟.. منتهى العدل!

- No! don’t judge them، ده رأيي أنا الشخصي!

رفع "حمزة" حاجبيه الرجوليين الناضجين وهو يزم شفتيه، ثم ابتسم فجأة دون أن ينظر ناحيته، فبادر "إيهاب":

- إيه اللي بيضحكك؟ مستغرب اني بقول على نفسي؟ - ابتسم – أنا اتعلمت هناك كده، الغلطان بيقول، مش بيقاوح بس عشان غيره يبقى الغلطان!

ظل "حمزة" محافظًا على ابتسامته وهدوئه وهو يجيب:

- فعلًا الاعتراف بالحق فضيلة! تصور أنا أول مرة في حياتي أعذر الحكومة! – تساءل إيهاب عن مقصده بعينيه المتقصيتين – أصل حكومتنا مبوظة الطرق والتعليم وسايبة البلد فقرانة عشان تلهينا بكل ده عنها، وتعرف تسرق! حكومة أمريكا بقى، زي ما بتقول (قادة العالم) أذكى بكتير قوي، بتلهي الناس بسلاح أقوى ألف مرة، الإعلام! يعني لما تقتنعوا ان أمريكا دي عايزة سلام العالم وما بتغلطش ومش محتاجة شيء عشان يكونلها أطما ع، وتيجي أمريكا بعد كده تعمل أي حاجة! يبقى انتم اللي مش فاهمين! لأنها أكيد صح! وأكيد عارفة هي بتعمل إيه؟ ولا محتاجة بترول الخليج ولا العراق ولا بتسفك في دم أفغانستان اللي يستحقوا أصلًا الموت!.. فعلًا، يستحقوا يكونوا أسياد العالم!

facebook.com/the.Boooks

زفر "إيهاب" متمسكًا لا زال بنبرة الحكماء، وقال كأنه عُين قبلًا كطبيب نفسي معالج للجنود العائدين من الحرب!

- you know whars your problem حمزة؟ إنك بعد ما تقرالك كام كتاب، تفتكر نفسك فاهم كلْ حاجة! وما بتحطش Possibility حتى انك ممكن تكون فاهم غلط!

اهدأ!..أهدأ!...وعدتني بألا ترتكب أي حماقة! وعدتني بأن قد نضجت وشُفيت من الجموح! قالت له نفسه وهو يضغط على شوكته بأصابع من حديد.

- طب ما تقنعني؟

- مش كل الناس عندها that ability حمزة، لا الإقناع ولا الاقتناع!

- يمكن!

أكمل "إيهاب" طعامه دون أن ينظر إليه وكان قد ابتسم في عينيه قبلًا، ابتسامة تُعري غضبه وهجومه غير الموفق! حتى شعر به "حمزة" يقوم، لقد أصابه في مقتل!.. أخيرًا!

قامت "أسماء" أخت "حمزة" كي ترفع الأطباق مع أمها، لا تحب أن تبدأ بأي من مهام المنزل أمام "إيهاب"!! هو يعرف أنه بالنسبة لها "الأمريكاني" الذي تواضع وزارهم، ولا ينبغي أن يعتقد أن المرأة في مصر خادمة في بيتها وفقط!

facebook.com/the.Boooks

على العكس، تحاول دومًا أن تُظهر تباعدها عن أفكار أخيها، ثم تمسك كتابًا صغيرًا باللغة الإنجليزية أمام التلفاز لا تقرأ فيه شيئًا لكن لتؤكد له أنها مثقفة، كم يغيظه رأيها ويكويه تصرفها، لكنها لا زالت في الثانوية.. توًّا تركت أعتاب المراهقة فكيف يلومها!! هو نفسه عولج قريبًا، ليته فهم حقيقة الحوار من زمان! اعتذر "وائل" بعد الغداء ونزل واعدًا بزيارة جديدة، كانت الأم قلقة أن تسأل "حمزة" بعد ما سمعت أن يذهب ليوصل ابن خالته القادم من السفر لبيته، خاصة بعدما هرب أخوه! لكنها فوجئت بترحيبه وفرحت بابنها، نزلا سويًّا، في الطريق كان "حمزة" غير الشخص الذي يعرفه "إيهاب"! يسأله عن بنتيه في اهتمام "أنا ضفتهم على الـFace Book" على فكرة، ويعده أن يستقبلهما متى أتتا لمصر كي تزورا أجمل الأماكن! تعجب منه الرجل! اعتقد أنه يُضمر له الكراهية وبالتأكيد أولاده معه! وقف أمام البيت وقبل الصعود قال لإيهاب بودٍّ "إصبر يا عم إيهاب، فيه أمانة لازم تاخدها!"

فهم "إيهاب" أن خالته كالمعتاد تريد أن تشتري له بعض احتياجاته، أما يكفي ما أعدته له من طعام شهي لا يحتاج سوى دقائق في المايكروويف؟ في أمريكا يتعامل الناس أقل المعاملات بحساب! هو قانع أن ذلك هو الأفضل، لكنه مع هذا لا يدري لمَ تسعده استضافة خالته! قبل أن يدخل "إيهاب" المحل

facebook.com/the.Boooks

الملاصق لبيته طلب إليه "حمزة" أن يتمهل، مشيا بضع خطوات كي يصلا لمحل آخر، سأله "إيهاب" عن ذلك متعجبًا، أجابه "حمزة" ببساطة:

- ده راجل غريب! محله قذر وبضاعته مترّبة! التاني ده بقى يستاهل نشتري من عنده.

- I thought... I mean... كنت فاكرك هاتشتري منه لأنه بدقن زيك!

- لأ طبعًا مش مبدأ! النظافة من الإيمان، بعدين الدقن دي أولى إنه يحافظ على بضاعته وزباينه، إنما مش هو ده الدين! مش الدقن! ربنا يهديه.

صمت "إيهاب" وهو يشاهده يبتاع له الفاكهة ويختارها! لم يذكر له أن والده المرحوم لم يكن أبدًا يشتري سوى من هذا المحل الـ(قذر)! حمل "حمزة" معه الأكياس حتى باب الشقة وودعه قائلًا:

- رقمي معاك بقى لو احتجت أي حاجة ها؟ سلام!

سؤال واحد هو ما يُحير "إيهاب" الآن، ما الشيء الجميل الذي أصاب "حمزة"؟... لكنه لم يفهم!

في هذا الصباح قام "مصطفى" بارتداء قميص كلاسيكي أنيق، سيلقاها.

اختارت"هَيبت" أن ترتدي بذلة سوداء! لمن العزاء؟ على من؟! بدت كئيبة أكثر

facebook.com/the.Boooks

من اللازم، فحلت شفاهها المرسومة بإتقان بلون أحمر قاني جعلها أكثر جاذبية، تنتظره، أحداث كثار شقت سكون حياتها الشخصية مؤخرًا..

كان "مصطفى" طالبًا في السنة النهائية حينما تعرفت شخصيًّا على معيدها بالكلية من خلاله، ظلت تعتقد عامًا كاملًا أنه يُضمر لها شيئًا! بات ذلك في وقت من الأوقات جليًّا، لكنه أبدًا لم يُفصح! أبدًا لم يُفصح عن أي شيء، ثم عرَّفها على زوجها الحالي! طلبت أن يزورها في مكتبها موضحة أنه ليس موضوع عمل! ظلت تنتظره، لا يوافق على أي لقاء خارجي بينهما!

- أنا مقتنعة إني ما بعملش حاجة غلط! أنا بقابلك كصديق وقدام كل الناس!!

كم قالت له مرارًا ذلك، رافضة أن يكون علم سامح باللقاء وأسبابه وأحداثه هو مقياس اللا شائبة لديه! لكنه ظل يردد لها في كل مرة ودون أن يستجيب لنقاشها المُطوَّل..

- اللي مارضاهوش على نفسي، مارضاهوش على حد!

ولم يكن طلبها لزيارته في الشركة سوى ثغرة وجدتها أخيرًا كي تجد صديقًا! كلما شعرت بالاحتياج إليه كلما سألت نفسها من جديد عن بداية القصة! لماذا لم يكن لها صديقات طوال الفترة الفائتة؟؟ لماذا كانت علاقتها بالأخريات زمالة بحتة تنتهي بانتهاء الشيء المشترك؟ لما لم تعجبها أية واحدة لتتخذها صديقة؟ هي الآن حبيبة الزوج والأب! ليس ذلك صحيًّا أبدًا.. الحمد لله أن هناك على

facebook.com/the.Boooks

الأقل "مصطفى"!

هَيبت: وانت بتسمعني عاوزاك تعرف حاجتين، إني بستأمنك على سر كبير.. واني بجد محتاجة لرأي مُحايد، وخلاص.. تعبت من التفكير، اللي هاتقول عليه هاعمله!

كان منصتًا كعادته، شعره الضحل بدأ يتقهقر أكثر، بالتأكيد كثرة دخوله وخروجه من قصص الارتباط الفاشلة تؤثر عليه! تعرف أن الوقت غير مناسب! لم تسأله حتى ماذا حدث مع "صفى". لكن.. يجب أن يكون المرء أنانيًّا في بعض الأحوال!

أنهت قصتها الجهنمية، بكل تفاصيلها، لم تنس أن تذكر له رأيها في "مهدي"، فكل ما بينهما من مناوشات السوق مشروع وجائز، حقًّا لم تر منه يومًا ما تعرف أنه يُحاك بين الكبار! ظل صامتًا لفترة، وأغلق هاتفه تمامًا فورما رن! قال بعد وقت:

- إنت عاوزاني أدور معاكي على الصح؟ ولا أقلك كنت هاعمل إيه لو كنت مكانك؟

- الصح شيء نسبي! فيه ناس مقتنعة إن ده الصح رغم إنه الغلط بعينه في نظر ناس تانية! أنا بثق فيك، إنت كنت هاتعمل إيه؟

facebook.com/the.Boooks

- ماكنتش هاسيب أخويا مهما حصل! ولا كنت هاتنازل عن إني أكون الطرف الأقوى في إعادة العلاقة، ولو هو إنسان محترم فعلًا زي ما بتقولي.. أكيد هايستجيب!

تنفست ابتسامة غاية في العذوبة، كادت تمسك يديه لامتنانها، أبعدت عينيها عنه خشية أن يرى بهما الطفلة التي رأتها في نفسها مؤخرًا، ثم التفتت له مُبتسمة وقالت:

- مش عارفة أشكرك إزاي! إنت بجد، زي ما تكون رجعتلي حاجة كانت ضايعة مني! كنت بدأت أشك في نفسي! – آثرت ألا يكشف المزيد، قامت تصب مزيدًا من القهوة – قلي بقى، عامل إيه مع صفى؟ مش يلا بقى نفرح بيك؟؟

ظل ينظر لكوبه الذي بين يديه، زم شفاهه زمة تعرفها!.. ماذا أيضًا؟؟ قال:

- مش عارف، مش قادر أتخلص من شعور إنها بتتجوزني أولًا عشان لازم تتجوز، وثانيًا عشان أنا فرصة كويسة، وثالثًا بقى لو فيه أي مشاعر وكده!

- وفيها إيه يا مصطفى؟ - نظر ناحيتها مندهشًا! – مش عيب تكون البنت عاوزة وليف في المقام الأول، ده شيء غريزي، الدنيـــا وحشـــة.. والوحـــدة أوحش at the same time! كونك فرصة كويسة... أكيد دي حاجة تفرحها، لو

facebook.com/the.Boooks

ما فرحتش ماتبقاش طبيعية! – نظر لابتسامتها، فتنهد بابتسامه مُستنكرة – والمشاعر بقى هاتيجي هاتيجي، أولًا عشان انت إنسان كويس قوي! هي أكيد هاتحبك! وثانيًا لإنها إنسانة كويسة، وبنت ناس، مش ناقصكوا حاجة عشان السعادة الزوجية تتواجد! صدقني، إنت قاعد تأجل وتفسخ وتبدأ من جديد، عشان مركز ان فيهsomething missing! في النهايـة..!This is life لازم تفضل فيه حاجة ناقصة!

نظر إليها، ترقُّب استيعابه لما تقول، وتكلم أخيرًا - الغريبة إن واحدة المفروض إنها متجوزة عن حب، هو ده يكون رأيها!

- لاه، قول واحدة واقعية، واحدة مُجربة! الحب ده أصله conflict كبير قوي.. يمكن تكون البشرية لسا ماوصلتش لمعناه الحقيقي!

- مش فاهم!

طابعه الهادئ.. لا يتغير أبدًا! نظرت له نظرة تتكلم، سألت بهدوء هي الأخرى:

- يعني انت عاوز تفهم؟

ظل يبادلها النظر وفي جوفه ارتباك ينضح - لأ!

هكذا إذن؟ كلما اقتربت، ابتعد، لا يريدها أن تفهم، وهو بحد ذاته دليل على وجود ما لا تفهمه، السؤال هو.. لماذا؟ لماذا لا يريدها أن تفهم؟؟

facebook.com/the.Boooks

هو مُصر على ألا يترك لها الفرصة، فمن المُستفيد؟.. لا أحد!

اختبر نفسه ألف مرة! يختبر أنها ليست له وانتهى الأمر! منذ يوم زفافها الذي حضره بنصف روح وهو يحاول، يرى أمامه أشباحًا لا يستبينها، وهو في حالة هذيان داهمة، أعمته عن ثوبها الأبيض وجمالها المخيف، وبسماتها التي ليست أبدًا نحوه!! يحاول أن يراها فلا يرتعش قلبه دون جدوى!! يكفي أنه قادر على عدم البوح! يكفي أنه قادر على ضبط النفس أمام الكل!! هو قال لنفسه هكذا! ورغم الفشل تلو الفشل مع بنات حواء أجمعين – كما يرى - ! ففي كل مرة لا يكف عقله عن المقارنة، لا يكف عن عد الاختلافات، لا يكف عن الرفض والندم مجددًا على الخسارة التي ألحقها بنفسه! أجل! يعترف!.. هو أفقد نفسه إياها!! "أنت تعرف ذلك حق المعرفة يا مصطفى.. تضبط نفسك واسمها الحبيب على طرف لسانك، تكاد تخسر به امرأة أخرى قد تكون هي الدواء!! لكنك يا مسكين تعلم ألا دواء! أضعتها وانتهى الأمر! لأسباب واهية لا يراها سواك ذات قيمة تُذكر!! وكلما حلمت بشفائك منها، كلما قاربت بينكما الظروف أكثر! وتجدك تدرك أنك مريض بها ولا تريد أن تُشفى منها! كيف لم تفهم؟ كيف لم تفهم أو تدرك أن مثلها من الندرة حيث يبدو غباءً حتميًا التردد في نيلها؟؟ كيف لم تشعر أنها رفيقة روحك، أوقعها الله بين يديك كي تهدأ تلك

facebook.com/the.Boooks

الروح، لكنك اخترت أن تظل عليل الروح؟ ووقعت على نفسك (شيك على بياض) قيمته قلبك، وأودعته خزانتها دون أن تهبها المفتاح أو حتى تبلغها!.. ورضيت بالفتات.. احتياجها إياك كلما تذكرتك، من بين حياتها وعملها وأطفالها.. وزوجها! أجل زوجها! صديق العمر أيها الكلب الوفيُّ!!

facebook.com/the.Boooks

(٤)

كيف أصبح ما يكتمه "مهدي" في صدره كشوكة تحت الظفر، تنغزه، فتحيل استرخاءه أرقًا وتوترًا؟ وتدفعه دفعًا لينتقم!.. (هَيبت فخري أخته!!)، كيف حولته تلك الحقيقة إلى غول؟! وبدلًا من اكتناز الفرص التي تستحق، أصبح شغله الشاغل أن يبحث عن المناوشات والثغرات ليوقعهم أو ينال منهم!

وأصبحت أفعاله بحد ذاتها تصدر خصيصًا كي يفسد عليهم حياتهم دون أي منفعة تعود عليه؟! حتى جاء هذا اليوم، رأى فيه E-mail منها، قالت فيه:

"إزيك؟ عامل إيه؟ أتمنى تكون بخير، بجد، رغم كل اللي بتعمله! أنا حلمت بيك على فكرة.. بس انت كنت بتضحك، مش بتشخط أو بتغل زي كل المرات اللي اتكلمنا فيها! سألت نفسي كتير، إيه اللي بيخليني أسكت؟ أنا عمري ما سمحت لحد يكلمني كده؟! وبعد ما فكرت، عرفت! السبب، إني حاسة انك الكبير!!! تصور؟ نفسي تفهم، وتعمل كل اللي في نفسك من ناحيتنا، لغاية ما تروق، وتصفى من جوه، وتفتكر إن احنا، مش واحد! رفعت فخري مجرد منافس في السوق، وهَيبت فخري.. أختك!"

قام بمسح هذا الإيميل دون تفكير وبغل! لكنه بعد أيام، وبعد أن أدار الإيميل نفسه في رأسه مرات ومرات، أعاد تخزينه، وأعاد قراءته، مرارًا.. لمَ لا تأسره كلمة "أختك" كما هي تفعل في كل الناس؟ لمَ لا يجد في نفسه رحمة ليفكر

facebook.com/the.Boooks

بها من منطلق آخر؟؟ لمَ لا يرقى رقيها ويكف حتى عن تسديد اللكمات لهم؟؟
لكن.. ما الذي يهزه هكذا إن كان لم يتأثر؟؟

ولت أيام وأسابيع، كان جالسًا في مكتبه يرى الإيميلات الأسبوعية التي كانت ترسل إياه، عجيبة تلك المرأة! تخبره عن ابنتها وحفلة المدرسة التي قامت فيها بدور snow white ! وتُذيل كلامها بقول "لو تعرف إن ليها خال.. كانت أكيد أصرت ييجي ويشوفها"!! خال؟!! ثم تخبره في رسالة أخرى عن شعورها المرتبط معه باليُتم! كيف كانت نشأتها مع زوجة الأب هي الأخرى! تخبره عن "سالي" التي كانت تعمل في "الجمعية الثقافية الإسلامية" بميلتون كينز، كيف اختارها والدها ودودة مُتفهمة كي لا تشعر معها طفلته بالغربة، وأصر أن ينجب منها ليزيد تلاحمهما.. وكيف أخفق إلى أقصى حد! كيف تشابهت معه لحد غريب في ظروف حياتهما!!

"أبدًا!" ودَّ لو تكون أمامه ليصيح في وجهها.. ماتت وتركت حياتك دون أن تشعري أنك السبب! دون أن تظلي تسألين نفسك كل يوم.. ماذا فعلت كي تتخلى عني؟ كيف لم أهبها الإحساس أني أستحق أُمًّا؟؟ كيف لم أهبها القوة لتتحمل ظروف أبي، تتحمل لأجلي! تشتاق لي؟ تسأل عني؟ كيف فعلتُ ما لا أدري وأتمنى أن أدري، ودفعها دفعًا للذهاب بلا رجعة! ولنسياني كليًّا؟؟

facebook.com/the.Boooks

قرر أن يلغي أي رسالة منها دون أن يقرأها، والغريب أنه كان ينسى هذا القرار دومًا فورما تقع عينيه على اسمها في خانة "الراسل"!! هاهي تشكوه زوجها! تشكوه المعضلة الأبدية في مسألة عمل المرأة وقبول الرجل الشرقي لذلك!! تقول مُدخلة إياه في الحديث "دلوقتي أنا عرفت ليه إنت اخترت ربة منزل عشان تكون زوجة ليك!"، وما دخلي أنا؟ تُقحمينني والسلام؟ لم يفكر في أن يُرسل ردًّا أو خطر ذلك على باله! إلا أن شيئًا من المتعة كان يتسرب نحوه في انتظار أن تراسله، وأن تحدثه هكذا عن نفسها بكل جرأة! وتزداد رسائلها عمقًا..

"والله يا مهدي، عمري ما حسيت مع أختي قسمت غير بالغربة، سالي مش من ثقافتنا، وأختي طالعه لها تمام، دم بارد أزرق كحلي!! ما كناش أصدقاء حتى بعد ما جينا مصر، والغريب، إنها أخدت قرار جوازها وهجرتها لوحدها تمامًا، وكإننا مالناش الحق حتى في المشاركة! أنا عارفه إن تلاقيك بتقول في سرك "حقها"، لكن أبدًا! شيء جميل يكون في حياتك فرد.. مُعتبرك جزء منه، وبالتالي هو ليه حق في الجزء ده!!"

أهذا التعليق له؟ كلا! لا يعتبرها جزءًا منه بحال! ولن يفعل!! أي حق يا آخذة كل حق؟! ها هي تعود من جديد لسيرة أطفالها، فارس يبكي أبوه المسافر كل

facebook.com/the.Boooks

أسبوع من أجل إلقاء محاضرته في جامعة الإسكندرية! تقول أنها ترى من الصحي أن يفترق الزوجان بشكل دوريٍّ كي يكسرا الملل! مالي أنا وهذه التفاصيل؟ لا أشعر باحتياجي لترك المنزل بشكل دوريٍّ! ربما تصطنع التعاسة لأتعاطف معها؟.. لكن، إن كان ذاك.. فلمَ هي حريصة على تعاطفي معها؟؟

"يمكن أنا من النوع اللي ما يعرفش يكدب، ويمكن انت زيي لأن إحنا اخوات، بحاول أعرف يا ترى إحنا مشتركين فإيه كمان! بفكر، بتخيل، المهم، اللي أنا مابكدبش فيه خالص، هو اني بجد، بجد حاسة إنك واحشني!"

دون مجيب! يرى بوضوح تفكيرها الذي لا ينقطع في أمرهما بدأب مدهش!! ودون مجيب. ربما هي عرفت أنه ثلجي لا يعبأ لما تكتب، لكنه اهتز! أجل! تغيرت البداية التي كان يقرأ فيها بدافع الفضول، وفهم أنها في الحقيقة هزته بأسلوبها وبإصرارها عليه! وسأل نفسه فجأة! لماذا لم يحاول مجرد محاولة أن يستسيغ فكرة أن أختًا له من أمه هنا، هل يُعقل أن تكون بكل هذه العاطفة رغم شراستها في السوق؟ وأين ذهبت تلك الشراسة وقد أضحت مُهرة بديعة منذ ما حدث؟ وكلما تأخرت عليه، سأل نفسه.. هل يئست منه؟ لكن لم يبد على أي من خطاباتها أنها تنتظر ردًّا! ألم تكن؟ - سأل نفسه لائمًا – لكن ليس عليَّ أن

facebook.com/the.Boooks

أستجيب لمجرد ما تكتبه! احتار من تضارب مشاعره هذه، لا تعرفه شخصيًّا على أي حال كي تفعل هذا ! في الحقيقة كان شغفه بهزيمتهم فيما مضى، أقوى بداخله من شغفه بأخوتَّها الآن! يدوس على زر الرد على الرسالة، يحاول كتابة أي كلمات، لكن الكلمات تظهر ساذجة! والفكرة كلها أحمق مما يمكن! يمسح الرد ويتابع عمله بشكل عادي، يعد نفسه أن ينسى قصتها بمجرد أن يزدحم في رحى العمل، يضبط نفسه يفكر في أمرها من جديد. يُظهر رقمها على هاتفه، "لكن كلا! لن أطلبها ، لسنا أطفالًا!!" سامحك الله يا أمي! مؤذية في حياتك ومماتك! ومع الوقت، يصيب انتقاماته شيء من الفتور.. ترتمي له الفرصة تلو الفرصة كي يناوشهم، لكنه يحجم! حتى أتى هذا الصباح وهذا الميل:

"أنا تعبت قوي الفترة اللي فاتت، كل البيت كان قلقان عليه، طبعًا ده مش فارق معاك خالص! تزعل لو قلتلك إني مايئستش؟ أيوه لسا عندي أمل! "

لا يعرف كيف ولماذا وجد نفسه يطلبها ، كانت حرارة كلماتها تدق في داخله، الشخصية القوية الجديرة بالإعجاب!.. سمع صوتًا سعيدًا يجيب:

- ألو، .. مهدي!

سجلت رقمه! سكت لكن أنفاسها الفرحات تصل إليه، بدأت تقلق من سكوته،

facebook.com/the.Boooks

فقالت مُشجعة:

- صباح الخير.

- صباح النور.. سلامتك.

لو كان أمامها لرأى كيف قفزت روحها كالأطفال فرحًا.

- الله يسلمك.. أنا سعيدة قوي اني سمعت صوتك!

- هَيبت، صدقيني، مافيش فايدة من اللي بتفكري فيه! طب وبعدين؟ إخوتنا مالهاش نصيب تعيش، أبوكي، وأبويا، ووضعنا! إحنا كبرنا بعاد، وظروفنا خلتنا أبعد! مش ممكن هايكون لنا مصير مختلف، احنا مش لسا صغيرين.. خلاص، وانا من ناحيتي، أوعدك مش هاعاملك كعدو...

- مفهوم.. – تحول الصوت الحي لجثة تلفظ أنفاسها – مرسي على المكالمة، باي!"

جلست "هدير" في مكان التجمع المعهود، وصل "حمزة" أخيرًا، كان (الجروب) بالكامل ينتظره، اعتذر لهم بأدبه المعتاد، تنفس ريادته بسعادة داخلية، شرب ابتسامتها بفرحة أكبر وهي تراه الرائد، قال:

- ها؟ شفته أسماء المرشحين لعضوية لجنة اختيار أحسن لوجو للحملة

facebook.com/the.Boooks

بتاعتنا؟

- اتفضل، من الصبح نتناقش، كلهم ممتازين.

أخذ منها الورقة يبتسم لها قبل أن ينظر فيها بتمعن...

- إيه ده؟ سامي جميل؟ ده مسيحي!

- .. طب وفيها إيه؟

كانت صدمتها في هذا الرأي أكثر من أن توصف! حينما قال البعض ذلك منذ قليل أكلتهم أحياء!! حملة توعية للقراءة! ما يعنيها ويعني الديانة؟؟ وصفتهم بالتعصب، وامتدحت نشاط "سامي" وتفوقه في كل أمر يشترك فيه، ذكرت لهم آداب العمل المشترك ورأي الدين في أهل الذمة، رفضت أي إيحاءات شخصية جارحة لنزاهة المجموعة، كيف ستواجه حبيب القلب الآن؟

- فيها ان كلنا مسلمين، فيها انه مش هايعجبه أي لوجو فيه إشارة إسلامية، فيه انه هايفضل يعلق على اهتمامات ونشاطات المسيحيين اللي زيه، وعلى العموم، إحنا كده كده محتارين من طول القايمة، نحذفه ونخلص! ها؟ إيه كمان؟

- أنا مش موافقة يا جماعة!

في التصويت السريع، رأت أن الأغلبية توافقه، كالمعتاد. سكتت على مضض، هاتفته بعد اللقاء منزعجة، من أكثر من موضوع، شعورها بغروره، شعورها

facebook.com/the.Boooks

بتجاهل أهميتها في الجروب، شعورها بعدم ديمقراطيته رغم زعمهم عكس ذلك تمامًا ودومًا، وفوق كل ذلك وعلى رأسهم، تعصبه وتحيزه غير المُبرر والصاعق لكل حواسها وفكرها.

- من إمته انت بتنحازي للمسيحيين بالشكل ده؟
- من إمته انت بتصنف الناس مسيحي ومسلم؟
- دي حقيقة لا يمكن تجاهلها، وياريته تصنيف عادل، عشرة خمستاشر في المية من شعب كامل هم اللي مسيطرين على سوق الدهب، وسوق الصيدلة، وغيره، لأ وليهم مناطق مخصوصة شبرا، ميدان الجامع، الزتون، وطبعًا الصعيد، وغيرهم، ولا كإنهم أقلية! انت بس اللي مش واخدة بالك، واحدة واحدة قاعدين يفرضوا نفسهم زي التعابين، فجأة تبصي تلاقي لوجو غريب على بعض العربيات، وتكتشفي انهم بيميزوا نفسهم، هو احنا في حرب؟ وبعدين تلاقي صلواتهم مفروضة فرض في التلفزيون المصري، إش حال ما إحنا دولة إسلامية؟؟ لأ وإيه؟.. فاضحنا أقباط المهجر قال إيه اضطهاد! اضطهاد إيه؟ ما خلاص دلوقتي بيسموا مرقص وجرجس وبطرس، هو لو فيه اضطهاد، كانوا عملوا كده؟؟
- كل ده جواك وأنا ماعرفش؟؟ أحب أقلك يا حمزة، إن تصرفك انك تلغيه من

facebook.com/the.Boooks

مرشحين اللجنة رغم كفاءته ده في حد ذاته اضطهاد!! وإذا كان فيه قلة عاملة شوشرة من أقباط المهجر عشان يسهلوا لقرايبهم الهجرة، فده مش معناه ان كلهم وحشين! المفروض يسعدك إن الأقلية في بلدك بحرية انهم يسموا أسماءهم اللي تخصم، وبتتعرضلهم صلواتهم اللي كام مرة في السنة وخلاص!

- إنت أصلك دايسة في الطيبة قوي ومش عارفة حاجة! أنا على ناصية شارعنا فيه عربية نقل كبيرة بتحمل لبس واحتياجات كتير كل تلات شهور، عارفة بتروح فين؟ الصعيد.. الكلام ده بقى مش عشان المسيحيين الغلابة اللي هناك! ده عشان المسلمين الغلابة! فاهمة؟ بيبشروا ويدعو الناس للمسيحية! سامعة؟!

سكتت متوترة، سألته إن كان أكيدًا وهو جد أكيد، اهتزت لكن لم تتغير! هي تفهم جيدًا معنى التعايش، وتفهم جيدًا جدًّا أن أولاد البلد الواحد، ليس عليهم سوى الالتحام والتوافق!

- ممكن تسمعني؟ تنكر ان فيه ناس بتسمي نفسها شيوخ بتزرع في أذهان الشباب دايمًا ان المسيحيين دول أعداء وكفرة؟ هم هناك عندهم نفس المشكلة، جروب متطرف بيعرف ينشر أفكار مسمومة مش مضبوطة!

facebook.com/the.Boooks

- يعني عاوزة إيه بالضبط؟

- عاوزة أقلك ان في النهاية، الصح من ناحيتنا ومن ناحيتهم، اننا مانحاربش بعض، احنا بنشرب من نيل واحد، وبنتنفس نفس الهوا اللي مليان بحرق قش الرز! فكَّر نبيك لو كان لسا عايش، كان هايعاديهم.. ولا هايتعايش معاهم بأخلاقه؟؟

سكت متوترًا أيضًا وهي تسمع تنهده الحارق وتستشعر عدم رضاه، لكن أيضًا تستشعر سريان كلماتها في رأسه - طب انت عايزه إيه دلوقت؟

- تختار سامي من أعضاء اللجنة! وتديله حرية الاختيار زي بقيت الأعضاء.

- يعني أعمل كده عشانك؟؟

- مش عشاني! عشان نفسك، لازم تثبت لنفسك انك إنسان متصالح مع الناس كلها، وماعندكش مشكلة من حد، مش ده كلامك؟

- لكن كلهم هايفهموا انه عشانك!!

- انت قدوة كل الجروب وانت عارف! لازم الشباب يفهموا ان مافيش اعتراض على سامي لأنه مسيحي! احنا مش متعصبين هنا!! وكلمتين حلوين من بتوعك، والاعتراف بالحق فضيلة، هايقتنعوا على طول!

تركته يفكر، تثق أنه سيفعل ما قالته حتى دون اقتناع كامل، ليس لشيء،

facebook.com/the.Boooks

وإنما لأنه من أوائل من ينادي بالعدالة والمساواة في كل شيء! لا يحب الذهاب أبدًا ل"مارينا"، ليس لأنه لا يقدر، ليس لأنها مليئة بالعرايا، بل لأنه يشعر أنها احتكار الأغنياء! وليس لهم الحق في احتكار شواطئ المتوسط لسعادتهم!! لا يقنع أبدًا بمدينة "الرحاب" ولا مشروع "مدينتي"، لأنه يرى وبوضوح أنها تقديم غير متكافئ لفرص هي من حق الجميع إلى مجموعة معينة من الناس، يرى عصر الإقطاع يعود ببناء تلك الأسوار التي تفصل تمامًا حياة الأغنياء عمن سواهم! سيفكر حتمًا أنه يفعل الآن المثل مع "سامي"، دون أي وجه حق! وستظل وراءه حتى تثبت له أنها على صواب!

دون قصد تذكرت "مُعاذ"! يا إلهي لا تحب أن تذكره، كانت في سنتها الأولى في الجامعة لا تزال، وجذبها تدينه وأدبه، خاصة أن كان له وجه شديد الجاذبية تزينه لحية رجولية كاملة الروعة! كم وقفا يتحدثان بالحرم الجامعي، ويتقربان لبعضهما، وكسنة أولى كانت تتعثر كثيرًا في موادها الدراسية، خاصة مع الدكاترة والمعيدين متحجري الفكر، الذين ينظرون للطالب على أنه قطعة من الحديد الصدئ، وواجبهم هو محاولة صقلها، لم تكن من النوع المتبجح، كانت مؤدبة، البعض رأى في ذلك الامتناع عن المزيد، والبعض الآخر رآها فريسة لذيذة لتكون كبش فداء وعبرة ليعرف الجميع طبع الأسد

facebook.com/the.Boooks

ويخشاه! حتى جاء اليوم الموعود، واختلفا، وتشاجرا، وفاجأها بالمنِّ البغيض على ما لم تطلب من جم الجميل! المعيد الذي تورط في مقايضة درس خصوصي بالامتحان، أنا أوقعت به! عاملة المكتبة التي انقطعت أسبوعًا بسبب سرقة الكتب تحت إشرافها، أنا أخفيتهم ونلت منها، حتى الطالبة المغرورة التي هزئت منك وضحكت عليك أمام كل الطلبة بشماتة، أنا ورطتها في محضر غش ببرشام لم تكن تعلم عنه شيئًا!! أرأيت؟ أنا ظهرك، أنا فارسك، لا يمكنك العيش من دوني وإلا أكلوكِ دون وجه حق! انهالت عليه بالاعتراضات، من طلب منك ذلك؟ كيف تكون أداة إيذاء بهذا الشكل البالغ التوحش والدنو؟

- دول أذوكِ؟ نسيتِ؟ دي دموعك نزلت بسببهم؟؟

- أذوني وأذوا غيري، وانا ما طلبتش محامي! مش أسلوبي أرد الإساءة بأكبرمنها، ثم كتير منهم مأذونيش أصلا، أنا أهملت! وكان لازم أُساءل؟؟ عمري ما طلبت منك تئذي حد بإسمي!

كانت صدمته خارقة، ومُخيفة لحد بعيد!! رأت في عينيه شخصًا لم تعهده أبدًا من قبل!

- أنا عملت كل ده علشانك!! لو بعد كل ده... اتنكرتيلي! أنا مش هارحمك!

facebook.com/the.Boooks

كم جزعت من هيأته هذه، وتذكرت ما اعترف به توًّا! فردَّت:

- إنت بتخوفني يا معاذ! وكل اللي قلتهولي ده خوفني منك أكتر!

- أنا بحبك! أنا عمري في حياتي ما قلت كده لحد! ولا حسيت كده ناحية حد!

راحت هادئة تطلب منه أن يتركها تستجمع شتات نفسها، برقة مدهشة تخفي صمودًا غريبًا...

قالت: - أنا... مش عايزاك تزعل مني! بس انت كمان لازم تهدى، قبل أي حاجة انت.. شخص.. كويس، و... تقصد خير!

كانت تكذب! لقد خافت، وفكرت أن تأمن جانبه! تركت المراهقة توًّا وليست بالنضوج التي تحتاج لمواجهة موقف كذاك! أعطاها مهلة يومين، وكأنه يهددها! وكانا يومين عظيمين، فجأة رأته بمنظور آخر، يختلف تمام الاختلاف! لم يكن محبوبًا كما ظهر في أول مرة رأته وهو يحادث مجموعة ويذكرهم ببعض أمور دينهم! كان منطويًا لا صديق له! مهما تحدث إليه البعض هم في النهاية يتركونه عائدين لأصدقائهم! لم يكن متفوقًا أبدًا، في نتائج الاختبارات الصغيرة كانت درجاته مُخزية، ولم يظهر أنه تحرك لذلك! لم يكن ملحوظًا في الدفعة ولا بأي مشاركة، كيف أغفلت كل هذا؟ وأوقعت نفسها قيد براثنه بسذاجة منقطعة الشبه! إنه قطعًا مريض! حادثته بعد اليومين، تعللت

facebook.com/the.Boooks

بالامتحانات ولابد من التركيز فيها! تعللت بوالديها وملاحظة تأخرها عن جدولها، ويبدو أنه أدرك كم أخافها، فاستعمل سلاحًا آخر كان الأكثر في خلق التقزز في نفسها، كلما تحادثا وحاولت الهرب كان يبكي! ويكرر ألا يمكن أن يعيش من دونها، "إوعي تسيبيني!" فجأة تحولت وسامته الباكية لقبح جليٍّ! تأكدت أنها تكرهه! بكل ذرة في كيانها، كيف تهرب منه؟ كيف تنفد؟؟ ماذا تقول لأهلها؟ أنجاها الله! توفي والده، وانقلب مهزومًا مغلوبًا، وأخبرها عن نيته في الاعتذار عن الامتحانات، ثم صارحها أنه لا يملك ما يتقدم به لخطبتها، ثم تحول تمامًا حينما أخبرته أن والدها لواء في الجيش! ليتها كانت قالت ذلك قبلًا! كانت تخاف من ذكر ذلك حتى لا تُرهب الناس من حولها، فكم كرهت "النطنطة" التي كانت تعشقها أختها "نورا" بهذا الذكر!! بدأ "مُعاذ" يحدثها أنه لو أخطأ فقد أخطأ لحبه لها! وهو حب جنوني سيكون منتحرًا حينما يحاول الابتعاد عنه!! وتنتهي مأساتها حينما تُأكد له أنها سامحته تمامًا، ونسيت كل ما كان منه تصديقًا أنه كان بدافع الحب! وكأنه أمن شرها، تراه من بعيد، تبتعد، تبتسم بسرعة إذا ما صادفته وتختفي، ترى لحيته التي تحولت للحية شعثاء، مع سواد تحت عينيه جعلته أشبه بالمجرم! ظلت تقول لنفسها ألم تكن السبب؟ كلا ليست كذلك، ليس عليها أن تحمل ذنب من أذاقها ويلات ليالي طوال في قلق وخوف وتوتر لم تشعر بهما في حياتها، لكن شكرًا،

facebook.com/the.Boooks

شكرًا لظرف أثقلها وعلمها الكثير، وكان ربما سببًا في أن تخطط لحياتها في تركيز أكبر وبنفس أقوى وأكثر امتنانًا لمن أنقذها.. ربنا!

تشعر به، تعرفه قبلًا، الاكتئاب يزحف صوبها، لو أصاب.. سيفتك بك يا هَيبت! لمَ لا تخبر "سامح" أنها بحاجة ليومين في عزلة؟! لن يسكت بسهولة، لكن لو تذكر ما كانت عليه، لربما رضخ، يمكنها أن تترك الطفلين مع حماتها بصحبة المربية. زاد من تعكير صفوها اليوم المحادثة السخيفة في أول النهار مع الـ G.M. في مكتبها.

- عارفة حضرتك عندي معاد مع مين النهاردة؟ أكبر Designer في شركة عبيد، وهايمضي معايا إن شاء الله!

- مستر هيثم! لو سمحت توقف أي حاجة بالخصوص ده! إحنا عندنا Designers ممتازين ومش محتاجين بتوعهم!

- بس ده أكيد هايقلنا على أسرار المُعدة اللي مجننانه وهايدينا الـKnow-how بتاعها..

- Please! اعمل اللي بقلك عليه، وبلاش مستر رفعت يعرف حاجة، مرسي.

متى تكف تلك الحرب التي لم تعد تريدها أبدًا؟ سألت نفسها وهي تتحرك

facebook.com/the.Boooks

بسيارتها، ثم ضغطت على الفرامل بقوة! ظلت تنظر من زجاج سيارتها، أهو هو؟ عاد للوراء بسيارته كي يعطيها فرصة للتقدم، فتحت زجاجها لتسمعه..

- عندك مانع في واحد قهوة؟ ياريت مكان بعيد عن شركتك!

هناك ظلت صامته، ماذا حدث؟ تراه عرف بأمر مقابلة الـ Designer؟ لكن الأمر لا يستحق قدومه. تكلم أخيرًا...

- أنا.. مش عارف أقولك إيه؟ بس.. حسيت على الأقل اني مدين ليكي بزيارة! ماذا علّه يخبرها إن كان هو نفسه لا يفهم ما يفعله! سافرت "شيرين" بصحبة الأولاد ووالدتها للساحل لقضاء بعض الوقت، ليست أول مرة.. لكنه شعر بوحشة قاتلة، وفكر في .. "هَيبت". رغم أن الإقدام ليس من عادته فيما يخص الاجتماعيات! ظلت مُبتسمة، لن تفضح نفسها مجددًا أمامه، لن تتركه يشعر كم هي سعيدة، تكلم قليلًا عن أحوال البلد، كم كان مصطنعًا! بدا وكأنه لا يجد شيئًا آخر ليقوله، وبدا وكأنه يبحث عن الكلمات ليُنهي اللقاء، فيما جاء وفيما سيذهب؟ سارعت وعرضت عليه عرضها، كم هي صريحة ومباشرة! باختصار هي تعرف أنه لا يجد جدوى من سعيها هذا! لكنها ترى نفسها قادرة على إقناعه لو فقط ترك لها الفرصة؟ كالعادة يستفهم فقط بحاجبيه!! هو لا يتكلم

facebook.com/the.Boooks

كثيرًا، يستمع بعجب لرغبتها في أن يلتقيا أكثر ويتعرفا أكثر!!

"إنت ماتعرفنيش أصلًا!"، يتمنى لو يقول ذلك، لكنه بدلًا سأل:

- إزاي؟ ونجيب وقت منين؟ ونحفظ السرية إزاي؟، الموضوع مش سهل!

- يعني مهدي عبيد بيقول مش سهل؟

ابتسامتها فيها شقاوة، لا تتناسب مع تاريخها بذهنه ولا مع أناقتها الكلاسيكية، لكنها حتمًا تناسبه! وافق، واتفقا على أن يكون أول لقاء في مكان غريب جدًّا.. حديقة الأزهر، ليس في مطعم القلعة، ولا البحيرة! بل مشيا على الأقدام حول الحديقة، وافقها دون تفكير لا يدري لماذا، على غير عادته! كان لقاءً سريعًا مربكًا له ومسعدًا لها، الشيء الوحيد الذي أربكها هو كذبها على "سامح"، لا تحب أن تكذب، في الكذب ضعف! وهي ليست أبدًا من الضعف. هو اضطرها لذلك! لا يمكن أن تدعه يُفسد ما نجحت أخيرًا فيه مع أخيها.. أخيها! ظلت تسأله عن زوجه؟ سعدت إذ أجابها بكل اختصار أنه يحب زوجه، فهي ترى في هذا الرد علامة على المصالحة مع النفس.. كل ما يأزِّمها في سحر الشرق أنه ملتحم بتهميش المرأة!! أجل هي مسحورة بالشرق، ونشأتها في بلاد باردة أزادت من وطأة هذا السحر على كامل فكرها. تراجعت بخيبة أمل حينما رد سؤالها عن نفسها أن أكثر ما لفت نظره لها.."شياكتك!"

facebook.com/the.Boooks

وقفت وحركت خصلة من شعرها وراء أذنها كانت حاجزًا أمام نظرته لها..

تابع: "أكيد انت عارفة!" تعرف! لكن، معرفتهما السابقة بالكامل كانت تخص العمل، السوق، النجاح!

لكنه أجاب: "كل اللي يخص الشغل، بره الكادر!"، فهمت.. الرجل الشرقي من جديد! في حزمه غلظة، تُنفرها أحيانًا، لكنها ابتسمت رغم ذلك وقالت:

- زي ما تخيلتك بالضبط! انت طبعك شديد شوية.

- مش زي مانت فاهمة، أنا زوجتي بتعتبرني أحن راجل في الوجود، يعني.. بحب ادلَعها.

(أحن)، في "سامح" صفات كثيرة جديرة بالاحترام، لكنه أبعد ما يكون عن الحنان! فحينما ينوي أن يكسرها، لا يترك الساحة سوى منتصر!!

- مش ده مهدي؟

سمع كلاهما الصوت، لكن أحدًا منهما لم يلتفت ناحيته، استمرا في السير ومن الواضح أنه ينوي الرحيل، المكان الذي اختارته لهدوئه وبساطته "بحب أمشي وسط البسطاء"، وخضرته، يبدو أنه تسبب في مشكلة! رأت هذين الحاجبين قبلًا، حينما يتوتران، تتوتر معدتها بالمثل!

- إنت تعرف الشخص ده؟

facebook.com/the.Boooks

- على فكرة أنا كنت من الناس البسطاء دول في يوم من الأيام.. مش بهزر! "الشخص" ده كان معايا في الجامعة زمان، هو واللي معاه، بس زي مانت شايفة كده.. هم لسا من البُسطاء – ابتسم باستهزاء – وأكيد مش مبسوطين انهم يشوفوني بعد ما.. سبت البسطاء!

عاد لبيته يفكر في كل ما جرى، ما الذي يفعله؟ يريد أم لا يريد؟ أجل إنه مجرد شغف بدخول مثلها حياته عن قرب وبسريَّة.. فربما يُغير "رتم" حياته المعتاد، وربما هي أيضًا تشعر بذات الشيء وإن لم تعترف. ماذا تعلم عنه تلك المدللة على أية حال؟ لم يذهب للكلية بسيارة فارهة، لم يلبس الـ(سينييه) وقت أن كان مراهقًا يرتاد النوادي!! لم يدرس دراسات عليا في "Riti"!

بعد يومين طلب هو اللقاء! ماذا يريد أن يُثبت؟؟ لم يعلم أبدًا أنها تنتظره بوله زائد عن الحد المفروض! تلك المرة هو اختار المكان "بتحبي الأكل الصيني؟" فليس أهدأ من " Peking"!

- هو انتي إتعرفتي على جوزك إزاي؟

- كان معيدي في الكلية، عارف إنت نظام النظرات وكده،كان مميز جدًا، وجسم رشدي أباظة، شاطر،عاقل، فاهم؟ وأهم حاجة انه عجب بابا، بابا كان بيحب نظرية إنه بيشتري راجل، وعارف كويس إننا في زمن مافيهوش رجالة.

facebook.com/the.Boooks

- طب وهو طلع راجل فعلًا؟؟ ولا..

قاطعته - سامح من أرجل الناس! ده شيء مايكونش عندك فيه شك! – رفع حاجبيه - عمره ما استغلني أنا أو والدي، ثم انه إنسان أمين وأب ودوود.

- أمال ليه.. حسيت حاجة مش مضبوطة من إيميلاتك؟

- لأن.. لأن الدنيا دايمًا ما بتديناش كل اللي احنا عاوزينه! بس اللي أنا متأكده منه... ان اللي بينا اتغير!

تسعد حينما تبوح له، تسعد حينما يسألها، لأن ذلك لا يعني لها سوى أنها تعنيه! لا تدري لماذا أصبحت تتعمد أكثر أن تقابله بأقصى أناقة ممكنة! هل لأن ذلك ما امتدحه بها؟ في كل مرة تتكلم أكثر، وهي تعلم ذلك، وتنتظر بشغف أن يبادلها البوح، لكنها تنتظر بصبر كصقر أمام عش الفرخ، وكان حدثًا حينما علق أنها تبدو حلوة اليوم! انتشت وكأنها أول مرة تسمع كلمة غزل في حياتها! إنها تُعجب أخاها، وهذا بحد ذاته شيء أسعدها، بخلاف أنه ليس أي أخ، كان منافسها الأشرس في السوق، وهو رجل ناجح وقوي.

فكر أن يُسرَ لها بهذا السر الذي لا يعلمه إلا الله، ولا حتى والده، صديق عمره، أيضًا ليس لأنها أخته، وليس فقط ليلتقيا هناك دون توتر أن يراهما أحد! بل وشيء آخر.. ليريها أن له ملكًا خاصًّا فريدًا، أبعد ما يكون عن رأس أحد..

facebook.com/the.Boooks

المعادي! ليُبهرها به! قال لها مُصارحًا "إنت هاتبقي أول واحدة تعرف حاجة عن الموضوع ده!" وكم شعرت بالزهو! كانت شقة مُجهزة بالكامل، أثاثًا مريحًا إلى حد كبير، يبرز جمال الشقة واتساعها، وألوانه هادئة تريح العين. ولم تخف تعجبها من الفكرة! فأجاب عجبها:

- طول عمري كان نفسي يبقى ليه ملك! من حر مالي، مش من مال الشركة، مُقتنعة؟ ولا حاسة إني خاين؟

قالها يضحك، فضحكت من فورها...

- بالعكس! تصور إنها فكرة Gorgeous! عمرها ما خطرت على بالي.. بس اشمعنى المعادي؟

- عشان راقية، وهادية وعلى النيل! طول عمري، أنا وكل شاب مصري على فكرة، لما كنا نحلم نكبر، نحلم إننا هانجيب شقة على النيل، طبعًا العمران دلوقتي بيتجه بره القاهرة ونظام الـCompounds، رائع وكل حاجة، بس فضل الحلم القديم، وأجمل حاجة في الدنيا.. إنك تحسي إنك بتحققي حلمك!

شردت "هَيبت" نحو المياه المتلألئة، ودت لو تبتسم من جمال ما سمعت، لكن سألت نفسها، ماذا كان حلمها؟ بخلاف أن تقف مع والدها طوال العمر، فذلك في الواقع حلم ليس لها! لما لم يكن لها حلم خاص؟ أي حلم؟ مهما كان؟؟!

facebook.com/the.Boooks

قال:

- الفرش مودرن، البساطة حلوة! خصوصًا إن شيرين عاملالي البيت متحف! طالعة لأمها بتعشق الكركبة!

- إنتم مش Friends مش كده؟ بدليل إنها ماجتش معاك هنا! الأزواج فعلًا صعب يكونوا Friends – نظرت له – لكن الإخوات ممكن! -ابتسم مجاملة- أنا مبسوطة بيك قوي، you have a dream، وحققت الحلم! مانسيتهوش في دوامة الحياة، and you insisted! أنا حتى ماحلمتش إني أكون ناجحة، ده شيء كان تحصيل حاصل لأني كنت متفوقة! وكان والدي عنده Business

- ماخطرش في بالك، إني حلمت كتيرعشان عانيت؟ أصل اللي في إيده النعمة صعب يحس بيها!

- ليه مش راضي تنسى الموضوع ده يا مهدي؟ شوف انت دلوقتي فين؟؟

- عشان ده عمر! ما أقدرش أنساه، ولو نسيته.. هانسى أشكر ربنا علِّي وفقني ليه!

ابتسمت بعذوبة - انت مُتدين بقى!

- ولا متدين ولا حاجة، أنا بس بحترم ديني كويس وبحب اراعيه، وطبعًا الدين مش صلاة وصوم وعمرة وبس! إحساسك بربنا، وبرضاه وتوفيقه، في نظري..

facebook.com/the.Boooks

أهم حاجة في الدين!

أحب كثيرًا نظرة الدهشة في عينيها، فيما مضى لم يكن لينل مثلها من مثلها!

إنها مأخوذة به دون ريب!

قالت - كلمني عن أهداف تانية! أنا بتعلم منك.

راح يعد لها الأحلام، حجم أعمال ضخم، مشروعات في كل مكان فوق بقاع الوطن العربي، باح لها كم يغتاظ من دُبي! وكيف يعجب من تحول بقعة قاحلة من جهنم إلى أثر!! "كل شيء هناك مش على طبيعته! لأ وبلد مالهاش أهل! السيلانيين والهنود فيها أكتر من السياح نفسهم! شفتي بلد خدمه أكتر من زواره؟؟"، حدثها عن كراهيته الشديدة لاجتياح المنتج الصيني أيضًا "حاجة تقرف!"، فطبيعته كمهندس كانت دومًا تدفعه دفعًا للاهتمام المفرط بالجودة! كلمها كيف يُفسد المنتج الصيني ذوق الناس، كيف يُذكره بأن شعبه الفقير يرغي لسانه من أجل كل رخيص حتى ولو على حساب نفسه!! يخبرها بأسف عن غباء رجال أعمال كبار في مختلف المجالات فكروا فقط في تكبير شريحة المستهلك، فاتخذوا من التوكيلات الصينية بابًا، ولم يفكروا بعيدًا عن أقدامهم بشبر! لم يفهموا كيف ستنقلب رداءة قطع الغيار وعجز الصيانة عن الإصلاح فوق رؤوسهم وفوق رؤوس المستهلكين!! لكن إلى أن يحدث ذلك، سيكون المنتج

facebook.com/the.Boooks

المحلي قد مات! "زي ما حصل في القطن كده بالضبط!!"، وبدت شكواه من الفساد والغباء تؤرقانه فعلًا!! سبحان الله! كيف يظهر مرة بعد مرة بشخصية أكثر تفردًا؟ كيف يبدو عمق فكره شديدًا لهذه الدرجة؟ كلامه رائع، كلامه يتفق وأسلوبها في التفكير، غير أنها لم تفكر في صولبة أفكارها وردود أفعالها تلك أبدًا!

- كلامك كلام رجل صناعة مش Business Man، إنت ليه ما فكرتش تصدرللخارج، Europe مثلًا؟؟

أوقفت سيله بصخرة! سكت لحظات تطاير فيها العجب كرائحة الكحول...

- بصراحة أنا مش حاسس إن فيه مستقبل في مصر! الحكم مش مستقر، إوعي تصدقي إن جمال جي مية في المية...

- جمال جي ميه في الميه!- قاطعته - إزاي عندك شك؟؟

- يعني... فيه رأي بيقول ان ممكن الجيش يعترض وساعتها هاتبقى معصرة، ومع هذا وحتى لو... فيه إنذار قوي جدًّا على ثورة جياع قوية جيه هاتقضي على الأخضر واليابس، انت عارفة احنا تضاعفنا من أربعين لتمانين مليون في قد إيه؟ في تلاتين سنة!! والمعدل ده هايفضل شغال! وعشان كده أنا مقدم على الجنسية الكندية، عشان ساعتها هايكون القعاد هنا...

facebook.com/the.Boooks

كانت قد صُدمت وانتهى الأمر فورما نطق! كلما اقتربت منه إنشًا، ابتعد ميلًا!! قامت مُتجهة للشباك كحركة عادية ليست في حقيقة الأمر سوى محاولة خفية منها لتهدئة عصبيتها الوشيكة! قالت تنظر لمياه النيل الرمادية:

- مش عارفه ليه حسيت انك بتحب مصر!.. أصلي بحب مصر، قوي! ماتستغربش، أنا قصتي معقدة!

- أنا بحب مصر يا هَيبت، لكن أنا بكلمك على واقع!

- بتحبها ازاي؟ هو اللي يحب حد يفكر ازاي هايسيبه أول ما يمرض؟؟ ثم واقع إيه؟ انت هاتعمل زي اللي بيقولوا بنحب فلسطين بس بيتكلموا على التطبيع على أساس إنهم بيتكلموا على واقع؟؟

- طب ما دي حقيقة فعلًا، عمرنا ما هنقدر نهرب منها!

نظرت إليه تكاد عينيها تأكله! قال - هَيبت، المفروض إنك business woman، والمفروض...

- المفروض إيه يا بشمهندس؟ ألغي إحساسي؟ مايكونش عندي أي ولاء لبلدي؟ المفروض ثقتي في أحلامي الشخصية هي بس اللي تعيش، وثقتي في أي خير للبلد دي تموت؟ إزاي تقول كده؟ إزاي؟؟

- ممكن تهدي؟.. أنا مندهش، أول مرة بلاقيكي عصبية كده، علشان مصر؟

facebook.com/the.Boooks

ولا فلسطين؟

- لأ! علشان Frankly.. أنا اتصدمت فيك!

- هَيبت! لو مش عاوزة تسلمي بوقائع بنعيشها تبقى دي مشكلتك إنت!

المفروض تتعاملي معاها كمان مش بس تسلمي بيها.

- يعني انت.. انت فيه علاقة عمل بينك وبين اي جهة إسرائيلية؟؟

زم شفتيه "لأ! بس ده مش معناه إني نفسي السفارة الإسرائيلية تنفجر باللي فيها وكده، البلد مش ناقصة!"

نظرت مُحدقة ببئري العسل المنفجرين من عينيها لكل عين من عينيه على حدا للحظة...

- معقولة مانفسكش؟؟ أول مرة، أحس إننا مش معقول نبقى اخوات!

تجاهل تعليقها وأصر - الهيجان والعواطف دي للشباب! إحنا علينا نشتغل!

بشكل هازئ حادثت نفسها تُسمعه - نشتغل ونحوش لنفسنا، وفي أي لحظة نقول باي باي!!

لماذا كان اللقاء صادمًا؟ لماذا كان سخيفًا؟ لماذا؟؟ لم يستطع أحدهما أن يجيب عن هذا التساؤل، ظل يُذكرها بنشأتها في الخارج! ظل يكرر كم أن أمرها وفكرها غريبان! لم تجادله، نزلت من عنده تعاني الاختناق! تعلم أن

facebook.com/the.Boooks

فكرها يبدو غريبًا! إن كان "سامح" نفسه يرى ذلك؟ كم جادلت زوجها فيما مضى، ما دخل نشأتي؟ "أنا عربية مصرية مسلمة!!"، يجيبها باستغراب سائلًا، متى وكيف سمعت عن فلسطين أساسًا!! بدا سؤاله غريبًا...

هي تذكر أم صديقتها الفلسطينية في إنجلترا، كانت المنفذ الوحيد لديها هناك، أول ما سمعت كانت قصة موسى –نبي بني إسرائيل- الذي توفي في التيه، "يعني إيه تيه؟"، تجيبها السيدة الحنون "يعني في الصحرا بنتي، من غير ما يدخل لفلسطين!!"، ولم تفهم وقتها كثيرًا عن قصة معاقبة الله لليهود بسبب تفريطهم في أرضهم، ثم سمعتها مرة أخرى حينما كانت القصة عن عمر بن الخطاب، فتح فلسطين، وكيف كان مكتوبًا لدى اليهود وصف فاتحها، سألت بدهشة "اشمعنى فلسطين؟ إيه حكاية فلسطين"، وكان الرد وقتها مختصرًا... "أصل فيها القدس!"، وكأنها عبثًا تعلم معنى القدس!! لكنها لم تسأل خجلًا! ثم رأت في التلفاز أعمالًا سريعة للمخرج العالمي "يوسف شاهين!"، "داد، عاوزة أشوف فيلم صلاح الدين ده... ينفع؟"، وكم تأثرت به! كم تأوهت ملامحها الدفينة ودمها الحار من هذا الفيلم، وبدأت بشكل أكبر تشعر بمعنى "فلسطين"! في المعمل الخاص بأجهزة الحاسوب في المكتبة، كتبت في الباحث كلمة "فلسطين"، ورأت صورًا آذتها طويلًا، وظلت تظهر في أحلامها لسنوات! تتداخل معها ومع أسرتها كثيرًا! لقد فهمت هنا معنى

facebook.com/the.Boooks

الخوف! وحينما عادت إلى مصر، ووجدت جذرها الحبيب، فهمت هنا معنى الأرض! وحينما كانت تُعد بحثًا عن المصريين الحائزين على نوبل، ذهبت لأبيها متأثرة!

"داد، هو ازاي الرئيس السادات أخد Nobel peace prize لسلامه مع إسرائيل؟ مش إسرائيل دي اللي اغتصبت فلسطين؟؟"، ولم يبد أن أحدًا قادرًا على أن يطفئ النهم الصغير المشتعل بفكرها وقلبها!

جاء موعد اختيار اللجنة لـ(لوجو) الحملة، كانت القاعة ملأى بالحاضرين، احتشدوها بعد الانتهاء من اليوم الدراسي، جلس الطلاب وأكثريتهم من السنة الأولى ومحبي الـ(Graphics) والتصميمات، جروب "شباب نهضويين" من أكثر الجروبات انتشارًا وشعبية على مستوى الجامعة، والأكثر عددًا من حيث الانضمام لصفحة الـFace Book، والانضمام لأي حملة من حملاتهم يعد عملًا إن لم يدع للفخر فهو يدعو للشهرة! أربعة فقط من جلسوا كلجنة للحملة، يتحدث رئيسها "حمزة رشاد" بداية عن تطوراتها والإجراءات المستقبلية المنوط بها لكل المشتركين، بشكل منظم يثير الإعجاب، ثم بدأ استعراض العشرين (لوجو) الذين تم تصفيتهم من كل التصميمات المرسلة على جهاز عرض

facebook.com/the.Boooks

وتكبير، كان على كل من أفراد اللجنة أن يمسك (المايك) ويعلق على أسس اختيار التصميمات من بين الأعداد الهائلة والجميلة أيضًا التي لم يتم اختيارها، ثم تم تصفية خمسة منهم، وطلب من كل طالب صاحب التصميم المعروض أن يخرج ويشرح فكرته وكيف تأثر بأهداف الحملة في اختراع الـslogan، وقام كل الحاضرين بمناقشة كل مصمم بشكل مفتوح، علق "سامي" على أحد التصميمات التي تصور مجموعة من الشباب هم فتاتين محجبتين وثلاث شبان أنه يشير لفكر متحيز غير سوي، حدقت "هدير" فيه ومسحت المدرج مسحًا بأعينها ترى ردات الفعل، بدأ الطلاب يردون بدلًا من المصمم بنهم أن هذا التصور مطروح وموجود لأن نسبة المحجبات تعلو نسبة المتبرجات، وأن التركيز في لوجو مماثل يتمثل في الإشارة لأنهم شباب جامعيون يدرسون، وأنهم مجتمعون في مكان ما للقراءة، وليس التركيز على ما يعلق عليه "سامي" الذي صمم على رأيه سائلًا إياهم "يجرى إيه لو بنت من دول كانت بشعرها؟"، بدأ الجو يعلو صخبه، "على فكرة إحنا دولة إسلامية يا أخ!" ويتصايح البعض "إيه جو الإرهاب اللي احنا فيه ده؟" وظهر صوت فتاة "على فكرة هية دي العنصرية بعينها!"، حاول "حمزة" أن يطرق المنضدة بيده ويهدأ الجموع صائحًا "يا جماعة مش كدة!"، لكن ثمة حوار في الخلف تصاعد بين الفتاة وشاب يسائلها عن نادي الكنيسة الذي تقضي به إجازة

facebook.com/the.Boooks

نصف الأسبوع بينما ناديه هو الشارع! وعلا صوته "ناقص تقوليلي ان كلمة (اقرأ) دي أول كلمة اتقالت في الإنجيل!"، وانهال عليها الجمع دفاعًا وهجومًا انطمس فيه صوت الفتاة ومن معها كلية! وقال "سامي" فجأة عبر المايك الذي أخذه من "حمزة": - ما كنتش أعرف إن الجروب بتاعكم عبارة عن جماعة إسلامية!!"، انتزع منه "حمزة" المايك غاضبًا وقال بعصبية أخفضت الضوضاء بالقاعة:

- لكل الناس اللي قاعدة هنا النهاردة! واللي جت لهدف نبيل كلنا عارفينه، - نظر إلى سامي – لو الجروب ده إسلامي فدي حاجة مش تُهمة! لكن هو أساسه النهضة، زي ماه واضح من اسمه! والدليل على كلامي هو وجودك انت نفسك هنا يا سامي! كان من حقك تقول رأيك في التصميم من غير ما تعمل مشكلة! لو سمحتوا المصمم اللي معروضة لوحته دلوقتي يتفضل.
لكن الطالب الذي تقدم، قبل أن يبدأ، دخل "عم حسين" فراش الدور وهمس ل"حمزة" أن الضوضاء التي هدأت توًّا أثارت أحد الدكاترة الذي سأله عما يجري، وعليهم إخلاء القاعة فورًا! اعتذر "حمزة" للجميع، وطلب من الخمسة طلبة المختارين ألا ينصرفوا كي ينضموا إليهم في مكان آخر لعمل التصفيات النهائية، كان "حمزة" يتحين لانتهاء اللقاء كي يحاكمها، هي تعلم! لكنه لم

facebook.com/the.Boooks

يجدها بعد أن انفض الجمع أساسًا! كانت قد لحقت بسامي تواجهه...

- ليه عملت كده؟

- عملت إيه؟علقت بشكل هادي وعادي على لوجو ماعجبنيش! أنا مش من أفراد اللجنة ولا إيه؟

- إنت عارف ان المقياس الوحيد كان توصيل اللوجو لمعنى وهدف الحملة مش حاجة تانية! انت بوزت الاجتماع! مش واخد بالك!

- طبعًا! لازم تقولي كده، لازم العضو اللي بوز المسابقة يكون العضو المسيحي الوحيد اللي كان موجود! وبكرة الفكرة هاتتقال على صفحتكم على الـFace Book! أنا اللي غبي إني وافقت أدخل معاكم!

- سامي! إنت أَلفت قصة طويلة مالهاش أساس من الصحة! لو كنت صحيح خايف على سمعتك كنت عملت اعتبار لده قبل ما تقلب الصالة اللي كانت مليانة حوار منظم ومتحضر لصالة فتنة!

- حوار متحضر؟ انت ما تعرفيش إن الحرية من أسس التحضر؟ الحرية اللي انت بتلوميني دلوقتي ان أنا استخدمتها، كإني إنسان محظور لازم ياخد باله من كلامه؟

- حريتك تقف عند حدود حرية الآخرين يا سامي! عارف كدة ولا لأ! كل

facebook.com/the.Boooks

إنسان عاقل لازم ياخد باله من كلامه! إنت اللي فتحت سيرة التحيز ولَّمحت للديانة! عاوز تطلع كام كلمة مكبوتين جواك ده حقك! بس انت اخترت المكان الغلط!

- أنا مش متوقع منك ومن اللي زيك انكم تنصفوني! الله أعلم انتم مخططين إيه تاني؟

- مش من حقك تكلمني بالشكل ده ولا تلمح لنوايايا، شوف! مش هاقلك أنا أصريت انك تبقى عضو لجنة لكفاءتك، لإني لو أعرف ان دي أفكارك أكيد ماكنتش هاعمل كده! بس هاقلك حاجة تانية، عمري ما هاسكت ليك ولا للي زيك سواء مسيحي أو مسلم، عاوز يفرض عقده على المجتمع كله! كل واحد فيكم عاوز يبقى ضحية وصاحب حق بشكل مختلف، وطز في الوحدة اللي ماصدقنا نحس بيها، طز في الفرصة اللي بنديها لأي عدو عشان يدخل ويربع، هاتشوف بكرة أنا هاعمل إيه على الـFace Book!

تركته وانتفضت ذاهبة إلى سيارتها وقد أوصلها لمرحلة غضب لم تشعر بها منذ زمن! أخيرًا أجابت رنات "حمزة" التي لا تنتهي "إنتى فين؟ ومابترديش ليه؟"

- قبل ما تقول أي حاجة! ماتلومنيش على اللي حصل! أنا مش غلطانة! مش عشان أنا مش عاوزة أعتذر، بس عشان كون سامي إنسان مُعقد مش معناها

facebook.com/the.Boooks

ان كلهم كده!

- لأ كلهم كدة! كلهم عندهم العقدة دي عشان هم أقلية!

- الأقلية لو بتتعامل كويس مش هايكون عندها عقدة، هايكون فيه تلاحم واتزان.

- ده على أساس انهم ملايكة! مش أقلية وكمان عاوزين يسحقوا الأغلبية! كلهم كده! كلهم!

- لو كلهم كدة كنا احنا كمان كلنا زيك، لكن اللي زيي لسا موجودين! حظي بس اللي وحش انه جه مع البني آدم سامي ده!

سكت بغتة، وقال بعدها - إنت كنت معاه؟

سكتت متنهدة وردت بالإيجاب، قال بصوت عابس

- وعشان كده ما ردتيش عليه؟

سكتت تفكر كيف تجيب – قلتيلي أصلًا إنك هاتعملي كده؟

- حمزة! أنا كنت متنرفزة جدًا ومش مركزة، وبصراحة خايفة تقعد تقطمني بعد اللي حصل!

- يعني هو أنا بعرف أتكلم معاكي كده لوحدينا لما هاتقفيلي مع سي سامي ده؟

facebook.com/the.Boooks

صوته ناعم، بعث بصورة رائعة في خيالها، ابتسمت رغم كل ما هم فيه، انتشت لعدم غضبه ولحديثه الناعم، ردت بارتباك - إحنا أصلًا كنا بنزعق

- طيب يا ستي، وقفيني قدامك وزعقيلي زي مانتي عاوزة، وخليني أملي عيني منك وانت بتتكلمي، وفي الآخر خالص أصالحك وتبتسمي لي، وأشوف ضحكتك.

سكتت، قالت اسمه بهدوء تحذره من انصياعه نحو هذا المنعطف، رغم أنها تتمنى! أرسل تحياته لـ"مهدي" وأغلق الخط، كان هذا آخر ما توقعته بعد جو التوتر والفشل الذي حدث، ولذلك فهي تحب هذا الفتى، تشعر أنه حاصل على الدكتوراه الفخرية في معاملة الجنس الناعم!

facebook.com/the.Boooks

(٥)

تجدد اللقاء بين الأخوين الجديدين! تسأل "هَيبت" نفسها إن كان يلتقي بأحد غيرها في هذه الخلسة! والتراب لا يكاد يمس أثاث شقة المعادي تلك!! ترى هل في حياته امرأة أخرى؟؟ تسأله عن النساء في حياته بجرأة! يتلقى "مهدي" عينيها المتسائلة بأيد لاقفة دون أن يبالي..

- بصي.. شيرين.. الزوجة اللي اتمنتها، هادية، رقيقة، بنت ناس، بتقدس الأسرة، أكتر حتى من حياتها! – تذكر والدته، لكنه لم يأت بذكرها – ليها أخت صغيرة، ربيتها، شفتها بتكبر قدامي وبتقرب مني وانا سعيد بالقرب ده، ومش متخيل حياتي من غيرها!

- انت لسا ماردتش على سؤالي!

ابتسم بشكل ماكر، داعب توجساتها، تنهد، قرر أن يتم ما بدأه..

- كانت فيه واحدة.. بس زي ما تكون عقرب، بتكرهيه لكن قرصك خلاص.. وعارفه إنك مش هاتعيشي إلا طول ما هو موجود.. عشان معاه الترياق!

ارتعشت لاعترافه الغريب، ارتجت أمام كشف المستور، وتساءلت إلى أي مدى غاصت اللسعة وأودعت السم؟؟ قال صدقًا بقربه من الله!! وغارت على "شيرين" بحاسة الزوجة! لكن لو فلت ما بداخلها ربما يعود هو فينكمش.. وربما يندم! حاولت أن تبتسم وهي تسأل:

facebook.com/the.Boooks

- على طريقة كاظم الساهر؟ (أكرهها وأشتهي وصلها).. ولا انت فعلًا بتكرهها؟

"مش عارف!" ود لو يقول ذلك، لكنه بدلًا سأل مداعبًا:

- كاظم الساهر؟ صاحبتنا رومنسية قوي! أخيرًا لقيت تشابه بينك وبين شيرين.

- دي مش رومانسية، حبي ليه نتيجة لإحساسي إن أغانيه فيها احترام للمرأة، فيها تقدير.. ويمكن تقديس، وده في نظري أقوى بكتير من مجرد حب.

طبعًا تمنت لو يحكي لها أكثر، تمنت لو تعرف من هي؟ تمنت أن يأمنها وتمنت أن تعرف في ذات الوقت، لكنها امتنعت، فهي تريد أن تدخل (كادر) النساء في حياته، لكنها بالتأكيد تتعجل الأمور. وحينما خانها لسانها وسألته عن إحساسه بوالدتها.. اشتعل الجو! صب في كوبها المزيد من القهوة وناولها إياه، ثم اتجه للمكتبة يسألها عن رأيها، لابد أنه لم يحن الوقت بعد! بعض الأمور لن تستوي بين اثنين..

- كالمعتاد أنا ما قرتش طبعًا كل الكتب دي!

قالت تقرأ العنوان (التعريفة الجمركية)، - وده كتاب ولا مرجع!

- انت درستي MBA أنا بقى مادرستهاش، بس قريت لوحدي، وهاتلاقيني

facebook.com/the.Boooks

أشطر منك! – نظرت له مُستنكرة – عارفة ليه؟ لأن كان عندي هدف! وكل ما كان الهدف أصعب، كان بيحمسني أكتر! ويقويني أكتر.

جلست في استرخاء، هي أيضًا كان هدفها جليًا، أباها وعمله، لكنها لن تسمح لتلك العلاقة أيضًا أن تكون تحدي! ليس هذا ما تريده الآن! ليس ما تريده أبدًا مع أخيها.

وقعت عيناها على صورة له مع امرأة محجبة، سألت بريبة

- هي شيرين محجبة؟

باستنكار أجاب - طبعًا!

- وطبعًا ليه يعني؟ الحجاب مش مقياس لأي حاجة على فكرة!

زم شفتيه وزفر زفرة مستهزئة، فقالت - يااااه؟ إيه؟ للدرجة دي أنا قلت حاجة عجيبة.

- أصل كلامك ده، بيفكرني بناس كتير قابلتها في حياتي، ناس غريبة! مرة يقلك الحجاب مش فرض! ومرة يقلك فيه محجبات بنشوفهم كل يوم في أوضاع مخلة في الشارع مع شبان! أو بيروحوا شقق مفروشة، وقال إيه ياما واحدة مش محجبة أخلاقها أحسن من المنقبة!

- This is true دي حقيقة!

facebook.com/the.Boooks

- ده زيف مش حقيقة، مش عشان ما بيحصلش.. لكن منا ممكن أقول: مش كل مسلم يبقى كويس، فيه مسلمين مرتشيين، أو بتوع بارات.. هل معنى كده اننا ماندخلش في الإسلام؟ كلام يضحك! مش الأشخاص هي اللي بتحدد كُنه الشيء، إنما الشيء نفسه وفهمه الصحيح هو اللي يحدد ده! يا ترى فاهمة؟ - رأى منها نفورًا – طبعًا أنا مقدر نشأتك وتأثيرها على موقف زي ده.

- مالها نشئتي؟ على فكرة (أنّى) والدة بابا كانت من الأتراك المحافظين وvery strict! إحنا متربيين على دينا كويس قوي! كل الحكاية إننا مش واخدنها مظاهر وخلاص.

- مين قال المظاهر وخلاص ده شيء صح؟ لكن المظاهر مهمة يا ستي، الدين أصله النوايا لكن فيه حاجة اسمها عبادات، وإلا كان ربنا شرع لنا نصلي بقلوبنا وخلاص!

تنهدت "هَيبت"، كلامه يهزها، قالت مدافعة:

- أنا عندك for Example، صحيح مش محجبة، لكن فاهمة كويس يعني إيه حرام! مش مواظبة على الصلاة بالمسطرة، لكن بحترم ديني كويس، وماتلاقيش غلطة في أخلاقي أو سلوكي!

- انت نموذج غلط! –رفعت حاجبيها مأخوذة – أنا آسف طبعًا، بس صدقيني

facebook.com/the.Boooks

النموذج اللي زيك ده أنا شايفه غلط، وبيشجع الناس تمشي على مزاجها!!
ومُربك للناس الملتزمة! مين قال ان احنا مسموح لينا نختار اللي على كيفنا
ونسيب اللي على كيفنا؟

- بس أنا فعلًا أفضل من محجبات كتير!

- التفضيل ده حكم سطحي، الله أعلم مين أفضل من مين، كل واحد بيحاول اللي بيعمله، لكن طول مانتي فاكرة نفسك أفضل تأكدي انك مش الأفضل ولا حاجة!

ابتسم ليُذيب الجليد المتكاثر، لم يستسغ الحكاية لكنه قال - لكن قوليلي، سامح.. موقفه إيه؟

- سامح عمره ما بيضغط عليه في حاجة زي دي! أصله مبدأ محتاج الاقتناع في المقام الأول، ولا انت غصبت على شيرين؟؟

- أغصب إيه إحنا مش في عصر الحريم – دخل المطبخ أمريكي الطراز وأفرغ محتويات الكيس ليعد مزيدًا من القهوة – هي لوحدها اتحجبت بعد ما جبنا ملك، طبعًا كنت كلمتها أكتر من مرة وكانت مفهماني ان ده أكيد هايحصل قريب، وبس!

- ويا ترى فاهمة أصول دينها زيك كده، ولا اعتبرت ان بحجابها هي عملت

facebook.com/the.Boooks

اللي عليها وتمام!

تعكر ما بين حاجبيه - طبعًا فاهمة!

- أصلي متعقدة من مجتمعنا قوي! الست بتبقى في أحسن حالاتها بالنسبة للراجل لما تكون فاترينا ممتازة، ومش مهم إيه جوه! – لم يرد، فاستطردت – أكره ما عندي بقى نظام الجينز والاسترتش مع الحجاب! أنا اتربيت أعمل الحاجة صح! يا مقتنعة يا مش مقتنعة! أكيد انت معايا!

ابتسم وقد لمعت عيناه تخفي شيئًا - عندك حق!

كان قد أدرك شيئًا وخزه بشدة! أنه توًّا كذب، وكذبه يشينه أمام نفسه لأبعد حد! وكل ما أنهت كلامها به صحيح! أجل هو – وللأسف- صحيح! فلا تفهم "شيرين" إلا صغائر الأمور التي تحتاج معرفتها لممارسة حياتها اليومية!

تذكر جليًّا أنها حينما دُعيت لصلاة جماعة أثناء تجمع في رمضان فامتنعت! وحينما سألها أجابته بكل بساطة أنها لا تعرف كيف! أما عن القرآن فهي لا تمسه سوى في رمضان، ولا تقوى على قراءة أكثر من عشرة أجزاء خلال الثلاثين يومًا! لم ير في هذا كله سوى أنها مدللة ولا تقوى على المزيد من أي شيء! ترى هل هو رجل عادي جدًّا وارتضى من الزوجة أن تكون هذه الفترينة؟؟ أرسى جده له ركائز التدين، لكن من سيرسيها لأولاده؟ رغم أن ما قالته "هَيبت" بالحرف يتفق و"شيرين"، فهي على خلق، شفافة كالمياه، الكل

facebook.com/the.Boooks

يضرب المثل بحسن معشرها! ومحجبة! لكن ماذا تعلم بعد عن دينها؟ ساءه كثيرًا أن يلتفت فجأة هذا الالتفات، وتذكر أنه سيُسأل عنها، وقرر أن تكون له وقفة مع زوجته...

على صفحات الـFace Book وبعد أن نشرت "هدير" تعليقًا مفصلًا عما حدث، مجمله ما قالته لـ"حمزة"، من أن شخص مثل "سامي" ليس مقياسًا لمدى العلاقات التي يجب أن تربط أصحاب الديانتين، وأنهت تعليقها بتذكيرهم بمدى التحضر الذي لاقته المحاضرة قبل حدوث المشكلة المتفاقمة، انهالت عليها تعليقات مُخيبة لآمالها تمامًا، مثل أنه لو لم يكن هناك من البداية لما حدثت المشكلة، أو أن نواياهم تظهر على حقيقتها في مثل هذه المناسبات، أو أن ليس عليهم عمل اختبار لسلوك ونفسية الأشخاص كي يتأكدوا من نواياهم، وأشياء كثيرة من قبيل ينم عن البعد الشديد والغضب الأشد لما حدث! لكن أكثرهم إضرارًا بها كانت التعليقات من نوع أن أمثالها من المتهاونين هم السبب في أن تحدث مثل هذا المتحذلق عن دينهم! وأنها ظهرت على حقيقتها وأظهر موقفها ما يخفيه الحجاب!! وبدأ "حمزة" يتدخل ويرفع عنها كيد الاتهام العتيّ الذي صدمه هو شخصيًّا! فالتفت حوله الاتهامات وانقلب ضده

facebook.com/the.Boooks

المنتظرين لفرصة مماثلة، وبدؤوا يلمحون للسبب الحقيقي وراء دفاعه عنها ووراء موافقته على إدخال "سامي" من البداية! وكأن الطلاب لا شغل أو شاغل لهم سواها ! التعليق تلو التعليق دون انتظار!! أعضاء الجروب في سكوت عظيم! لا مع ولا ضد! لكنهم بذلك ضد!! لا يدرأ عنها أحدٌ أمرًا كأنهم على ما يُقال موافقون! هاتفها "حمزة"، ووجد دموعها أنهارًا ، وكلاهما جالس أمام التعليقات المتقاذفة الضارية التي لا تنتهي، قال - إنت بتعيطي؟

- أنا صعبان علي نفسي! كل دول كانوا بيشهدوا لي بالحكمة والتوازن... خلاص! نسيوا كل حاجة! بدل ما سامي يكون المتهم، بقيت أنا المُتهمة؟؟ مافكروش ليه أنا عملت كده؟ مافكروش ليه ممكن أقف مع المسيحيين وأنا مسلمة؟

- طيب بطلي عياط عشان خاطري! ماتنسيش إن دي أول مرة الجروب يواجه مشكلة زي دي! أنا مش زعلان بالعكس، المواقف دي هيه اللي هاتقوينا وهي اللي بتورينا العدو والحبيب.

- حبيب؟ إنت شايف أي حبيب؟؟ غير رأيين تلاتة (يا جماعة بالراحة على هدير)، كإني صعبت عليهم وبس! ثم جروب إيه اللي بتقول عليه، ماحدش فيهم نطق ولا اتدخل! غيرك! ويا ريتك ما كنت تدخلت! شفت قالوا إيه؟؟

facebook.com/the.Boooks

- يا هدير إهدي، أنا مش هاممني كلامهم، ماقدرش أسيبك لوحدك قدام كلام نصه مغالطة، طز في أي حد عاوز يولع بينا! صحيح كدة كدة احنا اتفقنا على تأجيل موضوعنا.. لكن ده مش معناه...

قاطعته - بص! انت شايف اللي انا شايفاه؟؟

قرأ حمزة التعليق "من سنتين اشترك سامي وهدير واتنين تانيين في مشروع مجسم الكنيسة الُمعلَقة، وكان الدكتور مسيحي! وهدير أخدت امتياز.. فكر!"، ثم قال لها غاضبًا:

- مين آيات دي؟ إنت تعرفي البنت دي؟ كل تعليق بتقوله أنيل من اللي قبله!!

حاولت "هدير" دخول الـProfile الخاص بها فوجدته مغلقًا إلا للأصدقاء، ونظرت في اسمها مليًّا، وأصرت أنها أبدًا لا تعرفها! وجدت "حمزة" يكتب "الأخت آيات، واضح ان جواكي حقد عظيم ماحدش عارف سببه! هدير لا غبار على درجاتها ولا علاقتها بسامي ولا الدكتور المسيحي، لكن أنا عاذرك، مافيش حاجة في هدير ماتخليش أي واحدة تغير!!"، صاحت به "هدير" حنقًا:

- إيه اللي انت بتكتبه ده؟؟ انت عاوز اللي مش فاهم يفهم؟ عاوز اللي ما صدقش حاجة علينا يصدقها؟ أرجوك تمسح التعليق ده دلوقتي حالًا!!

facebook.com/the.Boooks

- لأ! مش هامسحه! وإذا حكمت أنا من بكرة هاقول للجامعة كلها إني منتظر أتخرج عشان أخطبك! هدير، أنا لا يمكن أسيبك للمجانين دول يشنعوا عليكي بالشكل ده، ما ينفعش نفضل ساكتين!! انت بطلتي تدافعي وأنا كمان أنسحب.. إحنا مش خايفين منهم!

- حمزة.. إسمعني كويس! كل ما واحد زي (عمرو خالد) يتعرض لهجوم أعمى زي ده، بيسكت.. بينسحب، بيستنى لما الأرض تشرب ميتها وبعدين يرجع تاني بأفكار تشد الناس ليه أكتر وتثبت براءته أكتر. أنا مش (عمرو خالد)، ومافيش حد بيدافع عني زيه! بس أنا هاعمل طريقته لأنها الصح.. أرجوك، أرجوك إمسح التعليق ووقف خالص أي تعليق!

تنهد بعدم رضى، لما دائمًا وأبدًا لا تترك له المجال؟؟ سيُرضيها، هي مُنهارة، ويجب أن يُخفف عنها، وافق بشرط أن تعده ألا تعاود قراءة التعليقات حتى تهدأ ويهدأ الأمر! وقبل أن يُنفَذ أحدهما الاتفاق قرآَ سويًّا في آن واحد تعليق نفس الفتاة على تعليق "حمزة"، وكان مُصيبًا بالصدمة بحق!

"إهدا يا حمزة، ما تدافعش قوي كده عن الأميرة بتاعتك، مسيرها تسيبك زي ما سابت غيرك قبل كده، وجذبته بنفس الطريقة اللي انت قلتها، بنت ناس، عربية، وحجاب ملتزم.. أبعد ما يكون عن اللي جواها! وبعد مازهقت منه، سابته، إسألها عليه.. لا يمكن تنكر!"

facebook.com/the.Boooks

لم تتمالك "هدير" نفسها، أثناء سكوت "حمزة" غير المرئي لها، كتبت "مش هاقول غير حاجة واحدة، حسبي الله ونعم الوكيل!"

قال حمزة - إيه ده يا هدير؟ ده ردك؟؟.. هو مش كل القصة دي تلفيق؟؟.. هدير!

- إنت بتسألني؟؟ إنت صدقتها؟ أمال الباقين هايقولوا إيه؟؟ قلتلك تمسح التعليق ده فورًا! ماسمعتش كلامي!!

- هدير، أنا لازم أفهم الموضوع ده، هو كان فيه حد في حياتك قبلي؟

سكتت، آذاها سؤاله، وآذاه سكوتها، قالت بصوت متكسر، تكسره البكاءات:

- أنا مش سألتك إن كنت عاوز تعرف ده، وإنت قلت ان قبل ما تعرفني مايهمكش تعرف، مادام انت واثق في أخلاقي؟؟

- ودلوقتي غيرت رأيي! إقفلي الزفت اللي قدامك ده وردي عليّ!

أغلقا الجهاز وحكت له "هدير" كل شيء، كان يعلم أنها صادقة، ويعلم أن آخر ما تحتاج اليوم هو شكه بها، لكن، وخزه كثيرًا فكرة أنه صيد تم التغرير به من البنت المشهورة رغم أنه المشهور! فكرة أنه مُغفل كالذي سبقه في عيون الناس آذته إلى أقصى حد! لم يرد عليها رغم توسلاتها الطويلة في أن ينطق حرفًا، أخبرها فقط أنه يصدقها.. لكنه يجب أن يُغلق! فيما تفكر أيها الشيطان

facebook.com/the.Boooks

الأحمق؟ تريدني أن أنسحب حفاظًا على كبريائي؟؟ تريدني أن أختفي حتى يتأكد الناس أنني لست لعبتها الجديدة؟ تريدني أن أحفظ ما تبقى من ماء وجهي وأحافظ على مكانتي وسط كل الجامعة؟؟ تريدني.. أن أتخلى عنها في محنتها؟.. تريدني.. أن أكسرها حطامًا وأثبت أنها تلك الماكرة.. تريدني.. أن أسكت عن حق أعلمه، خوفًا على نفسي دونها.. وأصبح مثلك؟؟ صلى "حمزة" ركعتين، ارتج فيهما قلبه، وذهب للنوم. قالت أمه تدعوه للعشاء "بدري كدة؟"، لكنه اعتذر منها مُتعللًا بنظامه، وطلب منها أن تدعو له.

لا يمكن أن يتخيل أحد من تكون "آيات"! لا يمكن أن ينتبه أحد أن إحدى صديقات "هدير" الصدوقات هي من ألفت اسمًا وهميًّا -وهو "آيات"- واشتركت في الجروب على الـFace Book وانتهزت هذه الفرصة الذهبية بحق لتثأر من "هدير"!! لا يمكن أن يكشف أحد أنها "حنان"! فالقصة لا تحتمل التخمين! تود "حنان" لو تشفي غليلها من صديقة المدرسة!....
آنذاك كانتا متساويتين، بل كانت "حنان" تتمتع بما لم تكن تملك أي فتاة! كان والدها مدرسًا متميزًا في اللغة العربية لمدرسة (الزهور) الثانوية للبنات، وحينما انفجرت موجة الدروس الخصوصية بشكل لم يسبق له مثيل، لمع نجمه

facebook.com/the.Boooks

أشد اللمعان، وجرى الرزق جريًا أسعدها وأخوها الكبير وأختها الكبرى، لم يكن والد "هدير" حتى بذات المنصب في هذا الوقت، حينما كانتا في المدرسة الابتدائية! بل كانت "هدير" شديدة الانطواء والخجل! لا يمكن أن تنسى ذلك، وكانت صداقتهما أمرًا يُسعدها، فهي الأغنى والأقوى، ذات الصيت طبعًا بسبب والدها، يتقرب إليها الفتيات لتفضيل دروسهن في المواعيد، وكانت تنتظر الذهاب للمدرسة الثانوية بفارغ الصبر كي تكون ابنة الأستاذ العظيم الماهر، لكن الحياة آثرت أن تعلمها درسًا قاسيًا بصم فوق شخصيتها بكل ثقله! فجأة انقلبت كل الأمور، أوقعت الدسائس بالأستاذ الماهر الذي أوقف حال باقي المدرسين، سواء مبتغي الرزق أو مبتغي الشهرة! وانتشرت الإشاعة كما دخان قش الأرز! "أستاذ أشرف ضبطوه مع تلميذة في وضع مُخل"! من هي التلميذة؟ من الذي ضبطه؟ أين كان أهلها؟؟ لم يعرف أحد ولم يسأل أحد! وفجأة انفجرت الشكاوى المكبوتة "وأنا كمان كان بيعاكسني وكنت خايفة أقول!" ، "أنا باسني مرة، بس أصلي بحبه ومارضيتش أقول لحد!"، سنة من حياة عائلة كريمة مرت كالجحيم!! راح الأستاذ "أشرف" يدفع عن نفسه التهم، "يا عالم أنا عندي بنات! هذا كذب وافتراء!" لكن من يصدق؟ من يريد أن يصدق؟ مدرس في مدرسة ثانوية للفتيات!! صغير السن لا زال، فماذا يعني أربعين سنة؟ وشديد الرجولة والجاذبية، أثر على الفتيات المسكينات، وما

facebook.com/the.Boooks

خفي كان أعظم! ثم من قال أن الدروس الخصوصية من الأمور المتاحة المباحة؟؟ إذن فهو غير أمين في عمله، غير أمين على بنات الناس، غير أمين على أسرته بالتأكيد.. وأخذت شائعة خبيثة تردد أن ابنتيه ذهبتا إلى قسم الشرطة بصحبة والدتهما تتهمانه تهمة بشعة شنيعة.. "زنى المحارم"! لكن تقول الشائعة أنهم تراجعوا عن تلك الأقوال حينما استوعبوا حجم الفضيحة! في البداية قصد الأستاذ "أشرف" بيوت الناس الذين يعرفونه ويعرفهم جيدًا، وبينهما عشرة طويلة لأولاد كثر، يقسم لهم ما استُبيح بشأن سمعته وشرفه، لكنه قوبل بالطرد المتكرر، وأخيرًا يئس! دُك كجبل موسى الذي تجلى فوقه الرحمن، واعتكف في منزله طويلًا، اعتكافًا دام حتى هذه اللحظة! وهو بين اليقظة والحلم! من النجاح العظيم لانتكاسة أعظم أذهبت تعقله! مسكين أبوها! لكنها لم تكن تحب المساكين!

حدث هذا الشرخ الكبير الذي اضطر العائلة لترك منطقة (الصحفيين) بالجيزة، واضطر كل منهم لترك المدرسة هاربًا نحو مكان آخر نظيف من السمعة الملوثة! كانت والدتها نعم الأم! أبدًا لم تصدق، وراحت تثبت زوجها وأولادها "نحن في محنة يجب تخطيها"، لكن عزيمتها بدأت تفتر حينًا فحين حينما أصر الزوج على حالة "التوهان" الشنيعة التي ألحقت بهم مزيدًا من

facebook.com/the.Boooks

المصائب، بدأت الأم تقبل المساعدات من والدها المقتدر صاحب محلات الجملة، ثم حاولت أن تثني الأخ الأكبر عن دخول كلية الشرطة التي حلم بها وأعد عدته، فلا بد أن يعمل ويجلب لهم راتبًا! "لا يمكن! ده مستقبلي حرام عليكم! مش كفاية اللي حصلنا من تحت راسه ولا هو داريان بينا؟"، لذلك كانت الأخت الكبرى هي من ضحى بالدخول لكلية التجارة، لأن الطب مشواره طويل ويحتاج لمصاريف طائلة، في الوقت الذي تحتاج فيه الأسرة لكل قرش! أعدتها الوالدة الصبورة، جمعت من المال ما يوفر لها كورس لغات، قالت لأختها الكبرى "بيقولوا فيه شركات بتشغل السكرتيرات بالآلافات!"، وتقبل الأخت، تعمل بجد وتدوس على حلمها وهي العليمة أن جيلها ليس جيل الرجال!!! كل ذلك مر أمام "حنان"، انكسر قلبها على أبيها، ثم انكسر اعتدادها بعد الشموخ العريض، الذي طالما تمتعت به ومنت نفسها أن تبتلع الدنيا حينما تلحق بأبيها! ثم انكسرت نفسها بانكسار أختها الكبرى، وفزع أن تلاقي هي نفس المصير! لا! لا تريد أن تكون كبش فداء! مرت السنوات... أين وصلوا؟ توفي جدها الذي ساعد أخاها لدخول الشرطة، وساعد إرث أمها منه في بعض الأمور، تخرج أخوها في كلية الشرطة وفي مخيلته حلم واحد! أن يستغل جاذبية البذلة البيضاء في الإيقاع بامرأة غنية تبحث عن الشاب الفتيِّ الذي يرجع لها شبابها بينما تغدق عليه المال دون كلل! كم حذره جده قبل

facebook.com/the.Boooks

وفاته، وقبل الدخول لكلية الشرطة "هاتتحول زي ما اتحولوا اللي قبلك! هاتدخل حلمك تخدم بلدك وفرحان بالميري، وتخرج ابن ستين كلب! ماحدش يقدر يعيش بني آدم في وسط كلاب يابني!" لم يستمع إليه، لم يستمع إلى أحد! كان الحدث الأكبر في حياة أخيها، أنه دون باقي الأسرة.. صدق ما قيل في والده! لا يدري إن كانت أزمة ثقة، أم لأنه رجل مثله، ويدرك أن وظيفة كمثلها في وسط الفاتنات الصغيرات لهي مدعاة للتهلكة! أم لأنه يراه منذ زمن رجل شديد الجاذبية، ويرى في أعين الفتيات المراهقات إعجابهن به ويضيق لذلك؟ لم يدر! كان ينظر أخاها للمرآة فيرى نغازتيه اللتين أخذهما منه، فيكره وجهه! وقد كان.. تخرج في الشرطة تمامًا بغير ما كان عليه! سمعته بنفسها يهاتف أحد أصدقائه عن زوجة أحد مرؤوسيه، وكيف تعرف عليها وكيف أعجبها، وناوشته من بعيد! قال كلامًا غريبًا عن أن زوجها (يستاهل)! وتساءل لمَ يضيق الناس من الشرطة بالذات؟ وكيف يتوقعون ألا يطولها الفساد وهو منثور "في كل زاوية فيكي يا مصر"! أليست الشرطة أولى؟؟ ليس هذا أخوها الذي طالما أحبته، ولعب معها، وأعجبها طوله وعرضه "لازم أتجوز حد شبهك!"، أما أختها.. فها هي تعبر خط سن الزواج بنجاح! ها هي وبعد أن يئست، وانعدم حتى فرص زواج الصالونات -فلا أقارب ولا علاقات – ها هي ترسل لمكاتب الزواج مواصفاتها ومواصفات شريك حياتها الزهيدة جدًّا! كم

facebook.com/the.Boooks

تألمت! كم تألمت "حنان" لها وهي تكتب أنها لا تريد شبكة! ثم، ولا زفاف! كم تألمت واعتُصرت حينما كانت حينًا فحين توسع المجال نحو العريس المفقود، وبعد أن أرسلت أنها تريده لم يتعد الأربعين، عادت ومسحت هذا الشرط! وأخيرًا.. أخيرًا بعد أن اتصل بها أحد المكاتب للقاء، رفض الرجل المجهول أن تتم أول زيارة مع أي من الوالدين، على أساس أنها "تدبيسة"! وقبل على مضض أن تصحبها أختها الأصغر للقاء في كافيه، لكن من قال أن طول الانتظار يؤتي الثمار؟ كان رجلًا صامتًا ينهش عينيه الغرور، من اللحظة الأولى يريد أن يُذكرها أنه التقطها من مكتب، والتقط وضعها البائس فله الشكر! وطافت عيناه فوق جسمها بشكل فظ ومفضوح! أوجعها! أوجع "حنان" وليس أختها، فقد علمت الأخت من زمان أنها الآن صيد رخيص، كل أمنيتها أن تجد من يرضا أن يقضمه حتى وإن بصقه بعد حين! فذلك أفضل من أن يلقى الصيد عفنه القاسي وحيدًا! عادت "حنان" من هذا اليوم تكره نفسها وتكره الدنيا ومن عليها! ضاقت تمامًا بالحياة، آمنت ألا نصيب لها منها، قررت أن تصيب بعضًا من الآخرة! ارتدت حجابًا طويلًا فضفاضًا، وتركت لحاجبيها العنان! وكأنها بذلك تشتري تلك الآخرة! أيضًا داومت على قراءة القرآن دون أن تفكر في تدبره، فهي الآن تفكر في الكم لا الكيف، وكأنها زهدت الدنيا بأكملها! كانت قد كرهت العالم وكرهت نفسها وانتهى الأمر! ولم

facebook.com/the.Boooks

يبد أن الدنيا تريد مصالحتها إلا بعد اجتياز امتحانات الثانوية العامة، وتحقق لها وأخيرًا أول حلم.. كلية الهندسة!

تغلبت "هَيبت" على نفسها أخيرًا.. قالت "لا"! منذ زمن وهي تتمنى قولها وتمتنع، تضع الكثير والكثير من الاعتبارات أمام أعينها قبل أن ترفض! بيتها، ولديها، الاستقرار الذي تنشد، النكد القريب لو فكرت! اتهامات التقصير اللانهائية لو قررت! اليوم هي وجدت في الحالتين سيان، وأحبت أن تعترض إذ هي لا تريد، وتمارس حقها كإنسانة، قالتها له بلطف بالغ رغم أنها تعلم جيدًا ألا فرق لديه "تعبانة، جسديًّا ونفسيًّا"، أولاها ظهره بعد نظرة لم تفهمها، لم ينبث، وكان ذلك غريبًا، ورغمه باتت سعيدة أنها أخيرًا لم تؤدي دور الماكينة فوق مسرح من المفترض ألا تؤدي فوقه الدور سوى المشاعر أولًا! كم هو بارع في تحويل الأمر كله لشكل ميكانيكي! لا تحب أن تتذكر كيف يعترض بملء الصوت من أظافرها! حتى لو لامها غدًا وفاتحها في بعدهما وخلافه، حتى لو ظل يُذكرها بآخر مرة كما يفعل دومًا لو رأى في عينيها مجرد تردد! استيقظت فرحة! الحرية لذيذة لهذه الدرجة؟ هي ترفض استمرار علاقة ثلجية يتوجها الواجب، سيتواجهان، أجل هذه المرة ستخبره، لن تُقدم على ذلك من الآن

facebook.com/the.Boooks

فصاعدًا وهي تشعر بنبرة تهديد في تصرفه، لابد أن يُشعرها بحبه وقربه أولًا، وليس مجرد احتياجه الجسدي المُختلط أيضًا باختبار التقصير!! ستُذكره، أول مرة أمسك يدها فإذا هي كالنار تسري بأصابعها، أول مرة أطعمته بيدها ولامست شفتاه أصابعها فصاح سعيدًا منتصرًا! الحب القديم، لمَ تتخلى عنه؟ لكن ما حدث.. إنه لا يواجهها، لا يحادثها، تمر الأيام في سكون غريب لم تعتده! تحاول مشاكسته، مناوشته، لا يستجيب، ربما هي الآن مُستجيبة أكثر، فقد أنعشتها الذكرى الحلوة، تفعل ذلك دائمًا كلما شعرت بابتعادهما! تسمع "منير"، تسمع أول إهداء لها منه...

بالضبط الشعر اللي بحبه الطول واللون والحرية!
ده ان هفهف على وشك لاعبه، هاوصفلك إيه يُغم عليَ

سألته وقتها ذائبة "بجد بتحب شعري؟"، وكان رده رائعًا فائقًا داهمًا لأقصى الحدود.. قبلت شفتاه عينيها. ناوشته من جديد، أحبت شعورها بألا إجبار، بل اشتياق إليه وطلب، لكنه أيضًا اعتذر منها، ودون إبداء أسباب! كان ذلك فيما مضى ليُعيدها لمحنتها الأولى في بداية الزواج، لكنها صبرت متأنية، تعرف أن تمثال الرجل الشرقي بداخله من شمع لا يذوب! وربما يريد أن يرد لها ما صفعته به، لا مشكلة! انشغالاتها مع "مهدي" تخفف عنها الكثير، فلتنتظر!..

facebook.com/the.Boooks

تحينت الفرصة، بعذوبة بالغة تعترض طريقه، ببرود غريب يبعد أصابعها عن صدغه "مش قادر!"، ويتركها منسحبًا دون تفسير. يقابل تلميحها البسيط برفض جليٍّ! يقابل رغبتها الخفية بانسحاب صافع! يريد أن يجرحها؟ بدأت تغضب، هو أسلوب جديد، يربِّيها! يعلمها كيف لا تتخطى حدودها مرة أخرى؟ يسويها على مهل؟! كلا ليست تلك الحديثة التخرج الساذجة لتنهار احتياجًا له من جديد! لم يفهمها تلك المرة! فلن تترك نفسها تبحث طوال الوقت فيما حدث، لن تفكر ليل نهار في إحساسها الخانق، وتتخيل صعوبته في تجاهلها، وقوته في نفضها تمامًا من حياته حتى يعود وقتما يحلو له! لديها الآن شخص آخر أكثر قربًا! لن تشكوه زوجها، كلا لا تريد ذلك، لكن ستأنس به! هاتفته.. "ما وحشتكش؟؟"

اعتقد "مهدي" أنها غاضبة لا زالت من آخر لقاء! ولم يدر لمَ لغا اجتماعًا خصيصًا كي يلحقها بالمعادي، هل هي تُسامح سريعًا؟ أم لم تكن غضبى من البداية كما ظن منها؟ وأبعد ما يمكن أن يخطر بباله هو احتياجها لوجوده في حياتها! هاتفه أبوه مُستفسرًا "شيرين والأولاد بخير؟"، أول مرة يلغي ميعادًا بهذا الشكل ودون سبب واضح، معلوم لديه على الأقل! لكنه من السهل أن ينفد. أحضرت معها أغراضًا كثيرة! قال:

facebook.com/the.Boooks

- أنا جبتلك ساندويتشات من On The Run، أنا ميت من الجوع!

- ده مش أكل! أنا جبت حجات تانية.

راحت تخرج بعض الكتب وتقف أمام مكتبته لتختار لها رفًا منفردًا، وقف خلفها يتابع حماسها ويتفرج

- المثقفون العرب وإسرائيل، ماذا علمتني الحياة، عولمة القهر!.. كلهم جلال أمين؟؟

- لسا فيه أستاذ تاني!

- لأ! هيكل؟؟ "خريف الغضب"، لو الحج هنا كان رفع عليكي قضية!- نظرت لوجهه الباسم مُستفسرة - مابيحبوش، ومابيحبش عبد الناصر ولا اللي بيحبوه.

التفتت إليه بابتسامة هادئة...

- الفكرة مش في ذات عبد الناصر، الفكرة في عصره اللي كانوا المصريين فيه رافعين راسهم على آخرها! عصره اللي ازدهرت فيه كل المجالات من أول الصناعة لغاية الموسيقى!

- النكسة نكست عصره، وزوار الليل، وشبابنا اللي ماتوا في اليمن, وحجات تانية كتير تنكس الراس مش ترفعها، ده غير ان النصر كان في وقت السادات.

facebook.com/the.Boooks

- ماتقدرش تلغي كل العصر بسبب النكسة – التفتت تكمل رص الكتب – أما بالنسبة للسادات، فإيه فايدة النصر لو قبل ما يكتمل قتلته الهزيمة.. الهزيمة الحقيقية يا مهدي مش في ساحة الحرب، الهزيمة الحقيقية هنا – ولت له وأشارت لجيدها – في الروح والكرامة!!

- تقصدي كامب ديفيد؟

- طبعًا! ومش كده وبس، والانفتاح اللي بدون أي قيود، والتبعية الكاملة الغريبة لأمريكا.. شفت فيلم (سواق الأوتوبيس)؟

- ده فيلم نكد قوي!

- ماهي الفكرة مش في أحداث الفيلم.. الفكرة في القيم اللي اتغيرت عند الشعب، من كرم لبخل ويسموه حرص! من شجاعة لجبن، ويسموها حكمة، من صدق لنفاق، ويسموها لباقة! وأسوأهم بقى، من كرامة لذل، ويسموها رضا! نفسي ألاقي واحد فاهم معنى الرضا!!!

زم شفتيه ورفع حاجبيه وهو يزفر زفرة تعبة، قالت:

- تعرف يا مهدي، لما النخبة والمثقفين الشرفا القوميين، اتصدموا في السادات.. هجُّوا! طفشوا! ماقدروش يعيشوا في البلد، وتعرف بعدها حصل إيه؟ سابوا العوام والبسطاء أكلة سهلة في إيد المنافقين والمتسلقين واللي

facebook.com/the.Boooks

قعدوا يغنوا على ربابة (السلام)! فاللي حصل إن القيم عند العوام دول انحطت! مابقاش فيه كسوف أو خجل من النذالة أو من الطمع! ده اللي حصل في الفيلم!

- انت جواكي كتير قوي!

- أصلي نفسي أثبتلك اننا لازم نفضل في بلدنا، لازم نستحملها ونعمر فيها، علشان احنا علينا مسؤولية! إيه رأيك تقرا الأول وبعدين نتناقش؟ عشان نبقى on the same base، مش انت لسا بتقرا؟

- طبعًا! الشيء الوحيد المشترك بين كل ناجحين العالم باختلاف أعراقهم ومجالاتهم هو القراية! موافق.

فازت بجولة! لابد أن ينضم معها، فلها معضلاتها الخاصة، التي دومًا ما عاشت فيها ، صراع الشرق والغرب! كرامتنا، تبعيتنا، ثقتنا في تاريخنا، عدم ثقتنا في أنفسنا اليوم، كانت تعيش هناك في جو عجيب من الشعور بالدرجة المتدنية! الدرجة الأقل! الفتاة الشرقية الملامح، وليست كأختها! تلك العقدة الخفية من التفريق المستمر الذي دومًا ما شعرت به تجاه "قسمت"! تلك الدونية التي بحثت طويلًا خلف أسبابها وترعرعت بداخلها كمعضلتها الأبدية! بالحديث عن تلك المعضلة – حتى مع نفسها - لا تصبح "هَيبت" التي تعرفها..

facebook.com/the.Boooks

تصبح كائنًا آخر، حقود ربما، ضعيف أكيد! لا تحب رؤيته إطلاقًا!!

قالت تملأ الجو بشحنة مُغايرة - وإيه آخر كتاب عجبك؟

- كتاب عن محمد علي، روعة! أصل الراجل ده في نظري أسطورة! آخر نهضة حقيقية في مصر قبل الثورة كانت عصره، قبل ما تبدأ مصر تنباع للإنجليز!! وقال إيه الحكم العثماني مش عاجبهم! لازم نلاقي أي عيب في التاريخ المُشرف!

- كان نفسي يبقى مصري! ليه عمرنا ما حكمنا نفسنا قبل الثورة؟؟ كان نفسي يبقى حتى عربي! مش عنصرية والله، ده تحيز للأصل...

- لا بالعكس! أنا مش فاهم إيه علاقة أي عظمة تاريخية بكون صاحبها من أصل عربي أو لأ! طب ما البخاري صاحب أصح كتاب بعد القرآن الكريم، مش عربي! فيها إيه؟ الإسلام دمج كل الأجناس والأعراق.

- أصح كتاب بعد القرآن.. Ever? .. مش كلمة كبيرة شوية دي؟

- مه اختار أصح الصحيح من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، كتابه أوثق الكتب الستة الصحاح

- مش عارفة, أنا اللي أعرفه إنه اتنفى , أو مات موته وحشة...

- غلط! كلام فارغ! – احتد!- ده اتوفى في ليلة عيد الفطر! –لم يبدُ أن هذه

facebook.com/the.Boooks

المعلومة أحدثت فارقا معها! - أصل الابتلاء شأن العظماء زي ما بيقولوا! انت عمرك قريتي فيه – نفت برأسها – ولا في كتب دين ها؟؟ -تابعت النفي برأسها وقد اعتراها بعض الخجل – المرة اللي جية أنا اللي هاجبلك كتب، بس تقري كتبي وأقرا كتبك!

حاولت أن تشجعه على أن يقرأ كتبها أولًا ويفتحان باب النقاش، كلما نظر إليها كلما زاد.. ربما تعلقه؟ لكنه أصر أن يقرآ بالمثل. انتقى لها كتابًا شيِّقًا، في الحقيقة استشار "هدير"!

- مش عايز كتاب يطفش! عايز كتاب بسيط وسلس.

انتقت له "هدير" كتاب (حتى يغيروا ما بأنفسهم)، لحبيب قلبها "عمرو خالد"، هو دواء كل من لديه الرغبة لكن خائف من نقطة العبور! دأبت "هَيبت" في البداية على قراءته فقط كي تخبره أنها تجتهد في إرضائه، لكنها تأثرت! تأثرت كثيرًا! لمست بأطراف أصابعها عالمًا ليس كعالمها، به من الروحانيات ما لم تذق من قبل! وأحبت في غمرة شغفها أن تتحرك...

في غضون يوم العطلة جمعت "هدير" شتات نفسها لتستطيع القدوم للجامعة، ثقل فوق قلبها كالحجر! لا تدري سبيلًا لنزعه! حتى "حمزة" لم يهاتفها، ولم

facebook.com/the.Boooks

تفعل هي بالمثل! تراه يتركها عند أول اختبار؟ تراه يتخلى عنها في هذه الأيام الحرجة؟ هل تلوم نفسها على غلطة علمتها الكثير؟ هل تعذر رجولته؟ أمسَّت رجولته؟؟ من يمزقها أكثر.. رد فعل الناس أم رد فعل "حمزة"؟ كانت ترتدي نظارتها الشمسية التي تخفي انتفاخ جفنيها، وآثرت أن تدخل المحاضرة متأخرة كي تقي نفسها من الاحتكاك بأحد! في الحقيقة فكرت كثيرًا وبقوة ألا تذهب تمامًا! كانت بداخلها أرقّ من أن يشق أحدهم أسماعها أو يواجهها بما يحني هامتها، موضع المتهمة في حد ذاته كان شيئًا شديد الصعوبة عليها! وقد احتمت باثنتين من زميلاتها اللتان ليستا ضدها، لكن إحداهما لم تُقدم بقوة على تحدي الجمع الغفير الذي هاجمها! انتهت المحاضرة وهي تُجاهد نفسها كي تصبر على الـ"سكشن" الوحيد المتبقي وتختفي من هنا! وهي تلملم أشياءها سريعًا سمعت صوته على المايك، صوته الحبيب القوي الهادئ في آن، قال:

"فيه واحدة هنا، قاعدة بينا، ناس كتير تعرفها وجهًا، ويمكن تسمع عنها شوية، لكن أكيد ماتعرفهاش كويس! – سكت الصوت من حوله تمامًا – ألفين وتمانية أخدت لقب أحسن بنت في فريق رسالة، عن جمع وكي الملابس، وعن رحلات القوافل اللي بتوزع أكل في قرى الفيوم الفقيرة، ألفين وتسعة، عضو

facebook.com/the.Boooks

نشط في حملة النظافة من الإيمان اللي نجحت على مستوى كليتنا وعلى مستوى ركاب السيارات في المنطقة! ألفين وتسعة الترم التاني كانت مشرف من الطلاب اللي اختارهم الهلال الأحمر لتوصيل المعونات الغذائية للحدود مع غزة! ألفين وعشرة، عضو أول ومساهم في حملة التبرع بالدم داخل الحرم الجامعي لصالح مستشفى الأورام للأطفال، ألفين وعشرة الترم التاني، عضو نشط في حملة إحياء القراءة! اللي اخترنا اللوجو بتاعه الأسبوع اللي فات...

سكت وهلة ناظرًا للمنضدة أمامه ثم قال رافعًا هامته

- بالنيابة عن جروب "شباب نهضوي"، بشكر العضوة "هدير أحمد فهمي"، وببلغها إن كل الأعضاء فخورين بيها وسطينا...

وضع "حمزة" المايك على المنضدة وبدأ في تصفيق هادئ، سرعان ما تزايد وأصبح حارًّا من الجالسين، وقد ملأ بعضهم الحماس، وملأ البعض ممن لا يتابع ما يحدث الدهشة لمناسبة حديث كهذا، بينما انخرط القلائل ما بين ضحك لرؤيتهم الموقف مسرحيًّا، وامتعاض للغيرة أو للاعتراض على مبدأ المنِّ بعمل الخير، لم تصدق "هدير" ما يحدث، توجه البعض إليها لتحيتها أو تقبيلها، وكانت ذاهلة من هذا الأمر، فبالأمس كانت كبش المحرقة! لكن إحدى صديقات الجروب قالت لها أنه في الفترة الفائتة، انقلبت كفة الحوار تمامًا على الصفحة، وانتفض البعض إحقاقًا للحق، ووقوفًا مع موقف "هدير" الشجاع،

facebook.com/the.Boooks

وتحية لها لموقفها من المآخاة بين المصريين عامة! توجهوا للسكشن الذي لم تسمع فيه كلمة واحدة من المعيد، فقد بدا لها الصوت بعيدًا، وكان فكرها مكتظًّا بما يكفي لئلا تداخله أي كلمات جديدة. ركبت سيارتها عائدة، هاتفته بعد جهد، تمنت أن تقوى على أخذ القرار بلقائه وحدهما، تمنت لو أمكنها كسر قيد وضعته بنفسها لنفسها وعن قناعة ولو لمرة واحدة! فورما رد صوته الحبيب السعيد، قالت

- شكرًا.. شكرًا يا حمزة!
- بتشكريني؟
- أنا ماكنتش عارفة إيه اللي بيحصل معاك بعد كلامنا، كنت هاتجنن، كنت وحيدة بجد! ومهزومة بجد! وبعد ما عملت اللي عملته.. حسيت بالقوة، حسيت بالسند،.. وحسيت..

تتمنى لو تقولها، تريد بشكل قوي! يمنعها ما ظل يمنعها طوال عمرها الفائت! منذ أن استيقظ إدراك لديها، حددت من بعده ماذا تريد من نفسها ومن العالم بالضبط! تنهد "حمزة"، سمعته بوضوح، ولا تدري لمَ شعرت بسخونة تنبعث من هاتفها على صفحة خدها، وكأن أنفاسه تلفحها، قال بالفصحى قولة النبي لابنته فاطمة "أنت بعضٌ منَي.."

facebook.com/the.Boooks

ارتجف شيء في نفسها كزلزال، وابتسمت ثم سألت - إنت عارف؟

قال مؤكدًا - أنا حاسس!

سألت نفسها سؤالًا واحدًا وبشكل مُلح.. هل يُعقل من كانت بالأمس تبكي مُحطمة مُتكسرة يائسة من الدنيا.. هل يُعقل أن تكون اليوم أسعد مخلوق على وجه الأرض دون ريب؟؟

****

كالروايات تمامًا، عضت "حنان" أصابعها غيظا وحرقة بعد خطبة الُمحب!!

فلم تبدأ الدنيا في مسامحتها فقط بدخول كلية الهندسة، بل وجدت أيضًا أجمل ما يمكن أن يتفتح داخل قلب فتاة، الحب! التقته في السنة الأولى بقسم عمارة، وبدأ الإعجاب من بعيد، أخيرًا عادت "حنان" لتنظر إلى نفسها في المرآة! أخيرًا نظرت لوجهها وهي تبتسم، وعادت لتهتم بشكلها من جديد، بعد المحنة لم تعد تلك الفتاة لطيفة المعشر بسهولة.. ربما يعتاد الناس على القبح! ربما يصعب أن يرتشف أحد حلاوة الروح بعد أن يُسقى سم الزمان ويتقوقع على نفسه في تلك القوقعة المقيتة التي يهرب بها من الناس جميعًا! أصبحت في كل يوم تأتي لا لحضور المحاضرات ولا للقاء الأصدقاء بل فقط كي تلقاه،

facebook.com/the.Boooks

"حمزة"! كان "حمزة" بابتسامته الحية وأهدابه الكثيفة مرصد أي فتاة دخلت للجامعة حديثًا دون أي اختلاط مسبق في مدارس البنات! لكن الأمر في شعورها باستلطافه لها، وظلت تبحث كثيرًا وراءه كي يتقاربا أكثر، فاليوم الذي يمر دون أي حدث بينهما يمر عليها كالجرار يدهس نفسها التائقة لتذوق السعادة! ذلك الشعور الخفي القوي الذي يحب الناس الدنيا من أجله،

فالتحقت بالجروب لتحظى بقربه وإعجابه أكثر، حتى بدأ "حمزة" يتباعد حينًا فحين.. وانقطع عن معاملتها بأي لين أو لطف مختلف، مزقها في ذلك أشياء كثيرة، لكن بالتحديد هناك شيء واحد ظلت تسأل نفسها عنه ليل نهار، أتراه رآها؟ رآها صدفة وهي ترتكب الحمق البغيض المتكرر مع جارتها "ولاء"؟؟ قررت فجأة أن تقطع علاقتها بـ"ولاء"، وبدا ذلك نهائيًّا! وردت على محاولاتها المستميتة لتعرف ما أصابها برفض حتى الحديث! وبكت بحرقة مميتة بعد أن كانت قد خاصمت البكاء لبعض الوقت، وهي تتخيل "حمزة" وهو يراها تقف بجوار "ولاء" في أحد "المولات" وتفعل ما تفعل! تتخيله ينظر نحوها باشمئزاز.. أو تتخيله مصدومًا مكلومًا، فيزداد نحيبها. تسمع صوت أختها القادمة لزيارتهم فتخفي وجهها بالوسادة مدعية النوم! تأتي أختها لسبب تعرفه جيدًا، لترجو الوالدة من جديد أن تقرضهما السيارة الصغيرة الوحيدة هي وزوجها حتى عودة أخيها من تكليفه خارج القاهرة لبعض الوقت! هذا ما

facebook.com/the.Boooks

تقدر عليه أختها وببراعة تسترعي النظر، أن تجتر الواقع الأليم والذكريات الأكثر إيلامًا، من تراه "حنان" رجلًا في حياتها بعد أن انكسر أعظم رجل أمام عينيها؟ زوج الأخت؟ ذلك البغيض الذي اشترط بوقاحة تعجز عن وصفها أن الزوجة مسئولة عن كل مليم يخصها دونه؟ وأنها في حالة أن رُزقا بأولاد فيجب أن تساعده في عبئهم، على أن مستلزمات البيت من شأنه وحده! يا سلام! صلب لكن كالحديد، بعد نقطة ماء تافهة يتحول لصدأ كالوباء العسير لا دواء منه! أم أخوها هو الرجل؟ الذي يجد في الخيانة بكل صورها حقًّا له! وكأنه ولد صاحب حق من دون الباقين!! وقد استبد بتلك السيارة الملعونة من دون نقاش! تستأذنه والدتهم بأنها في حاجة لها كي تزور أهلها أو أهل زوجها فيفكر في الأمر!! بأي حق؟ ما هو العرف الملعون بدوره الذي أعطاه السيارة وهو الرجل وحرم منها البنتين اللتين عانتا وأي معاناة.. لقد حفظت "حنان" وجوه المتحرشين جميعًا بمحافظة الجيزة!! بعد أن تكرر الاعتداء اللمسيِّ عليها مرارًا. في كل مرة تعد نفسها أنها لن تسكت في المرة القادمة، وسوف تأخذ حقها صراخًا وعويلًا، من هذا الكلب أو ذاك.. لكن كل ما تفعله وقت أن تحس باليد القذرة أن تقف منتصبة وتتحرك لكرسي آخر مكسورة، مغمومة تكره اليوم الذي ولدت فيه أنثى! فلمَ كُتب عليها ألا تمثل للرجل أمامها سوى قطعة لحم ينهشها! لمَ؟ سألت نفسها كثيرًا، حتى من القرآن تشعر بتلك

facebook.com/the.Boooks

الوخزة! المرأة تعني الغواية.. تعني الشيطان بشكل ما! حتى بالزواج هذا ما للمرأة، رأت بوضوح مصير أختها التي ستنتحر هي إن لم تجد بدًّا سواه! ستنتحر وحتما سوف يسامحها الله! كم شكت لوالدتها جم الآلام النفسية مما تعانيه يوميًّا من ركوب المواصلات، لم تكن فكرة تعلمها القيادة حتى مطروحة!

- هاعملك إيه تاني بس يا حنان؟ أتوبيس مكيف وبركبك! أمال لو ركبتي الأتوبيس العادي هاتعملي إيه؟ التاكاسي انا ماقدرش عليها يا بنتي! انت بس حاولي تقعدي دايمًا ورا السواق وصحصحي كده وخشبي نفسك، وبعدين فين الأذكار؟

وهنا كانت البداية، جاءتها "ولاء" بعد مر شكواها لها آمرة "عوزاكي تلبسي أشيك حاجة عندك"، وأطاعت متسائلة في نفسها إن كانت ستُريها عريسًا! ركبتا تاكسي! وسمعتها بوضوح:

- مدينة نصر؟

ارتبكت "حنان" ..

- إحنا رايحين فين؟

طلبت منها "ولاء" ألا تفتح فمها بكلمة ولا تعترض أبدًا وسترى! ثم فوجئت بها وهي تتصرف ببراعة معتادة وجرأة منقطعة النظير، وتوقف أحد المتسوقين

facebook.com/the.Boooks

"الشيك"، وتخبره بكل أدب ورقة أن محفظتها سُرقت وهي تحتاج لمبلغ كي تعود إلى المنزل، فيدقق الصيد فيهما جيدًا، فيراهما "ولاد ناس"، فيخرج حافظته عازمًا على إعطائهما عشرة جنيهات "أجرة التاكسي"! لكنه من فرط رقتهما وخجلهما من الموقف يخرج عشرين جنيهًا! تقصد "ولاء" منطقة قرب باب الخروج كي تتاح لهما الفرصة أكثر من مرة، وفي كل دور ويلمح البصر تتحرك كي لا يكشفهما كاشف! وبعد الرفض العتي الجلي من "حنان" تجيب "ولاء" وكأنها تحفظ الإجابة:

- سرقة إيه؟ احنا ماضربناش حد على إيده! ولا كدب حتى، انت معاكي حق المرواح بتاكسي محترم؟ ولا هو المرمطة اللي بنشوفها في المكيف دي عجباكي؟ وبعدين تعالي هنا، مش شايفاهم عاملين ازاي؟ شايلين كياس بالهبل! والعشرين جنيه دي ولا تفرق معاهم، إنما تفرق كتير معانا إحنا!

راحت "حنان" تفكر طول الليل في هذه الكلمات، هل هي صدفة أن تنقذها "ولاء" من مأساتها الكبرى في الوقت الذي كادت فيه أن تنهار؟ لا عجب أن تجد تلك الفتاة طريقها نحو المال من الهواء!! أختها الكبرى تزوجت بعفش وأجهزة أفضل من أختها هي مئة مرة! رغم أن والد "ولاء" مجرد سايس لمطعم فاخر.. كيف؟ استطاع ذلك الوالد أن "يرمي جتته" على الأغنياء من رواد

facebook.com/the.Boooks

المطعم لتزويج ابنته، بالحنجلة والرقص بالكلمات، وفرض شروطه عليهم، أجل فعل! ووصله ما ألح عليه! لا عجب إذن أن تنظر "ولاء" للأغنياء هي الأخرى أن مالهم فيه حق معلوم للسائل والمحروم مثلها ووالدها! لكن حقًّا.. هناك أناس لا مشاكل عندهم من هذا النوع، وتلك الضريبة التي يجب دفعها لأمثالها.

ارتاحت "حنان" لهذا التفكير كثيرًا، وأغلقت دماغها عن المراجعة، وبدأت تركب التاكسي وهي منتشية، وتشعر بشيء واحد.. أنها بنت ناس ولا تقدر على (المرمطة)، وهذا هو مكانها بالضبط لا حيث كانت! وبين الحين والآخر تصادف سير أتوبيس مكيف بجوارها، فتنظر لأعلى إلى راكبيه باستعلاء، وتقول في نفسها بابتسامة خبيثة منتصرة، أن هؤلاء خُلقوا هناك، وركبوا ما يركبون منذ الصغر، أما هي فكانت لها زوبعة في فنجان! في مرة من شهور، وأثناء وقوفها داخل المني باص محشورة تكاد تدمع من الأذى الذي تشعر به، لمحت أخاها في سيارتهم الصغيرة رافعًا صوت أغاني الكاسيت جالسًا في هدوء وعلياء الضابط! وهنا نزلت دموعها أنهارًا، وبدأ صدرها يهيج لدرجة أن تعاطف معها الركاب وأجلسوها وهي غير قادرة على شد لجام نفسها! لم تر سوى صورة امرأة في مثل سن أمها يلمع الصليب فوق عنقها تربت على كتفها "انت بتجيلك خنقة من الأماكن المقفولة؟ يا حبيبتي يا بنتي"، ليس هذا هو نوع الأمراض التي تعاني منه طبقتها! أرادت أن تقول ذلك لكن شفتيها

facebook.com/the.Boooks

المرتعشة لم تنبث بشيء، اليوم.. أجل! هي من ذوات رهاب الأماكن المغلقة!

في اللقاء التالي بين "هَيبت و"مهدي" بدأ الحديث عن الأصدقاء، سألته عن أصدقائه، لكنه امتنع عن الجواب، فقد حاول قبلًا أن يختلط وينشئ صداقات، وفشل! صديق الجامعة ذو الزوجة التي لم تكمل تعليمها الجامعي! وذو الطفلين اللذين بديا متربين باهتين بجانب طفلتيه اللامعتين، رغم مرتبه الكبير وشقته في التجمع! أم صديقة زوجته من أيام المدرسة، والتي اندلع الفرق معاكسًا تمامًا ومؤلما لهما بعد لقاء واحد امتلأ بدخان سجائرهما وطاولة زانتها خمورهما!! فكرت "هيبت".. فرصتها إذن جيدة لتكون صديقته!
طلبت إليه أن ينتظرها ودخلت غرفة النوم، كان محتارًا في شعوره الغريب الجديد إزاء شقة المعادي، وإزاءها.. تريد أن تفاجئه؟ وكأنها أخته الصغرى فعلًا! خرجت بخطوات هادئة مترددة، رفع حاجبيه منبهرًا ببطء، أغمض عينيه لحظة لا يكاد يصدق...

- إيه رأيك؟
- حلوة، قوي، قوي يا هَيبت!
- بجد؟

facebook.com/the.Boooks

طارت فرحة وهي تلف لفة كاملة لتريه طقم الحجاب بالكامل، قبل أن يتحرك بادرت:

- خليك مكانك! لسا فيه حجات تانية!

من جمِّ إعجابه بما انتقت من ملابس وربطات رأس، فكرت في أخذ القرار ببدء التنفيذ في اليوم التالي! هو تساءل.. كيف لديها القدرة في اختيار ألوان وموديلات أنيقة بهذا اليُسر؟؟ هي موهبة لا نقاش!

- على فكرة أمي مصممة فساتين سواريهات ولفات طرح للمحجبات، ممكن قوي تعجبك أفكارها.

توقفت البسمة على وجهها كمن داس زر التوقف فوق وجهها، ماتت شفتيها! رددت مثل ببغاء "أمي؟"

لم يرتبك "مهدي" بداية، كست جبهته السمراء تموجات الدهشة فوق حاجبين غير راضيين، قال موضحًا كأنه يأكد أن هذا حقه - أيوه! أمي اللي ربتني، مدام كاميليا السرجاني، عمرك سمعتي عنها؟؟

جلست قباله، فكت حجاب شعرها - تصور، ما فكرتش أبدًا أقول لسالي ماما!

- أكيد! أمك ماسبتكيش وانت عندك تلات سنين، كنت أكيد هاتقولي لسالي ماما وقتها! المهم، وريتي سامح الحجات الحلوة دي؟

facebook.com/the.Boooks

- لأ! إنت أول واحد، احنا مش مضبوطين مع بعض أصلًا!.. نفسي أكلمك عن حجات كتير بخصوص ماما يا مهدي.

وقف غير راضٍ - أنا مش فاهم، إيه سر إصرارك انك تجيبي سيرتها؟

- أربع أسباب – نظر إليها – أولًا لأنها حقيقة في حياتنا، ثانيًا لأنك لو فضفضت في اللي يخصها، يبقى انت خلصت من العقدة، ثالثًا لأنك لو كلمتني أنا، يبقى احنا فعلًا بقينا صحاب، قامت واقتربت إليه – رابعًا وده الأهم عندي شخصيًّا، لأنك لو قبلتها أم.. أكيد.. أكيد هاتقبلني أنا أخت!

ظلت كلماتها تثقب رأسه، تحفر نفقًا من بين العتمة، إذن هي تعلم أنه لم يشعر بما تريد بعد! لماذا يشعر أن لديها قدرة غريبة على قلب الأمور رأسًا على عقب؟ أموره؟ منذ أن دخلت حياته بشكل قريب وهو يشعر شيئًا فشيئًا بأجزاء من الكراهية تتبخر داخل قلبه ناحية أمه! ينفي، يجادل، لكن ذلك ما يحدث! أخذ معه أصغر كتاب من كتبها ليخبرها في المرة القادمة أنه قرأه، يحب أن يكون لها رمزًا عظيمًا! لو كانا تربيا معًا.. حتما كان سيسعد بذلك أيضًا.

حينما دخلت عليه زوجته وهو يقرأ الكتاب، وجد نفسه يقول:

- شيري، أنا عاوزك في موضوع مهم، بس يكون ذهنك صافي، وصدرك رحب! وماتنسيش، ده سر مهم حتى على شيرين نفسها!

facebook.com/the.Boooks

تحب زوجته أن يشركها في أمور تخصه شريطة ألا تكون عن العمل! فهي لا تحب أن يحدثها بالألغاز بينما تموت قدرتها على المشاركة. دون أن يتعمق كثيرًا بدأ لها قصة أن أمه تزوجت بعد أبيه، وأنه اكتشف أختًا له، قبل أن يوضح هويتها قالت:

- وطبعًا مش لاقية تاكل، ودورت عليك عشان تاخدلها قرشين حلوين!

فوجئ لدى ردها إذ لم يتوقع مثله، أكملت:

- إديها طبعًا دي برده صلة رحم، بس تضمن ازاي انها مش هاتنطلك كل شوية؟

- لأ هي الحكاية مش كدة خالص، هي مرتاحة والحمد لله، لكن.. الموضوع عندك.. ماأخدش أبعاد أخرى؟ إني ظهرلي أخت!!

- يا حبيبي هي الأخوة دي كلمة؟ دي علاقة ترابط وتربية ونشأة، الموضوع كبير، يعني أنا دلوقتي مش حاسة مثلًا إن بقى فيه عمة للأولاد!

سكت "مهدي" قليلًا، لم تكن هكذا؟ يذكر جيدًا كيف كانت.. هو كساها بطبعه! كان أقوى منها فلم يكتس بطبعها، وإنما كساها بطبعه! هل يُنكر أن ردة فعله هو شخصيًا كانت أسوأ مما حدث توًّا!؟

- طب إذا قلتلك اني حابب تتعرف علينا وتقرب مننا؟

facebook.com/the.Boooks

حركت رأسها في اتجاهات عدة - زي ما تحب يا حبيبي، اللي تشوفه!

- لكن انت رأيك لأ؟

- بصراحة، أنا مش عارفة طبعها إيه، طبع جوزها لو متجوزة، طبع ولادها لو مخلفة، طريقة حياتها، ممكن اختلاطنا مع وجود علاقة زي دي بينكم يديها الحق في حجات ماحبهاش في بيتي مثلًا! مش عارفة! بس كدة أأمن!

أجل... الوقوف بجانب الحائط الظليل وإن لم يكن ظليلًا! ظلت تسأله عن كيف ومتى، عن شكلها ومركزها، لماذا يعجب من آراء زوجته؟ لماذا يجد نفسه على حافة الضيق؟ هل أشركها من قبل ليعجب الآن؟ أفاقته زوجته بابتسامتها الرقيقة، سألته متى سينام، قام معها، شكر لها استعدادها لتنفيذ ما يريد، لكنه لا يعرف بعد ما الذي يريد، سألته عن سبب السرية، فذكرها بمشاعر والده تجاه أمه... وتعجب لأنه نطقها!

كانت أول مرة تحادث "مصطفى" ويغلق عليها الخط!! أول مرة! ثم أرسل إليها رسالة يقول فيها أنه سيعاود اتصالها بعد نصف ساعة! لا تدري ما الذي أغضبها؟ ما الذي وترها؟ كثيرًا ما تفعل معه ذلك! لمَ لم تتوقع العكس أبدًا؟ تخيلته وهو ينظر إلى رقمها باستخفاف ويغلق الخط! آذاها ذلك كثيرًا.. أكثر

facebook.com/the.Boooks

من اللازم! لامت نفسها مرارًا، لأن احتياج الصديق لا ينبغي أن يبلغ هذا الحد، بل احتياج البشر لا ينبغي أن يصل إلى هذا الحد! بالإضافة لأمور كثيرة ستتغير مؤكدًا بعد زواجه! رغم تأكيده لها أن زواجه من "صفى" أو من غيرها لن يمنع أبدًا سير صداقتهما بأية طريقة! ها هو يتهرب منها الآن، بدأ يحنث، بدأ يتراجع، يتناسى! هاتفها أخيرًا، تكلم بصوت لا تعرفه، تأكدت أنها بجواره..

- حاجة بخصوص الشغل؟ مستعجلة؟؟

- أيوه! لأ! أبدًا! لما تفضى كلمني..

عن أخيها كانت ستحكي له، عما يتطور بينهما، وعن نيتها في زيارة موقع العمل! عزفت فجأة عن كل ذلك، انخرطت في عملها، بدأت أشياء تتراكم فوق مكتبها! المواعيد الجديدة، وكم المرات التي بحثت فيهم عن الملابس الجديدة! قبل أن تتحرك من المرآب وجدته يهاتفها، "مصطفى"! أجابته ببرود، لا يجب أن تُشعره بتأثرها أو أهميته، لكنه فاجأها، صوته الدافئ الهادئ، يعتذر لها طويلًا، يبرر لها كيف حدث ذلك، وكيف كان في إجازة من العمل بصعوبة وأخيرًا كي يختار باقي المستلزمات النهائية مع "صفى"، ظل يعدها ألا يفعل ذلك مجددًا، ويلح عليها أن تخبره فيما أرادت محادثته ولم يكن هنا!! غمرها الزهو غمرًا، وتأكدت من شيء واحد، لا يمكن أن تعيش دون وجود "مصطفى"

facebook.com/the.Boooks

في حياتها! هل هو كبرياء الأنثى؟؟ حكت له باختصار عن التطورات مع أخيها، كان سعيدًا مُشجعًا، حاولت بالمثل أن تسأله عن آخر تطوراته مع "صفى"، وافقوا أخيرًا على المائة فرد لكن في فندق خمسة نجوم!! كان باديًا من صوته كم هو تعب! تعب من الجدال والفصال والخصام، ويفكر كيف يرضيها وأهلها ليتم الأمر على خير، بادرت بالقول:

- أولًا هاتنزلك دفعة جديدة تحت الحساب في حسابك في البنك، وثانيًا معاها هدية جواز من الشركة، انت مش من الموظفين ولا إيه؟

- هَيبت! إيه اللي انت بتقوليه ده! لسا معاد الدفعة ماجاش، ثم هدية إيه أنا مش زي بقيت الموظفين ولا حاجة!

- مصطفى! بطل مناقشة انت ماتعبتش؟ أنا مش باخد رأيك ده قرار – سمعت تنهيدته – بعدين عاوزين نفرح بيك بقى! ماتنساش ان كل ده هايتاخد منك أضعاف بمجرد ما توصل من شهر العسل!

لم يضحك لضحكتها - شكرًا يا هَيبت!

- ماتشكرنيش أنا ما عملتش حاجة!

ها هي السعادة، في حل أزمة لصديق، في الشعور به يتحرك من الضيق إلى الفرح، تحب وجوده لأنها تحب السعادة التي يهبها إياها، ليست السعادة في

facebook.com/the.Boooks

الضوء، إنها فيما تشعر الآن!

- يلا يا سيدي، بكرة مش هانعرف نكلمك غير في الشغل! هاتقولي المدام ومش المدام، وهاتتغير الدنيا خالص! ويمكن كمان..

- هَيبت! –أوقف سيل رجواتها الخفية بأن يُطمئنها – عمر ده ما هايحصل! صداقتك شيء أغلى من إن أي حد يناقشه، مهما كان!

سمع تنهدها، ابتلع ارتياحها ابتلاعًا، وكم أحب ما ذاق!

في البيت كانت تنتظر "سامح"، ليست نادمة على ما حدث لأجله كل هذا، لكنها تفكر في خطط للمصالحة، ماذا لو أخبرته عن نيتها في الحجاب؟ لكنها تخشى خيبة الأمل! ما سر قوته العجيبة في استمرار الانقطاع تتمنى لو تعرف! جاء وحياها، يعرف أنه تأخر على ميعاد الأولاد، اتجه لغرفته رأسًا دون كلمة، كم تكره هذا الأسلوب! لمَ لا يتحدث المرء بما في نفسه صراحة بدلًا من أن يضمر الغل ويسيء المعاملة؟ ستترك له رسالة على جهازه، كانت طريقتها في مصالحته فيما مضى، تباعدا وانقطعا! اتجهت للمنضدة حيث ترك أشياءه، أمسكت جهازه وتحركت، وقع أحد كتبه ووقعت منه حافظة أوراق شفافة... وبها زهرة! ظلت مُسمَرة دون حراك، المشهد لا يؤلمها، بل يشلها! في لحظات وامضة... تراءت أمامها الذكرى، حين كانت طالبة تذهب لمكتبه عن عمد

facebook.com/the.Boooks

كي تسأله عن أي شيء، فيستقبلها بحفاوة نادرة، ويمتنع بأدب عن سماع أي طلاب آخرين! تذكرت كم من أيام السعادة، وقلبها يدق في انتظار رنة هاتفه؟ أجمل رنة، تندفع الدماء نحو أطرافها فورما تسمعها أذناها! يناقشها في أي شيء، ثم يعترف لها... أبو الهول نطق! "مش عارف ليه لما بكلمك، بحس بحاجة غريبة!"، وتتطور العلاقة سريعًا، ويهاتفها طالبًا أن تقابله بمكتبه ليناقشها بعض أخطائها، ويكسر حائل الثلج أخيرًا يسألها

- مالك؟ حاسك متغيرة!
- أنا استنيتك أكتر من نص ساعة!
- أنا آسف!.. طب أصالحك إزاي؟

ورغم أنه امتص غضبها قبل أن يرتد طرفها إليها، إلا أنها فوجئت لدى عودتها لبيتها، حينما فتحت حافظة التقرير ووجدت.. زهرة! أيقظها "سامح" من شريط الذكريات، تقدم نحوها، رآها تمسك بجهازه المغلق والكتاب والحافظة أمام قدميها، وعيناها لا تتركانهما! أصابه إعصار الثلج هو الآخر!

- إيه ده يا سامح؟
- إنت من امته بتيجي ناحية حاجتي؟
- بسألك.. إيه ده؟

facebook.com/the.Boooks

كان ارتباكه واضحًا! ويبدو أن ذلك أزاد من غضب ردة فعله!

- دي طالبة عندي، بتعبر عن إعجابها مش أكتر! عيِّلة! هايكون إيه يعني!

- ويا ترى، ليه Report الطالبة دي بالذات اللي انت جايبه معاك البيت؟

لم تكن تحقق معه، يعرفها، كانت تسأله لتتحرى صدقه فعلًا! رأت تلعثمه جليًّا بين ظلمات المكان، تابعت - ويا ترى، بادلتها التعبير ده بإيه؟؟

- هَيبت!

..... وسكت!

- لو سمحت جاوبني بصراحة!.. لو سمحت! ما تكدبش عليَّ في حرف!

جلس أمامها موليًّا عينيه عنها

- إنت عارفة اني، بقابل كل يوم ناس كتير و.. مختلفة، و.. مُعرض لموقف زي ده!

- إمم، مُعرض إن طالبة تعجب بيك؟ وتحبك؟.. إيه اللي حصل بينكم بالضبط!

- يعني إيه حصل إيه؟ هايكون حصل إيه؟ إعقلي!

- بادلتها الإعجاب ده بأي شكل؟

سكت.. تنهد، نظر للأعلى ففهمت، - انت مش بس زوج، انت أب!

قام واقفًا - قلتلك أي راجل ممكن يضعف، ماجراش حاجة لكل ده!

facebook.com/the.Boooks

اقتربت إليه ذاهلة - أي راجل ممكن يضعف؟ لكن أي ست لأ؟؟ - التفت عنها - نسيت إنت عرفتني ازاي واتجوزتني منين؟ مه بنفس الطريقة! مستني إيه اللي يجرى عشان تحط حد لشيء زي ده؟؟ أنا مستأمناك على نفسي! مستأمناك على كرامتي! نسيت كل ده قدام بنت مراهقة؟؟

واجهها - بدل ما تلوميني قوي كده، روحي لومي نفسك! هو أنا إيه اللي خلاني ماحطش حد؟ عارفة ولا تحبي أعرفك!

- بلغت بيك الجرأة للدرجة دي؟ بتغلطني؟ بتعاقبني؟ أبقى أنا السبب انك تبدأ تنجرف مع طالبة عندك؟؟ أنا قصرت في إيه؟ قللي لو عندك القوة!

- ليه؟ فاكراني مش عارف؟ فاكراني مش حاسس بيكي وانت زي الآلة اللي بعداد؟ خلص العد، وقفت الآلة!

بدأت أنفاسها تقهرها، ردت عليه ببطء أثار أعصابه - كان الأولى تسأل نفسك، ليه أنا كنت زي الآلة، مادام عندك إحساس! كان الأولى تحاول تعالج الوضع ده أو حتى تواجهني لو صحيح كنت متضايق، لكن انت كنت مستمر.. ولا كإن فيه شيء يستدعي التساؤل!

- خلاص يا هَيبت! قلتلك ان مكاني حساس.. واني معرض للحظات ضعف! ومن الأول ماجراش حاجة!

facebook.com/the.Boooks

أيضا قابلت عصبيته بهدوء حازم وحادثت بروفيله

- ماجراش حاجة.. تقصد علاقة جسدية؟ والمفروض ان ده بس اللي يمسني! صح؟ -التفت عنها من جديد - أنا مش عاوزاك تعترف.. أنا عاوزاك تسأل نفسك.. مين كان أولى يضعف، إنت دلوقتي؟ ولا أنا زمان!..

تحركت من أمامه وهو مجمد في مكانه لا يسعفه شلل تفكيره! جلس من جديد يفكر سريعًا، نادرًا ما يخسر جولة معها، أحاطته!.. لقد جرحها دون ريب! ولا ألف طالبة، ولا أجمل طالبة تهبه شعوره بها حينما كانت طالبته!! يتلذذ فقط بلحظة الثقب، وفورما ينبثق الدم.. يدوخ كأنه هو المذبوح! يلهث كأن النزف في رئتيه!! جلس طويلًا يفكر، أطول مما يفعل عادة حينما يكون لديه ما يشغل باله بجدية! عرفت بذلك، فقد ظلت تحملق في السقف داخل غرفة الضيوف التي نامت بها حتى قرب الفجر، وسمعت صوت باب غرفتهما أخيرًا يوصد، وأدركت أنه يشعر بجلل الأمر، باتت تغلي، تصطلي بخيالاتها المحرقة، ما شكلها؟ وكيف واتتها الجرأة! هل ناوشها؟ كيف؟ ومنذ متى؟ تتحرك فوق فراشها، تئن، تبكي، الحرقة بصدرها تكاد تندلع من فمها نارًا، قامت، تحركت ذاهبة آيبة، تجس ذراعيها العاريتين، عنقها، جيدها، ساخنة تكاد تشتعل! تشرب ماء، تغرق جوفها وصدرها بغل! بعد كل هذا الحب؟ وكل هذا العمر؟ تعود فتتدثر، تغط في نوم عميق، تهرب به من واقعها الذي يؤلمها بشكل لا تحتمله! ذهب

facebook.com/the.Boooks

للجامعة، ألقى عليها نظرة قبل أن ينزل، لم ير منها شعرة، متدثرة بالغطاء كمن لقي حتفه! وجد نفسه يكتب فورما حانت له الفرصة، سيرسل لها ما يكتبه...

"مش هاقول أنا آسف.. مع إني بجد آسف! ولاهاقول بحبك، لإنك عارفة اني بحبك، بس هاحكيلك حدوتة صغيرة، تنقلك كل اللي جوايا في اللحظة دي!

كان أول فيلم سينما يحضروه سوا! لوحدهم!! هي اختارته!

قال لها مصعوق:!!Gladiator ده فيلم حربي!

قالت: لكن هادف ورائع!

قال: طب ممكن تلغي فكرة التلات تذاكر دي؟

قالت: لو سمحت دي شروطي! لازم يبقى بينا كرسي فاضي!

ووافق! ورضي عن طيب خاطر! ودخل واتفرج وانفعل من غير نظرة واحدة منها! أول ما خرجوا اختفت! اتصل بيها وهو هايطق! : أنا مش فاهم إيه فايدة المشاركة وانا مش شايفك أساسًا!

قالت له بهدوء دوِّبه: غريبة! مع إني كنت حاسة بيك كويس قوي!

ومن اللحظة دي، اتمنى البنت دي تكون قدره، وعرف انه لا يمكن يتخلى عنها.. مهما حصل!

بعث الرسالة، كان "سامح" سعيدًا لتذكره التفاصيل، وكانت عيناه تدققان في

facebook.com/the.Boooks

كل حرف، وهو أكيد.. أن فكرته ستؤتي ثمارها.

في ميعاد ليلي نادرًا ما يحدث كانت "هَيبت" مقرفصة تتفرج على أضواء السيارات أمام كرنيش النيل بالمعادي، تحتسي شرابها الساخن، ربما تكون أول مرة تلقاه ببشرة شاحبة وعينين منتفختين، لم تخبره أنه يومها الثاني على التوالي الذي تمتنع فيه عن العمل. لم يسألها عن سر هيأتها، تردد، قال:

- إفتكرت إني هاشوفك بالحجاب.
- أصل، الموضوع ده.. واضح انه مش هاينفع!..

جلس أمامها وحادثها باهتمام لاحظته وامتنت له:

- غريبة! ليه؟ كنت آخر مرة هاتنزلي بيه من هنا! ضعفتي؟
- بقول إيه؟ بغض النظر عن رأيك، مش شايف.. إن الحجاب كبرني في السن؟؟

سكت بداية في دهشة مشوبة بالتردد - بجد،كل اللي حسيته انك كنت أنيقة ولطيفة.

تنهدت - فعلًا؟.. مش عارفة! فجأة حسيت انه قرار أصعب مني.. في سني، الست بتبقى عاوزة تصغر، مش تكبر!

facebook.com/the.Boooks

سكت، لا يعرف بما يجيب، ولا لمَ فكرت هكذا، ولم يحب أن يقوم بدور قائد اللقاء، ليس بارعًا مثلها في اختلاق الأحاديث بينهما! وكم يسوؤه اكتآبها البادي فوق قسماتها، قال:

- على فكرة، أنا قريت الكتاب الأول، المفكرون العرب وإسرائيل.

رأى نظرة الموت تحيا وتهتم، فرح، أزادها:

- بصراحة، الكتاب شيق جدًا، أنا مش قادر أنتظر أبدًا في اللي وراه.

عادت "هَيبت"! بسعادة رأى تجاوبها

- بذمتك، جاوبني على سؤال واحد بس.. انت حاسس ان انت نفس الشخص؟ .. I mean، ما حستش ان فيك حاجة اتغيرت؟ عارف إيه اللي اتغير؟ انك فهمت! بجد أنا قعدت أفكر كتير ولقيت الإجابة دي! فهمت حجات كتير، من أولهم مسألة الشرق أوسطية اللي احنا وقعنا فيها! كلنا ماخدناش بالنا فعلًا ان الفرق الوحيد بين لفظ (العرب) وبين (الشرق الأوسط) هو وجود إسرائيل! لكن ازاي يطمسوا ولائنا للعروبة وفي نفس الوقت يفرضوا علينا إسرائيل؟ expression جديد يدوب فكر الناس فيه، ويسموا إسرائيل أمر واقع!

نظر إليها بشبه ابتسامة وليس كما توقعت! دارت عيناه، وتنهد بذات شبه

facebook.com/the.Boooks

الابتسامة قبل أن يقول:

- انت طبعًا مش عرفاني عن قرب قوي لسا، بس لازم تعرفي اني نادرًا مابقول اللي هاقولهولك ده! أنا بجد، بجد حصل معايا كل اللي قلتيه ده! ومدين ليكي بالفكر ده – انتشت بشكل بالغ – وحاجة كمان، أنا كنت بعاندك.. لكن أنا أكيد.. أكيد نفسي ييجي اليوم اللي مالاقيش فيه علم النجمة مرفرف جمب النيل!

اتجهت له وعانقته، ارتجف في البداية من الصدمة.. ومن فكرة أنه لم يعتد مشاعر الأخوة، لكنه تحرك مع ثبات عناقها له وربت على كتفيها.

عادت "هَيبت" للبيت، لحقت وجبة العشاء مع الطفلين...

- مامي مابنحبش تتأخري كدة بره البيت!

- معلش حبايبي، مامي أوقات بتحتاج تروح مشوار مهم، يالا بينا نغسل أسنانًّا عشان خلاص، معاد النوم جه.

سامح: انت ما رحتيش الشغل النهاردة برده؟

لم تنظر إلى حيث صوته، قامت من مكانها منادية للمرأة السوداء كي تأخذ الطفلين، وأجابت باختصار متجهة لغرفتها – أيوه.

- طيب يعني ما بتقريش إيميلاتك؟ - لم تجبه – طب هاتروحي بكرة؟

facebook.com/the.Boooks

نظرت له مُستفسرة، لكنها فهمت ما يريده، ما لم تفهمه هو.. لماذا؟ أخذت جهاز (اللاپ توپ) خاصتها أمامه كرد له كي لا تضطر لمواجهته. انتظر يوم واثنين، هل يُعقل ألا يكون حركّها؟ منذ أن كتب هذا اللقاء القديم بينهما واستعاده، وقد تحول إحساسه من الدفاع إلى الشوق، الشوق لشيء حبيب قديم كان سعيدًا بل أسعد ما يمكن بسببه. يلحظ لينها، لمَ لا تدع له الفرصة؟ أثناء العشاء، كان يحادث الفتاة والفتى وهو ينظر إليها طوال الوقت، قالت "ليلى"

- إنت حلوة قوي يا مامي.

أكد سامح - فعلًا يا مامي، حلوة.. وأحلا واحدة في الدنيا كمان!

لاحظ كيف ابتسمت دون النظر إليه، تقدمت مربيتهم لأخذهم، تحركت "هَيبت" وتبعها، قال:

- هاتنامي لوحدك برده؟

لم تجبه، لكنها توجهت لغرفتهما بعد الانتهاء من حمام دافئ، أخذت موقعها وأولته ظهرها، وكانت تنتظره.. لا تراه، لكن تشعر بحركاته عن قرب! اقترب منها، شعرت بيده على شعرها، ابتسمت دون أن يراها، اشتاقت إليه حبيبًا وراجيًا لا كاسرًا! عانق ذراعه خصرها وسمعت همسه إياها - وحشتيني التفتت إليه، نظرت لعينيه، كم هو حقًا ساحر، قالت له بصدقها الذي يعهده -

facebook.com/the.Boooks

وانت كمان!

ابتسم، لامس أنفها بأرنبة أنفه - مش عارف لو ماكنتيش جيتي كنت هاعمل إيه؟

لمعت أسنانها البيضاء في ابتسامة حية، تابع

- بجد! كنت هارحلك هناك! صحيح هناك سريرين، والسرير الواحد مايكفنيش لوحدي، لكن كنت هاجي استخبى في حضنك برده!

عانقته بكل ذراعيها، هو لا يعرف ما فعله بها ما كتبه، لم تسامحه فقط، بل شعرت أن خطأه مجرد ذلة بسيطة ضاعف كبرياء الأنثى لديها حجمها! وهذا الصباح كان أجمل صباح! لأنه كان صادقًا، وهي تعلم صدقه!

facebook.com/the.Boooks

(٦)

لم يكن تأثر "حمزة" بلقاء ولديِّ خالته مثلما تأثرا هما به! لكن أحدًا لم يُبيِّن! جاء "وائل" وحده كما وعد، لا يستطيع أن يرفض لخالته التي ربته طلبًا! على غير عادة لم يشارك "وائل" في أي حوار! كانت الكثير من الأمور تشغله، وكان خائفًا من حوار حائم ينفجر مجددًا بينه وبين "حمزة"! يكفي ما حدث في الشهر الفائت! حينما بدأ "وائل" بالمناوشة بعد أن سمع "حمزة" يتحدث عن الانتخابات الأخيرة والإسفاف في الفساد والعلانية المفرطة غير المحتملة به.

قال له بفتور:

- إمته هاتعقل يا حمزة؟ إنت خلاص هاتتخرج! ولسا غايص في بحر قديم مش لايق على سنك ولا على شكلك! وشايف الدنيا بمية البطيخ زي ما بيقولوا، صدقني... فكر تاني، فكر فيّه! بصَلي! إعتبر!

- أنا فعلًا بعمل كده! – كان تأثره وصدقه هما الباعث الأول لدهشة وائل – بفكر فيك، كتير، كل ما أشوف نور الشريف بفتكرك! فاكر؟ فاكر يا وائل فيلم "إلحقونا؟"، فاكر "الصرخة!"، فاكر كلامك ليه عن الحق؟ عن العدل؟ فاكر "لست شيطانًا ولست ملاكًا"؟ لما قلتلي لو اخترت طريق لازم تكون مسؤول عن اختيارك للنهاية! – تأفف وائل - طب فاكر "زمن حاتم زهران"؟؟ فاكر كان مين البطل في نظرك ومين الخسيس من الأخين؟ فعلًا باعتبر! بقعد أقول لنفسي

facebook.com/the.Boooks

إوعى تبقى زيه! ده باع وهو عارف! إوعى تبيع! لأنك عارف! مش ده كان كلامك أصلًا؟؟

- كنت غبي! كلام فاكس!! قلتلك ميت مرة ده كلام أفلام! لما تتخرج وتشتغل، وتواجه الدنيا اللي بجد، هاتعرف!

- بكره نشوف! بس ماسألتش نفسك لو مابعتش انا، هايبقى شكلك إيه قدام نفسك؟؟ هايبقى شكلك إيه قدامي؟!

- بس! يابني فوق بقى! عارف لو كنت فضلت زي مانا! ولا كنت دفعت مقدم شقة ولا جبت شبكة ولا كنت هافكر في الجواز من أصله! تقدر تقلي أهلك سابولك إيه؟ ما الحال من بعضه! سابولك شقا! سابولك خوف من بكرة! سابولك تخبط دماغك في الحيط! وأنا عايز أعيش بدماغي.. مش عيب.

- مش عيب؟ إنت اللي علمتني يعني إيه عيب! دلوقتي جي تقول مش عيب؟ لما أبقى إنسان كل شغلتي فضح الناس ولا القبض منهم ده يبقى مش عيب؟ لما أبقى بدل ما أنور للناس الحقيقة بضللهم بحقايق وهمية مدفوعة الأجر يبقى مش عيب؟؟

- الناس اللي انت زعلان عليهم قوي دول أوساخ! وفيه بدالي ألف يعملوا شغلتي وبرده يقبضوا!

facebook.com/the.Boooks

- مانت بقيت زيهم! أنا آسف.. دي الحقيقة! وانا بقلها لك، لو دي الطريقة الوحيدة اللي فاضلة عشان أعيش.. أنا أفضل الموت!

- مانت ميت! هو انت فاكر نفسك كده عايش؟

- أنا عايش وبتعب، وبحلم، وبشتغل، وهاوصل، وليك فضل على فكرة، كنت أستاذي وقت ما كنت بتحب القيم!

- مافيش فايدة! كلام رنان وجمل مُشعة! –اقترب منه ينظر لعينيه بعمق - أما تبقى وارث.. إبقى فكر في الناس.. إبقى فكر في الخير وفي العدل! لكن أما تبقى عريان.. فكر إزاي تغطي نفسك!

كان قد تناسى هذا الحوار وقتما جاء مع أخيه العائد الباحث عن حقه بالشقة، ولم يشترك في أي من حوارهما، اليوم جلس "وائل" أمام التلفاز وطبق الفاكهة، ضاحكًا وفاكهًا كعادته! وكأن حديثًا ضاريًا لا يدور بخلده كلما رأى ابن خالته الذي كان يومًا مرافقه! واشتدت سعادته حينما لمح فيلمه المفضل، أو الذي أصبح مفضلًا!! "اللي بالي بالك" !! الضحك هو علاج الاكتئاب، هكذا راح يردد كببغاء! لم يجبه "حمزة" وكأنه وافق ضمنيًّا على عدم الالتحام به!! استأذن "وائل" بعد المغرب متعذرًا بلقاء خطيبته، "هذا الحمزة الأحمق!!" فكر "وائل" أخيرًا بحرية بعد أن نزع قناع اللامبالاة واكتست ملامحه بسواد

facebook.com/the.Boooks

الغضب!! كان يعلم أنه سيتعكر اليوم! لا يقابل هذا المخلوق العنيد إلا وتعكَّر!! أجل لابد أن يتعكر!! العبط والسذاجة تُعكر! الإصرار على الأحلام الوردية الحمقاء يُعكر! ماذا يعلم داخل قفصه الصغير البائس وتلفاز نور الشريف؟ ذاك القفص ذو السقف الذي يظنه فضي؟ غدًا يعلم أنه صدئ لا فضَّة فيه ولا نحاس! غدًا يعلم أن العالم خارج هذا القفص أقذر من أن يعيشه دون ساتر من لؤم واحتيال! ألا يفهم متى ينتكس المُعلم؟؟ حينما يُفاجأ أن علمه كله كان محض وهم وسراب! تخرج في كلية الإعلام وفي رأسه وصدره ألف حلم! تحطم الألف دفعة واحدة وبمجرد التحاقه بالجريدة! دون أن يمهله أحد! دون أن يرحمه أحد أو يرحم صدره المدجج بأحلام باتت كالرصاص السام، تذوب في أضلعه فتصهره! كلمة "الحقيقة" هذه باتت كسلك شائك حول عنقه، تدميه كلما تكلم! كلما تنفس!! واكتشف هناك أنها وصمة الأوباش والفشلة، والذين لم يصعدوا من سلم الأرشيف! وعرف أن الصحافة، وظيفة بحتة للتضليل! عرف أن المطلوب هو قلب الحقائق! قلبها بحرفية للعكس تمامًا!! فهل هو قلاب ماهر أم...؟ وكلما نجح فيما طُلب منه، كلما صعد، وكلما تعرى أمامه الشرفاء! وطفح الدود من جلودهم وعيونهم النهمة التي لا تشبع، والتي استهوت الوظيفة الحقيقية، ونسجت منها كتبًا فنية يسيل لها اللعاب!! وبعد أول مرة –وهي أصعب مرة– ينقلب الضمير، يتحول من آلة ذامَّة إلى آلة مداحة، تجعلك

facebook.com/the.Boooks

تستهوي الكذب وتهوى التضليل، وتستعرض عضلات ذكائك وقدرتك الغريبة على التحويل، من تافه إلى هام ومن هام إلى تافه! من شريف إلى خسيس ومن لص إلى عفيف! بل ومع الوقت، يبدو ذكر أي حقيقة مهما بلغت تفاهتها أمرًا غريبًا ويدعو للتساؤل!! مهلًا أيها الحمزة صاحب نور الشريف! مهلًا كي ترى بنفسك أنه عصر خالد يوسف لا نور الشريف! نفض رأسه يمنة ويُسرة وكأنه توًّا قد قام من القبر! أجل هو قبر مُترب لا يجب أن يترك نفسه يهوى داخله مُجددًا، ولذلك تحديدًا امتنع عن أي حوار!

- اتأخرت عليك؟

- قوي!

دخلت خطيبته للسيارة الصغيرة وهي مرتبكة من غضبه...

- انت دايمًا كده تتأخري يا سلمى؟ المهم انك عارفة كويس الانتظار ده بيعمل فيه إيه؟

- مالحقتش والله! هو إيه الحكاية؟ أخوك كلمك في موضوع الشقة فعلًا؟

- حضرته مُصر يشوف مُشتري قبل ما يمشي ويمضي معاه عشان يعرف راسه من رجله!

- طب وبعدين؟ هانعمل إيه؟

facebook.com/the.Boooks

- كان نفسي بس يصبر عليَ شوية، إنما هو خايف نتجوز فيها ونحطه في الأمر الواقع! عارفة انت كل الناس في نظره محتالين وكدابين مدام عايشين في مصر! المهم هأجر شقة صغيرة كده استوديو لغاية ما الشقة اللي خدناها ييجي معاد تسليمها ونبدأ نشطبها، أصلي ناقص مصاريف! حتى العكمة اللي عكمناها من الراجل والست دول اللي طلعوا اخوات، هانبتدي نصرف منها بدل ما نحوشها للعفش!

- ولا يهمك يا حبيبي، إهدا عشان خاطري، طول عمرك عامل خطة A وB، وما تتوصاش! أمال أنا بحبك ليه؟

أجل! هدئيني أرجوكي، قولي لي أني أعجبك، قولي لي أني ذكي، قولي أن ما اخترته هو الصواب! قولي أني عاقل رابح، قولي، هذا ما أريد سماعه الآن! بل ربما أحتاج لأن أُصم سوى من هذي الكلمات.. هيا قولي وأزيدي، نظر نحو خطيبته الحلوة تلك، في الحقيقة يعلم كم هو محظوظ بفتاة كتلك، شراسة الأطفال في عينيها، لكن تتحول أظافرها معه لربتات استئناس! طيِّعة، لينة، حلوة، والأجمل أنها لا تعلم كم هي حلوة! كانت صدمة له حينما اكتشف أن ثقتها المهزوزة في نفسها رسخت داخلها أنها ليست كذلك.. أو على الأقل ليست حلوة بما يكفي! رغم أنه على يقين أنها كذلك. ما أسوأ أن تعرف المرأة

facebook.com/the.Boooks

كم هي حلوة؟؟ ثم الأهم والأخطر، أمنية كل رجل على وجه الأرض.. أنها تراه الفارس الخارق! ترى في كلامه العقل كله، وفي آرائه الحكمة كلها، وحينما تختلف معه وتتردد، تعود سريعًا لتأكد له.. (أنت الصواب)! أرنبه الناعم الأبيض الجميل، في انتظار محموم لدخول القفص الزوجي، وتعده آنذاك بالممارسة الدائمة للعب الـ Play Station معه! ولتقديم المزيد والمزيد من أجله لا سواه، كم هو محظوظ، كم هو محسود؟ من نفسه أكثر حتى من الجميع!

حينما سألته "هَيبت" أن يذهب معها في مشوار هام أسمته "مفاجأة" من أول النهار، اكتشف هنا وهنا فقط أن علاقته بأبيه نمى في ثناياها نوع من القيد لم يدركه قبلًا! وجد نفسه في حيرة يفكر ماذا علّه يقول له! لم يفعلها في حياته سوى في أوقات مرضه الشديد أو السفر طبعًا، أما الآن...؟ لكنه اخترع ميعادًا وهميًّا مع إحدى شركات العقارات الخاصة بالمصايف، وبرر ذهابه بنفسه إلى مقرهم برغبته في رؤية (الماكيتات)! ورغم ذلك، لم يستطع أن يبرر له لمَ لا يعرف متى سيعود! هو في البداية لم يحب أن يُقحم "هَيبت" في معرفة أمر مماثل، ثم خارت إرادته ووجد نفسه يعترف لها وهم في الطريق، في سيارتها بعد أن ترك سيارته في نقطة آمنة:

facebook.com/the.Boooks

- مش من عادتي أكدب على الحج، أصل مافيش في حياتي حاجة تستخبا!

- ولو! أي شخص في الدنيا لازم تبقى له Privecy! أنا مثلًا ممكن بابا يفتكرني في مدرسة الولاد، أو هاعدي على سامح أفطر معاه في كافيه الكلية قبل الشغل، أو حتى مش رايقة وهاقعد أقرأ الجرايد في التراس! المهم أكلمه الصبح أطمنه عليه.

فكر قليلًا في كلامها وهو ينظر للأمام، ثم قال:

- عندك حق، بس أنا مش ندمان، يعني مقابل حياتي المفتوحة، فيه رابطة قوية قوي بينا، وثقة، وحب، وسند، وأمان، فيه حجات كتير قوي ادَهاني، هافضل مدين ليه بيها، وحاسس نفسي مستعد أتحمل التبعات.

- تعرف إنك حقيقي شخص مختلف! شخص متزن، متصالح مع نفسه – تنهدت – وده بيخليني أقولك قد إيه انت Distinguished، لأنك اخترت تكون كدة، على الأقل أنا والدي عاش برة واكتسب الطريقة دي من الغرب، فاهم؟

- تقصدي ان الغرب فكرهم أكثر تقدمية حتى في القيم!

- أبدًا! – احتدت - مش كدة! مش معنى إن ده الفكر السائد بين رجال الأعمال المصريين من أول الانفتاح أصلًا، يبقى خلاص مافيش قيم، مادام أنا وانت موجودين.. يبقى أكيد فيه زيينا كتير! أنا مؤمنة جدًّا بالنظرية دي! إلا

facebook.com/the.Booooks

القيم! ده احنا ماحيلتناش غيرها! أه الدولة العظمى في العالم اللي شاطرة توزع المعونات للدول الفقيرة عشان تفكر الدنيا دايمًا انها السيد واحنا العبيد، مليانة ناس فقيرة وHomeless، والموظفين كلهم مديونين، واللي بيتعثر لأي سبب بيقطّعوه! آدي الرأس مالية اللي فالقنّا بيها!

تعجَّب، هل هذه هي المُدللة التي كان يعتقد فيها كِبْر الحسب وخيلاء المغتربين؟ لقد أحيت به عاطفة ما، أحيت به أفكار جميلة عاشها في شبابه، لا توقظها بداخله من بعيد سوى الصغيرة "هدير"

- قوليلي بقى، إحنا رايحيين فين؟

يعرف أنهما الآن في طريق مصر إسماعيلية الصحراوي، لكن إلى أين؟

أصرت على أن ينتظر حتى يصلا، لم يناهد كثيرًا! سألها بغتة - إنت ليه أصريتي كدة على موضوع إخوتنا ده يا هَيبت؟

نظرت له أثناء القيادة ثم نظرت للطريق من جديد - يمكن لأني عارفة قيمة إن الإنسان يكون له أخ!

ظلت تحادثه طويلًا عن أمانيها في ألا يُحرم أطفالها من الأقرباء مثلها، الأقرباء أبقى من الأصدقاء، والصداقة الحقيقية شيء شديد الندرة، حدثته بأمانيها في أن ترى طفليها يلعبان مع طفلتيه، وفي لم الشمل، كيف؟ لا

facebook.com/the.Boooks

تدري! متى يمكن لهذا أن يتحقق.. أيضًا ليست على دراية لكنها تظل تتمنى، تدعوه لأن يتخيل إحدى رحلات الصيف بصحبة العائلة، أو يتخيل الأطفال يلعبون سويًّا في الملاهي أو أمام الشاطئ! يستمع إليها ويتخيل مجرد خيال كيف يتقبل أبوه الأمر، فتموت الخيالات كاليمام أمام فوهة الصياد، سألها عن والدها:

- أصلك مش عارف بابا إيه بالنسبة لي! إحساسي بيه مش مجرد حب وتعلق بنت بباباها، إنما احترام، وارتباط! هو استحمل كتير علشانا، وعمل حجات عشاني بالتحديد، كفاية إنه عاش عازب طول السنين دي!

- طب وهو ليه ما فكرش يتجوز تاني؟

- قصدك تالت! حاولنا كتير على فكرة نشوف له حد مناسب، بس بابا طبعه مش سهل، مش بس انشغاله الرهيب! لكن أكتر شيء يكرهه حد يقول له هو رايح فين أو ليه!! فجأة كدة تلاقيه واخد صحابه ورايحين كام يوم في الساحل يسترخوا، أو يصطادوا في الجونة!

شخص عكس أبيه تمامًا! أبوه الذي يرى الحياة مسؤولية والأسرة قداسة! وصلا إلى حيث بغيتها، كان موقعًا كبيرًا للبناء، فهم الآن لماذا طلبت منه أن يرتدي (كاچوال)! نزل معها حيث دخلت إلى منتصف الموقع،

كان هناك أكثر من بناية، التقى بالشخص الذي حدثته عنه، "مصطفى"،

facebook.com/the.Boooks

صديق الدراسة الذي تركها تمامًا وعمل في المقاولات! صافحه الرجل ولا يدري إن كان يعلم هويته، اصطحبته إلى حيث لافتة تبيان الموقع، رأى رسم منظور الطير لمباني الموقع، لم يفهم شيئًا بعد!

- إنت فاتحة شركة عقارات ولا إيه؟

ضحكت "Definitely not!، شوف يا سيدي، ده مشروع "خيري" "تنموي"، بدأنا فيه من سنتين بس! طبعًا هو متأخر جدًّا لظروف كتير هاحكيهالك، مدير التنفيذ اللي هو مصطفى شغال فيه part time هو والعمال بتوعه، فيه مشاكل تمويل، كل شوية ناس ينُطولنا يعملولنا مشكلة على الأرض وحدود الأرض، مصطفى بيحاول يتصرف..."

- فهميني إيه المشروع بالضبط؟

أشارت لأقرب مبنى – ده مستشفى، هاتبتدي صغيرة، غرف كشف، وبعدين نعلِّي الأدوار مع الوقت ونبني غرف عمليات وعيانين ونكبَّرها، دي بقى مدرسة، ابتدائي وإعدادي، إن شاء الله لما ربنا يفرجها! وده مسجد، صغير شوية بس هايكون In the future piece of art! ها نعمل هنا دورين، دور أرضي دار أيتام فتيات، والعلوي إن شاء الله وظائف يدوية خياطة وغيره، علشان البنات المتخرجات من الدار.. إيه رأيك!

facebook.com/the.Boooks

كان "مهدي" في حالة ذهول قلما يصل إليها، لم تكن ترى نظرة عينيه من خلف نظارات الشمس، كان يتأمل كل مبنى على حدا بسكون تام، حتى سألها عن مبنى مختفٍ وراء المسجد شديد الصغر مقارنة بباقي المباني، قالت بصوت أقل حماسة:

- ده، بعد عمر طويل، هايكون مقبرة العائلة الصغيرة قوي بتاعتنا!
- غريبة! إيه اللي دخل المقابر في الموضوع؟
- هاحكيلك أصل الموضوع، كنت أنا وبابا مرة في البوسنة، جوهSarajevo (سراييفو)
- اختيار غريب! أنا طبعًا عارف إنها مسلمة، لكن ما أعرفش انها سياحية.
- ناس كتير مافيش في ذاكرتها عن البوسنة والهرسك غير عدوان الصرب سنة 92، انما هيه بلد رائعة، وكنا نحب نلف على أهم المواقع أنا وبابا، رحنا أكبر وأجمل مساجد البوسنة، دخلنا نصلي فيه، لما خلصنا صلاة الجماعة، لاحظنا ان اللي حوالينا معظمهم شباب في نفس السن، لما خرجنا من المسجد لقينا كل الشباب دول بيروحوا يقفوا قدام مبنى قريب صغير يقولوا كلام رافعين إيديهم ويمشوا! سألنا إيه الموضوع، قالوا لنا، كان فيه راجل عظيم، غني وتقي، بنا الجامع ده، ومدرسة بنات، ومدرسة بنين ومكتبة وخان محلات، وكلهم وقف للناس، من سنة 1530 ميلادية as I remember ولحد دلوقت! وكان بنى

facebook.com/the.Boooks

ليه مقبرة، فالطلبة كانوا يخرجوا من المدارس، أو المحلات، يصلوا في المسجد، بعدين يدعوا للراجل ده قدام ضريحه، بعدين يمشوا! كل يوم على كدة!.. وفعلًا لقينا يفطة مكتوب عليها بلغتهم (هذا وقف لغازي خسرو بيك)، جسمك بيرتعش، مش كده؟

سكت، كان يريد أن يقول "أنا مش مصدق!".. لكنه سكت! غموضه يثيرها.

- تصور إن أصل كلمة (تكية) اللي بنقولها في مصر تريقة هو مصدرها؟ كان باني منشأة اسمها التكية عشان تقدم Hot meals سواء للمحتاجين أو للعابرين على سارايبفو بشكل دائم! وقالولنا ان المنشأة دي كانت بتستهلك حوالي نص الدخل اللي بتجيبه أصول الوقف! Can you imagine?، طبعًا بتسأل نفسك هو فيه كده؟ آه.. فيه كده، ولازم يفضل فيه كده!

أثناء طريق العودة قالت له "هَيبت" باختصار

- أنا جبتك هنا النهاردة، عشان تعرف إن مافيش ثورة جياع هاتيجي في مصر!- نظرت له ترى ردة فعله، غابت الشمس ولا نظارات يخفي بها عينيه، تابعت – As long as إن فيه ناس بتفكر في الفقرا والبسطاء، As long as إن فيه أغنيا مستعدين يصرفوا من غير حساب في السبيل ده، لا يمكن تيجي ثورة الجياع! إحنا مش هانسيبها تيجي! مش لازم نستنى الحكومة، إحنا

facebook.com/the.Boooks

ممكن نشتغل!

فكر "مهدي" في كلامها طويلًا، هو يدفع الزكاة بكل تركيز ودقة، ويهتم لأمر صغار موظفيه من خدمات مضاعفة طبية أو خلاف ذلك، لكنه يومًا لم يفكر في مشروع! ليس لحجمه، وإنما لفكرته.. من ينبهر بمن الآن؟ قال - المشروع باسم أبوكي؟

- لأ اسم بابا مش هايبقى موجود غير على الضريح بس، مش هانقلد الراجل في دي! – ابتسمت – المشروع كله هايكون وقف باسم (صلاح الدين الأيوبي)، ده رأيي وبابا وافق

رفع حاجبيه - والأيوبي كمان؟ إشمعنى يعني؟

نظرت إليه نظرة يعرفها، تلك العذبة الحيَّة التي تنطق وحدها، وعادت عيناها للطريق وقالت:

- عشان هو شخص مختلف، وانت عارف عمل إيه!

ركب "مهدي" سيارته وودعها، وتقول ألا أحلام لديها تحققها! آ الإيمان بفكرة ما لهذا الحد يصنع كل ذلك؟ ظل يفكر في هذا اليوم العجيب! أجل، كانت هي (أليس)، واصطحبته لبلاد العجائب، في جو نفسي مختلف تمامًا، كان دومًا يرى أمثاله من رجال الأعمال، مُصورين في الأعمال السينمائية والدرامية، لا

facebook.com/the.Boooks

تتغير طاحونة حياتهم سوى بكارثة! يفلس! يتعرض للخيانة، يتزوج السكرتيرة التي توهمه بالولد ثم تسرقه وتختفي! يقع في غواية إحدى المومسات!! وكان دومًا ما يرفض هذا الفكر، ويحصن نفسه من السفه إذا ما تحلى في ثوب عروس وحاول اقتحام حياته، كان دومًا حكمه على نفسه أنه سعيد، لم يتخيل قط أن ما سيُغير حياته ظهور أخت له! ليست أي أخت.. كانت بمثابة العدو!! الآن تملأ كيانه أفكارًا، وتُحيي أمواتًا، وتخلق ما لم يعلم من قبل! كان على وشك أن يسألها المشاركة، لمَ لا، ذلك شيئًا يُفتخر به، إلا أنه سألها عن اختيار الإسماعيلية تحديدًا، فأجابته أنها مسقط رأس أبيها، ومن الرائع أن يُحيي المرء مكان أجداده، غرست الفكرة بسحرها نفسها في رأسه، سيفعل بالمثل! في أسيوط! دون رأس مال عظيم، بل على مهل كما فعلت تمامًا.. سيُرسل رجاله إلى هناك ليرى ما يمكنهم فعله، وسيطير أبوه فرحًا بفكرته، وسيجد من هناك العون الكثير.. لوالده علاقات دائمة هناك ليومنا هذا. ليس تفكيرًا.. لقد قرر! خير البر عاجله، وليس أبر من أن يكون له هذا الهدف في حياته، لمَ الانتظار؟ فكرتها؟ فليكن! هو عبد الأفكار البناءة! انتشى حين تخيل شيئًا.. تخيل نفسه يقول لطفلتيه يومًا.. لمَ لم تأت ثورة الجيا ع!!

facebook.com/the.Boooks

عاد "حمزة" لمنزله كطير طليق، قوي، سهم! أكبر وأهم وأعظم خبر أخبرته به "هدير"، لا يكاد حتى اللحظة يصدق ما حدث! يعيد كلماتها بصوتها العذب على مسامعه فينتشي من جديد! تشدو على مسامعه باستمرار أغنية حمزة نمرة (إحلم معايا)!

احــلـم معايا ... ببكره جاى ولو ماجـاش ... احنا نجيبه بنفسنا

نبدأ نحاول فى الطريق كتر الخطاوى تدلنا على حلمنا

مهما نقع نقدر نقوم نشق نتحدى الغيوم نلاقى ليلنا ألف يوم

بس احنا نحلم

أخبر والدته بعد أن تركت ما بيدها وجاءت خلفه مبتسمة على شدة يده ليدها وعلى فرحة أعينه التي بشَّرتها قبل أن ينطق...

- جوز أخت هدير جابلي شغل، بس مش أي شغل! مشروع كبير، كبير قوي يا ماما! مستشفى ومسجد ومعهد، رسومات إنشائية وداخلية وتصميمات تنفيذية، أنا.. مش عارف أقول لحضرتك إيه! كل اللي قلتيهولي بيتحقق! أنا بحبك يا ماما، بحبك قوي! أنا كده أقدر أحوش مقدم الشقة في أي حتة من الجداد اللي استلامهم بعدين! وساعتها نقدر أنا وهدير نبتدي حياتنا في إيجار على أمل موجود! وإحنا... نغير عربيتنا الخردة دي! والدفعة النهائية دي بقى عشان أسماء! نفسي تنزلي معاها وتجيبيلها الحجات اللي نفسها فيها!

facebook.com/the.Boooks

طقم الكريستال بقى والمعالق والحجات اللي بتقول عليها دي!

- حيلك يا حمزة! –بشفاه منفرجة وأعين راقصة - انت كسبت في من سيربح المليون؟

- أصل حضرتك مش متخيلة! الراجل عاوز يساعدني عشان أخت مراته، وعارف إني هاكلفه أقل من غيري كتير، ومع ذلك قالها على أرقام مبدئية.. مش عارف أقول إيه؟

كانت يداه ممسكتين بيديها في مشهد ساحر، قلما يمرون عليه، قبل كلتا اليدين وعانقها، ولا يدري كيف أو لماذا فاضت عيناه.. تمنى كثيرًا أن يحل أزمة نفسه دون أن يترك الآخرين! تردد على ذهنه قول الرسول الكريم على أحد الصحابة "صدق الله، فصدقه الله"! ووجد نفسه يتمتم في حضنها بصوته الدامع

- آه والله! والله يا رب كنت صادق! والله نفسي أسعد أهلي وأحققلهم أي حلم من أحلامهم!

رفعت أمه رأسه من كتفها وعانق كفاها وجهه الحبيب

- انت بتعيط يا حمزة؟

مسح وجهه سريعًا - لا يا أمُ حمزة، ان شاء الله مافيش عياط! أوعدك.. أوعدك

facebook.com/the.Boooks

مشروع زي ده كمان، وأوديكم الحج ان شاء الله!
خرج كلاهما من الغرفة يتحادثان بشأن "مهدي"، تلك الشخصية العجيبة رغم ما حولها من غمام الصلابة والعنجهية! حينما واجهه أبوه الجالس ينظر إليهما من تحت قائلًا:
- إحنا مش قد الناس دي يابني! بلاش أحلامك تاخدك لبعيد، بعدين تقع على جدور رقبتك! بص على قدك!

رغم ما شق صدره لدى تلك الكلمات! قرر ألا يجيب، نظر لوالدته، تركهما واختبأ في غرفته، في تلك المرأة كل القوة وكل الضعف! تجتمع السعادة مع الشقاء له!! يشبهها، وربما لذلك تحبه! أو هكذا هو يعتقد. يعرف أنها كانت طموحة مثله، يعرف أنها كانت مثابرة ومُتحركة مثله، ويعرف كم كانت مع حبها للجد والالتزام، تهوى عاطفتها، وتتمنى لو دومًا تسقيها، لكن كان كل ذلك، قبل أن تتحطم فوق الصخرة التي تود لو تحطمه هو الآخر!!
كم سأل نفسه، كيف تزوجت بهذا الرجل! هو لا يشبهها في أي شيء!! ولا تحب أن تشبهه! وكم سألها وهي واقفة تعد لهم أشهى كيك ممكن "هو حضرتك اتجوزتي بابا عن حب؟"، طبعًا لم يكن هذا هو سؤله.. أراد أن يقول "اتجوزتي بابا ليه؟"، لكنه يتبعثر خوفًا من إغضابها، وهو يعلم جيدًا ما

facebook.com/the.Boooks

يغضبها.. فهي مُربية! تبتسم، تزفر تنهيدة على شكل ضحكة، تجيب بكلمات كأضغاث الأحلام، وتحاول أن تجد لنهمه سبيلًا ينبعث منه دون أن تنجح في ذلك! لكن المشكلة لم تتوقف عندها للأسف! فوالده المتقاعد مبكرًا، يكره نجاحها البسيط، يعيرها على أقل خطأ "هي دي دكتورة الجامعة؟؟"، وكأنها ليست بشرًا! وكأنها معصومة أو لابد أن تكون كذلك، بينما هو يغرق في الخطأ حتى أذنيه دون من يلومه بمثل لسانه اللاذع، كم تعجَّب لسكوتها! ولكنه لم يكن يومًا يقدر على السكوت!

- بترد عليَّ؟ بترد عليَّ يا فاشل!

- أنا مش فاشل! وعمري ما كنت فاشل! مش معنى اني اختلفت مع حضرتك اني فاشل!!

ولا يصمت أبوه عند هذا الحد طبعًا، تزداد الصيحات، وينفجر لسانه بالكلمات، ويتحول الحوار لحلبة ثيران تنزف هائجة! قبل أن يهتدي، كان يزيد النار حطبًا، ولا يصمت إلا حينما تمنعه هي، تصرخ في وجهه، تدفعه دفعًا خارج حلبة المصارعة "بقلك اسكت! روح على أوضتك!!"، ويستجيب لدفعاتها فوق صدره، ويتركه مبتعدًا تطول أذنيه سياط الكلمات الحائمة، تدخل إليه بالليل، دون نقاش فيما جرى، تسأله عن مذاكرته وهي تربت فوق شعره، تُذكِّره

facebook.com/the.Boooks

بآمالها العريضة فيه "مش هاقبل أقل من مهندس!"، وتؤكد له ثقتها في تحقق أمانيها، تقبل عينيه كما يحب أن تفعل، لا تتركه قبل أن يبتسم لها، هو يعلم! يعلم أن والده يكرهه لأنه يشبهها، ليس في رقة قسماتها فقط، بل في شخصها وفكرها، يصب كرهه الشديد صبًا من فمه، منذ كان صغيرًا لم يبلغ السابعة بعد!

"طالع زيك.. عصبي وغبي!"، ويظل يسأل نفسه طول الليل.. ماذا فعل كي يكون غبيًّا في نظره؟؟ وكيف لأي سبب كان ينعت أمه شديدة الذكاء هذه بالغباء؟؟؟ "فرحانة بيه قوي! بكرة نشوف هايبقى إيه!" وكانت غضباته بعد صغيرة، بكاءات ساذجة، وأرق طفولي ساخط، وتدور الأسئلة بلا راد أو رادع، والطفل يصبح فتىً يافعًا، ولا ينتهي التكييل، يلسعه بنظرات نارية إذا ما جاء بخبر تفوقه "غرورك ده، هايوديك في داهية! – وينظر لأمه - زي ما ودى ناس قبلك!"، حتى حينما ظهر التنسيق وحصل على كلية الهندسة كما توقع، نظر لسعادته جالسًا ببرود، يُملي عليه حكمه قائلًا "يابني، ما يمدحش نفسه إلا الشيطان!"

وقتها هاج "حمزة" وماج: - مش ممكن تكون أبويه! انت نفسك أفشل وخلاص! نفسك تلاقيني ضايع وخلاص! لكن لأ! أنا هانجح غصب عن أي

facebook.com/the.Boooks

حد!!

وكانت تلك آخر غضبة! سمع بعدها كلمات وعظية من رجل يحترمه عن بر الوالدين، وفهم أن هذه النقمة قد تودي بأحلامه ومستقبله، بل وآخرته! وعاهد نفسه ألا يتركها تنزلق في وحل الشيطان أبدًا! أبدًا! وقبل بالمقايضة، حبه العظيم وإجلاله لوالدته، مقابل الوالد الذي يكرهه لشيء لا ينبغي أن يُكره عليه! وكان لـ"حمزة" ما يشجعه على ذلك، صديقه "عمر"، فلعمر والد غائب دائمًا، ووالدة ربة منزل نصف متعلمة، يجرعانه السم! كلٌّ بدائه، لذلك أخذ "حمزة" على عاتقه أن يأخذ بيد صديقه هذا، وأن يقبل واقعه دون اللجوء لدور الضحية الذي كثيرًا يكرهه.

حتى "عمر"، لم ينعم بالحب بعد، لم يجد بنت الحلال، تعلق قبلًا بخيط رفيع قُطع لدى أول اختبار حقيقي منذ عام، ولا يزال خاوي الوفاض، وكيف له أن يجدها وقد منع نفسه أي اختلاط أيًّا كان بعد أن انضم لجماعة الإخوان؟ كم راح يناقشه مرات.. "يا عمر صدقني، الست زي ما هي مبعث العصيان ومأرب الشيطان زي ما شيخكم بيقول، هيه هيه مبعث التقوى والنجاح! لو كانت كويسة! ازاي هاتلاقي بنت وتتأكد انها كويسة؟ مش بالحجاب والماكياج يا عمر! فكر!" يذكر دومًا "هدير"، الفتاة تعني له "هدير"، حينما زاد الإعجاب عمقًا نظر لسيارتها الصغيرة بإجفال، قالت تطمئنه "من خمس سنين بس، كان

facebook.com/the.Boooks

عندنا عربية بابا وبس، وكانت لانوس!!"، وفهم، فهم أنها تفتح له الباب، وكم كان سعيدًا، وعلى استعداد لطرق طويل حتى يُفتح له هذا الباب!

في المساء، دخلت والدته عليه وهو يبحث في جهازه عما يخص مشروعه الجديد، يجب أن يُشعر الرجل أنه أصاب في الاختيار، وأنه يُعتمد عليه! لكنه يفهم أمه.. يعرف من عينيها أنها ليست هي! لكن لماذا؟ ومن تكون؟؟ ساءلها طويلًا.. تلعثمها يُخيفه أكثر! ما الذي يشق عليها ذكره إلى هذه الدرجة؟ وأخيرًا بدأت تتكلم، تلقي بالكلمات دون أن تنظر إليه، تُدمي قلبه على مهل! ماذا فعل بكِ؟ غسيل مخ؟ تنويم مغناطيسي؟ كيف تطلبين إليَّ ما تطلبين؟

- ليه لأ! أبوك كويس على فكرة! هو بس مش محظوظ.

كيف يجيبها؟ ماذا علَّه يقول؟ عليه الآن أن يسأل "مهدي" أن يقوم هو ووالده بالعملية كاملة، أبوه مقاول كبير! محترم! لمَ لا؟ عليه أن يذكر محاسن والده التي لا يراها هو أصلًا، عليه أن يتذلل بشكل خفي للرجل كي يُنعم عليهم بهذا المشروع، عليه أن يكون مصريًّا أصيلًا في تنفيذ مثل "سكتناله دخل بحماره"، عليه بدلًا من تمثيل دور الشاب الناجح الذي تم اختياره، أن يمثل دور الشاب الملهوف لأي فرصة ولأي قرش والسائل الطالب الذي لا يريد أن يفوت فرصة أن يكمش مزيدًا مما يجود به رجل الأعمال الغني! لن يكون ندًّا له يومًا! بذلك لن

facebook.com/the.Boooks

يقوى على أن يكون "عديله"، سيصبح دائمًا الأقل والأصغر، كيف؟ كيف تطلبين مني ذلك؟ من كان سببًا في جبيني المرفوع دائمًا؟ من علمني الكبرياء؟ من رفع هامتي وعلمني كيف أُبقيها ها هناك دون أدنى مقايضة تهزها ولو لشبر؟؟

- انت عارف الظروف، مشروع زي ده ممكن يعمل فينا إيه؟ ممكن أبوك يشتغل فيه ازاي ويبقى بعده إيه؟

ماذا سيكون؟ ماذا كان بعد المشاريع الكثيرة التي أخذها وخسر؟ نسيتي؟ نسيتي الفشل؟ نسيتي الخسارة؟؟ أم نسيتي تباطأه الغريب والعجيب الذي يخسر به عملاءه؟ كيف تضعينني في كفة أنا وآمالي وأحلامي وكرامتي أمام هذه الكفة التي لم تجن منها سوى الخلاء؟؟ كيف؟

- الاحتياج! الاحتياج يا حمزة انت أصلك مش عارف البيت ده ماشي ازاي!

ما الذي لا أعرفه؟ أخبريني؟؟ لمَ أنا في كل هذا الشقاء إذن إن كنت لا أعرف؟ منذ متى كان الاحتياج دافعًا كي نتنازل؟ هل وائل إذن على حق؟ هل كذبتي عليَّ كل تلك السنين؟ هو أخبرك بذلك؟ أقنعك بذلك؟ ألم تملِّي وعوده الذهبية التي يسُمك صدؤها بعد ذلك؟؟ وتريدينني اليوم أن أكون شارب هذا السم؟ تريدينني أن أخفض هامتي ثم أخضبها صدءًا؟؟

facebook.com/the.Boooks

- المرة دي مش أي مرة! هو عارف ان المشروع ده كبير، وهو   يا سيدي بدل مانت تشيل همنا، يشيله هو!

حقًّا؟ تتكلمين كمن ضمن النجاح؟ تتكلمين بذاكرة أخرى ليست لك؟ ذاكرة وهمية من أين لك بها لست أدري! كنت أحمق إذن كل تلك السنين إذ صدقتك وصدقت قيمك ومبادئك؟ تبكين؟ أرجوكِ لا تبكي! لست بقادر على تجرع دموعك مع دماء روحي! صدمتني وانتهى الأمر! حملتني ما لا أطيق فكسرتِ فقرة في ظهري، إن لم تكن مرئية للعالم فستظل تؤلمني أبد دهري! ستظل تدفع رأسي لانحناءة ماكرة تقوسني وهي تؤلم كياني وتذبحني! لكني لن أقدر، حتى أمام "هدير" لن أقدر، أتخيل نفسي قابعًا أمامه تقهرني آلامي الذليلة فيصيبني الخنوع! ربما أعتذر عن كل المشروع لكني لن أطلب ذلك! هو يعلم ما هي صنعة والدي، لو أراده لطلبه! ربما أعتذر عن "هدير" من الأساس، لكني لن أقايض بكرامتي، وأنا العليم بنتائج وخيمة حتى لو قبل هو سيلقاها من بعد أن يرى عمل والدي ونتائجه! كلا! إن لم تقدموا لي شيئًا سوى كياني فاتركوه لي واتركوني ولن أسألكم شيئًا بعدها! تمسحين دموعك وتعتذرين؟ أرجوكِ ألا تعتذري فتجتثين ما تبقى لديَّ من تعقل! تخبرينني ألا أعتذر عن شيء وأن أفكر؟ لا أريد أن أفكر فأدمي عقلي مثلما تُدمين روحي الآن، فأصبح عليلًا من

facebook.com/the.Boooks

كل اتجاه! تنسحبين؟ تختفين؟ تتركينني لحيرتي وآلامي، ولذنب كالجبال جعلني أحدبَ بعد أن أودعته كتفي!!

بعد ليلة أرق كالجحيم.. وبدلًا من العمل، ساد الفكر المتأوه حتى طلوع الشمس... استقر "حمزة"! سيكذب! سيكذب وسيصوم عن الكذب، لكن طريقه الوحيد من هذا المأزق أن يخبرهم أنه اعتذر! سيعمل في الخفاء بعيدًا عن أعينهم، وسيرتب لنفسه ولهم حتى تمشي الأمور، ثم يعترف! وقتها لن يلومه أحد، وإن لاموه فقد وفر لنفسه ولهم الذي يعوضهم! هم أجبروه على ذلك!

"يبدو أنه حان الوقت كي أنضج منك يا أمي!"

لكن أسماء حدثته في الصباح، على مضض وبأعين غاضبة مبتعدة عنه تسأله، لمَ كل هذه الأنانية يا حمزة؟ لمَ لا تفكر سوى في نفسك وكبريائك وفي أميرتك؟؟ ألا ترى والدنا؟ ألا يصعب عليك حاله؟ ألا يجرحك أفوله وقلة حيلته؟ لكن بماذا يجيب؟ بماذا يرد صغيرة لا ترى فيه سوى شخص أناني؟ ولا ترى في والديهما سوى كسير بحاجة لعطف! وكأنه ليس من المفروض أن يكون مصدر القوة! قال لها كي تهدأ العاصفة القاسية:

- ريحوا نفسكم، أنا بَعَت للراجل اعتذرتله خلاص!

facebook.com/the.Boooks

كان "مهدي" يأخذ درجات السلم مهرولًا كعادته، تاركًا يومًا مليئًا بالعمل، فتح سيارته من بعيد قبل أن يعبر الشارع، ركب السيارة ثم نظر لرسالة "هدير" التي رنت على هاتفه والتي تستعجله لأنها ستموت من الجوع، ابتسم وشغل مفتاحه المحرك قبل أن يُفتح الباب بجانبه بشكل مفاجئ! تجمد للحظة قبل أن يهدأ قلبه، ثم ما لبث أن اشتعل من جديد، ظل محدقًا فيها وقد بدت في أبهى صورها! تبتسم له "نورا" بشوق، تغرقه في عينيها بتوق:

- أنا جيت من المطار على هنا! تسمح تعزمني على الغدا؟

- حمد الله، على السلامة. شيرين وهدير في البيت منتظرني، هاتبقى مفاجأة حلوة قوي ليهم لما يشوفوكي! ولا هم عارفين؟

تستعمل شفتيها بحرفنة - تؤ!

انطلق من فوره لا يعرف أيهما أشرس، ضخ البنزين في محرك سيارته أم ضخ الدم في عروقه! من أين تملك مجالًا غير مرئيٍّ يلفها تدوس به فوق إحساس من حولها هكذا وببساطة؟ قف! فلو علمت بمكنونك لاصطادتك كما يصطاد الحوت، بمجرد البلع!!

- وانت؟ مش مفاجأة حلوة ليك؟

- أكيد! بس ليه مارحتيش على البيت، كانت شيري تلحق تعملك أكله بتحبيها!

facebook.com/the.Boooks

النهارده هم عاملين فتة!

- عاوزة أنفرد بيك – نظر إليها ثم عاد للطريق- بقالي زمان نفسي، وبعدين لاقيتها فرصة ان معاد وصولي قرب معاد خروجك، أنا مستنية بقالي أكتر من ساعة على فكرة! – ضحكت – وحابسة الليموزين معايا، شفت بقى انت واحشني قد إيه؟

رأت غضبة فكه الحبيبة بوضوح، ملامح الرجولة فيه لا تنتهي! تتمنى لو تمسك يده المختبئة عن عيون الناس، لكنها تخشاه! وتخشى هروبه أكثر! تعرف أنه مأخوذ بقربها، تسعد لذلك، وتكتفي بشكل مؤقت، تحاول أن تحدثه في أي شيء بدلالها، يبتلع الهواء ثم يزفره مزمجرًا متعللًا بالزحام، لكنه مأخوذ بقربها! وفي إشارة مرورية تستجدي فتاة صغيرة نظيفة لدى شباكه ممسكة بمناديل، تميل "نورا" عليه بجرأة تفاجئه وتشله، لتفتح شباكه من زر بابه، لمس شعرها ذقنه وأطراف أنفه، لا سبيل للرجوع! لا سبيل للهروب!! تعطي الفتاة خمسة جنيهات لإعطائها هذه الفرصة، يزفر في نفاذ صبر "نورا!"

تعود لوضعها مبتسمة، منتصرة، تعشق النظر لوجهه من زاويتها، وتعشق أكثر توتره معها! مهما كبرت أنت تهتز لوجودي، بكل عنفوانك ومركزك وسلطتك وسنك، لازلت تهتز لوجودي بل وترتجف! وبما أنك لازلت تهرب، فلازلت إذن

facebook.com/the.Boooks

ترغب قربي يا مسكين!

إياكِ والأحلام! لست مسكينًا !! لا تعلمين شيئًا عن دواخلي وتشطحين بعيدًا بخيالاتك وتمنياتك! إبعديني عن مرماكِ أرجوكِ! فأنا قادر على صدك! أنا لست مسكينًا !

أنا المسكينة إذن! أعترف! أعترف وقادرة على الاعتراف ألف مرة!! لكن كف عن صدي، وأنعم عليَّ بقربك! هل أتوسل إليك؟ أتحب التوسل فأتبخر لك توسلات ورجاءات؟؟

لا أريد شيئًا منكِ! إليكِ عني!

- مش قادرة يا مهدي، -وكأن حديثهما اللا مرئي كان حقيقة! - مش قادرة أبعد؟ انتم بتوحشوني قوي، أنا ولا حاجة من غيركم.

- إحنا وصلنا خلاص، اتفضلي اسبقيني لحد ما أركن عربيتي.

كان أمرًا حازمًا، انصاعت له طائعة! في الحقيقة رهب أن تحدجه "هدير" بنظرة عتاب لدخولهما سويًّا! وهي التي لن تعجبها المفاجأة أبدًا !

بعد الترحيب والغداء والفاكهة، نزل "مهدي" لقضاء بعض حوائجه تاركًا الثلاث أخوات، انتشاء "نورا" يذل كل طرف في أحاسيس "هدير"، ويبدو أن ذلك وصل لـ"نورا" بوضوح أزعجها...

- انت بتحلوي يا هدير، سبحان الله اللي يشوفك زمان مايقلش انك هاتبقي

facebook.com/the.Boooks

كده!

ضحكت "شيرين" بينما أجابت "هدير" غاضبة غضبًا صامتًا:

- غريبة! مع إن أبيه مهدي قالي كذا مرة إنه شايفني أحلا واحدة فيكم! – نظرت لشيرين – إيه يا شيري مش هاتضحكي المرة دي؟

شيرين: يا حبيبتي انت زعلتي؟ احنا بنهزر! أنا عارفة من زمان ان روحه فيكي.

ساذجة! هكذا هي؟ لم تر غضب "نورا" ونظراتها التي تلسع "هدير"، ولم تر "هدير" وهي تبتسم منتصرة لأختها الكبرى! تتمنى "هدير" لو تفهم شيئًا واحدًا.. ثم ماذا؟ ما الطائل؟ زواج الأختين حرام شرعًا! إلى ما تسعى وماذا تنتظر منه؟؟ وحتى إن كانت تفكر في علاقة محرمة وهي التي تشك أنها تعيش قديسة في "دُبي"! حتى إن فكرت فهي تعلم "مهدي" حق المعرفة! قالت "نورا" ترفع حاجبها الرفيع:

- هو لازم يقلك كده، مجاملة على الأقل! أصله زينا، كلنا عارفين انك اتحجبتي أصلًا عشان شعرك أكرت! – ضحكت نورا بصوت عالٍ – بس جت بفايدة وبقى شكلك بالحجاب أحلا من غيره! السؤال بقى.. حلال ان زوج المستقبل يخدك كده على عماه ولا حرام؟؟

facebook.com/the.Boooks

احمرت عينا "هدير" من الغضب! حاولت "شيرين" أن تثنيها بابتسام عن متابعة حديثها "لحسن هدير بتتقمص"! وشعرت من جديد أنها المحاصرة من كلتيهما، البومة والخرساء، لكنها لن تسكت مثلما كانت تفعل دائمًا فيما مضى! تغير كل شيء في السنوات التي تركتِ فيها ربيع العمر بينما أعبره أنا يا نورا!

- عارفة يا نورا..، زمان، كنت أتفرج عليكي وأراقبك، انت فعلًا جميلة قوي! ومع الوقت.. بقيت أبص في المرايا، ويجيلي يأس غريب وخوف من المستقبل، أنا مش حلوة زيك، هاعمل إيه؟؟ كنت ببات معيطة! ووجود شيرين بينا ماكانش بيهديني، لأن شيرين مالهاش أي طموح معين في الحياة، إنما أنا كان نفسي لما أكبر أبقى نجمة، والناس تتأثر بيه وتشوفني! بس عارفة إيه اللي حصل! كبرت، واتعلمت ان فيه حجات تانية كتير في البنت ممكن توصلها للنجاح، وماتكونش انها تبقى سلعة!!! تصوري! أنا اللي كنت خايفة أبقى وحيدة من غير أصدقاء، بقيت شخص معروف في جامعتي، ولية نشاطات واسعة وأهمية كبيرة، والناس بتبص علي وبتعمل زيي كمان! مع إني مش فرجينيا جميلة الجميلات ولا حاجة! فكرك، لما انت تيجي تاني وتقوليلي إن ده رأيك فيه.. هاتأثر!!

facebook.com/the.Boooks

شيرين: يا ستي مبروك عليكي ثقتك في نفسك، كلنا فرحانينلك.

تابعت "هدير" تُشعل غضبات "نورا" أكثر:

- في الوقت اللي واحدة جميلة قوي زيك مافيش حواليها حد! صحيح انت ماتجوزتيش لحد دلوقتي ليه؟"

شيرين: جرالك إيه يا هدير؟ أنا بقول عليكي عاقلة!

نورا: هدير! إوعي تتجاوزي حدودك معايا!

هدير: الله! بسألك حاجة بتيجي في بالنا كلنا! شيري كمان نفسها تعرف...

شيرين: هدير؟

نورا: لو فاكراني لوحدي صحيح تبقي غلطانة! أنا مش عارفة أفكر فمين ولا فمين، نسيت أقلكم إن رجل أعمال قطري وشاب، مستني مني جواب؟ سامعه يا.. شيخة هدير؟

هدير: رجل أعمال قطري!.. واو! صبرتي ونلتي، طب يلا، مستنية إيه؟ مستنية مين؟

شيرين: صحيح يا نورا؟ طب مستنية إيه يا حبيبتي؟

تابعت "نورا" بغضب أكبر لـ"هدير":

- عاوزاكي تفكري بقى في وسط كل اللي حواليكي اللي أكيد معظمهم بنات،

facebook.com/the.Boooks

مين فيهم هيفضل حواليكي بعد الجامعة؟ ولا هاتتجوزي صالونات؟

هدير: ماله الصالونات؟ شيري أه، سعيدة ومتجوزة راجل كلنا بنحلم بيه! أنا وانت! تنكري؟

نورا: بصي يا هدير، طول عمرك بتغيري مني، مع إن فرق السن كبير! أيوه أنا الجميلة، أنا فرجينيا، أنا اللي بيتقدملي أمير وبتدلل، سواء قبلتي بالواقع ده أو لأ! آخر مرة هاسمح لنفسي أدخل معاكي في أي حوار! أصلًا احنا الاتنين مختلفين في كل حاجة!

هدير: صح! كل اللي قلتيه صح! بس عاوزة أسألك سؤال واحد، انت ازاي مش شايفة؟ انت وصلتي لإيه من أحلامك؟ وصلتي لفين؟ إنت إيه دلوقتي في الدنيا؟؟ يا ستي أنا على الأقل لسا قدامي عمري، إنما انت؟ وبعدين ماتقوليلنا ماقبلتيش العريس ده ليه؟ هاتفرق مع مين؟ مستنية إذن بابا اللي مقاطعك؟ ولا عاوزة شيري تسيب ولادها وجوزها وتبقى جمبك؟ ولا ليه؟ جاية ليه؟ ابنيلك أسرة، يمكن تبقى معاكي كمان عشرين سنة!

قالت "شيرين" متأثرة - يا جماعة اهدوا فيه إيه؟ الموضوع بدأ بهزار وانتهى بنكد! أنا يا نورا شايفة انك فعلًا تفكري في الموضوع ده بجدية، دي فرصة ممتازة! وصدقيني لما تجيبي ولاد يملوا عليكي حياتك كل حاجة هاتتغير!

facebook.com/the.Boooks

نورا: ولاد، ولاد! إنسي بقى! فيه حجات كتير في الدنيا غير الولاد!

تحركت من أمامهم ممسكة حقيبتها بعصبية، لم تستمع إلى توسلات "شيرين" بأن تبقى، وخرجت كالعمياء، لم تستطع أن تلوم "هدير" لأنها أيضًا تحركت لتذهب إلى بيتها، شكرتها على الغداء وذهبت.

عادت "نورا" في وقت متأخر من الليل، لمحت الذئب الحبيب يترصدها من فوق بعد نزولها من سيارة أحد الأصدقاء، دخلت المنزل بهدوء، واتجهت للشرفة حيث كان ينتظرها والغضب يغرقه حتى أذنيه، دخلت قبل أن يخرج، وكانت رائقة المزاج لحد كبير، الروب الحريري الذي يرتديه، أثار ما تبقى من تعقلها كالغبار، قالت بصوت يكاد يكون همسًا ناعمًا:

- ايه اللي مصحيك لحد دلوقتي؟؟ معقول؟ مستنيني؟؟

بحزم وصوت خفيض،قوي - إنت عارفة الساعة كام دلوقتي؟

- إمم، عارفة.

- أنا حذرتك قبل كده! وماحبش كلمتي ماتتسمعش في بيتي!

اقتربت منه، رأى في ضوء القمر شفتيها تلمعان، ترتعشان، تتحركان بوهن لتقول له:

- بيتك، آه.. لكن أنا.. مش بتاعتك!

facebook.com/the.Boooks

لمست أناملها خده، وكأنها تائهة في واقعها، هاربة منه، نظرت لفمه وهي تضع أصابعها فوق شفتيه، لطم ساعدها بقوة..

- إنت اتجننتي؟؟

ابتسمت بغير اتزان وهي تقول - من زمااان.. جرب تتجنن زيي!

قالت ذلك وهي تحاول أن ترتمي في حضنه، لكنه دفعها من كتفيها ثم لطم خدها لطمة، أرادها منذ زمن...

- وكمان شاربة؟؟

أخفى شعرها المتوحش الوجه الجريح وهي تضع كفها حيث اللطمة، وسمع بكاءها الوهن، ولم يسمع دقات قلبه المتسارعة، نظرت إليه وعيناها تلمع بدموعها، وقالت متألمة:

- منا بشرب من زمان.. مه عشان أنسى، لازم أشرب! – أبعدت يدها عن خدها وواجهته – إزاي أنساك يا مهدي؟ إنت قلي؟

ولى نظره عن منظرها المغلوب الذي يأسره كراهة - اتفضلي دلوقتي على أوضتك!

أولته إليها بحركة يدها الجريئة من كتفه...

- تاني! الهروب! ما عندكش غير الهروب!! فاكر.. فاكر آخر مرة؟ كانت أول

facebook.com/the.Boooks

وآخر مرة!

أمسك مرفقها يعتصره - فوقي بقى! فوقي! دي أختك!!

- عارفة! عارفة! بس وبعدين؟ وبعدين؟؟ -استماتت - أنا حاولت كتير، حاولت سنين، مش قادرة اتنازل عنك يا مهدي مش قادرة!

لفظ مرفقها - أنا مش ملكك عشان تتنازلي عني.. - نظر للداخل ناحية الأعلى – أرجوكي تنهي الموقف الزفت ده دلوقتي حالًا! أنا مش قادر!

- شفت؟ شفت إنك فيك حاجة عاوزاني.. زي بالضبط منا عاوزاك؟

قبل أن يفكر في ما سمع جثت "نورا" على ركبتيها وأمسكت يده بكلتي يديها وهي تبكي بصوت خفيض، وتحضن خدها بيده وتقول من بين بكاءاتها:

- لما انت اتجوزت.. قلت دوامة الحياة هتاخدنا، لكن اكتشفت ان ولا كإن حاجة حصلت! قمت أنا اتجوزت، وقلت المرة دي خلاص، هانشغل عنك، اللي حصل العكس بالضبط! تخيل انك طول وجودك مع شخص تبقى بتفكر في شخص تاني، سامع صوته، شامم ريحته، وفي الآخر سافرت، بعيد، انما أول ما بشوفك، بارجع لنفس اللحظة، فاكر يا مهدي؟ فاكر؟- نظرت اليه من تحت - ارحمني! ارحمني يامهدي! ارحم ضعفي...

لا يدري إن كانت قد شعرت بارتعاد أوصاله، ثنى ركبتيه ورفعها من كتفها

facebook.com/the.Boooks

لتقف معه...

- قومي يا نورا.

قامت واقفة وقد تهللت عيناها من تحت مياه الملح، لكنه أبعد يديه عنها وقال بشكل أكثر رقة:

- لما قعدت أفكر في اللي حصل بينا.. قلت انك بتحبيني، وبعد شوية.. قلت انت بتحبي مركزي وفلوسي.

قاطعته - لأ!

- لكن بعدين فهمت كل حاجة.. في الحقيقة انت بتحبي نفسك! لأ! انت بتعبدي نفسك، وعشان كده عايزة تسعديها وبأي طريقة! وعلى حساب أي حد!

- أبدا! أبدًا يا مهدي! انت...

- عايزه تعرفي تنسيني إزاي؟ ماتجيش هنا تاني – بكت ملامحها ذاهلة – أيوه ده الحل الوحيد! اللي حصل، إني لاقيت ان مش انت الست اللي أنا عاوزها تبقى مراتي – أبرقت عيونها – دي الحقيقة، مش انت اللي ممكن كانت تحمل اسمي، فرق كبير، بين الست اللي الراجل يلاقي نفسه عايزها، وبين الست اللي الراجل قعد طول عمره يتمناها تعيش معاه، فضلتي سنين عايزه

facebook.com/the.Boooks

تعرفي ليه.. عرفتي ليه؟

لم يغمض لمهدي جفن، ظل مستيقظًا فوق فراشه المتقد، يراجع من جديد كل ما حدث، ولم يزل لا يصدق! لا يصدق أنه صارحها بكل ما استطاع – وبامتياز- أن يتجنب قوله لسنوات، يخشى مواجهة النساء! ربما هي من ربت هذا الشعور لديه، في الحقيقة لم يرها مطلقًا في أول لقاء بالعائلة، رغم وجودها الذي لا يمكن تجاهله، إلا أنه كان يركز دومًا على الهدف، وكان هدفه آنذاك أن يبهر حمويه المستقبليين بكل الطرق، ثم رآها، واهتز! ليس الأمر في أنوثتها الطاغية التي لابد أن يلتفت إليها فقط، بل نداءاتها له ورغبتها الجلية في أن يستجيب.. ربما هي أمه! هي التي ولدت لديه شعورًا دفينًا بأنه غير المرغوب! لا يدري! حاول أن يتجاهلها، حاول أن ينفرد بخطيبته بعيدًا عنها، إلا أنه المرة تلو المرة، يفاجأ بجرأتها أكثر، وبمناوشاتها التي تضعف قواه، وأخيرًا زارته في الشركة، لم يكن بذات الحزم والحنكة، سيطر وجودها على حواسه، طلبت إليه الخروج على انفراد وامتثل، جاورته سيارته أثناء الطريق، أملت عليه أين يذهب ولم يناقش، صارحته أنه الكيان الوحيد الذي ضغط بكل عنفوان على روحها، وببساطة شديدة شرحت له كيف سينسحب بهدوء، ثم يعود بعد حين لأجلها، كانت واثقة من استجابته، لم يشعر إلا وهو يريد ما تقوله بشكل جنوني! أمسكت يده حينما استقر فوق صخرة المقطم، ناوشتها بشفتيها،

facebook.com/the.Boooks

لفحتها بزفيرها، هو وألف مثله يمكنهم الغوص في عينيها دون أن يطفو طرفًا لهم! تبتسم بجفون سكرى، تداعبه كقطة، تضع أصابعها على فمه ليقبل أناملها، ويشم لدونتها، لم تترك حضن يده طوال طريق العودة، يوصلها، يعود مدججًا بأحلامه الجديدة وغريزته المنفجرة على غير عادة، يهاتف خطيبته "مسافر أسبوعين"، يفكر كيف سيقدم على كسر قلبها الرقيق، تعود الأحاسيس الجارفة لتقتلع أي ذنب وتُذكره بها، يريدها! يمضي أسبوع دون كلمة لخطيبته، يتخيلها تصطلي، ويتخيل عيني القطة السعيدتين المنتظرتين في نهم، يتمنى لو ليس عليه الانتظار كل ذاك لتملَك القطة، ناعمة القطة، في دلالها السكر كله والنعيم كله، يمضي أسبوعه الثاني ولم يهزم نهمه الخوف بعد، يحادث أباه: "مش مبسوط، مش عايز أكمل..."، لمَ لم تقل منذ أول لقاء؟؟ لمَ تحرجني مع من أهتم لأمره ويهتم لأمري، لمَ تواصل إن كان هذا ما لا تريد، يضرب أخماس في أسداس أبوه، "مش هاتلاقي ضفرها!" يردد له، لكن يعلم ألا غصب في تلك الأمور، يسأل أباه عفوًا لمَ اختار له الوسطى بالتحديد، إن كان كل ما يريده هو نسب الرجل وسمعته، يسره أبوه:

"مش ده طلبك؟ الهادية الناعمة؟ الصغيرة صغيرة قوي عليك، والكبيرة.. فكرتني بأمك! مش شايفة حد غير نفسها في الدنيا، وحاسة قوي بجمالها،

facebook.com/the.Boooks

اللي مش عارفة انها من غيره ولا تسوى! وانه هايزول ها يزول، خفت.. بعد ما تتجوزها.. عند أول مطب.."

ليتك ما تكلمت! أو ليتك تكلمت من قبل! وأخذ نفس الإفاقة من غرفة الإنعاش، أو نفس غريق نجى كاد أن يكون غريقًا، كيف لم ير؟؟ أي نفس لا تحب سواها تلك التي تتجرأ وتكسر قلب أخت ببراءة خطيبته! أي هرة ماكرة متسلطة حتمًا ستتركه إذا لا اتفقت ظروفه ونفسها؟؟ أي فتنة أغوته وامتلكته وهي بالتأكيد زائلة؟؟ فعلًا! شكرًا والدي! تمامًا في الوقت المناسب، يهاتف خطيبته:

- إنت كنت فين كل ده! مابتردش ليه؟ مابتكلمنيش ليه؟

- في خلال عشر دقايق تبقي تحت! مشوار مهم...

يرى سعادة حيَة تتنفس، تمضي أمامه مُقتربة في لوعة، يتمنى لو يضرب نفسه ألف سوط!

- وحشتيني - يمسك يدها الخجلة الُمتمنِّعة - خلاص هايبقى من حقي أمسك إيدك زي مانا عايز

- مش فاهمة!

- إحنا هانحجز معاد كتب الكتاب دلوقتي حالًا.

تموت فرحًا - بس بابا وماما...

- ماتقلقيش من حاجة، ماحدش هايعترض، بالعكس!

facebook.com/the.Boooks

يعرف، أكلهم القلق، بُعده وتهرب أبيه من المواجهة، ساد الظن الأوحد في حالة مماثلة، سيفاجئهم، وستُفاجأ قطته، وتتلوى كمدًا فوق النار، عله يكون درسًا لها! ويعود بها لمنزلها، ويزفون الخبر، وتتكسر الأكواب من يدها... "نورا"، صدمة العمر! وتمر السنون ولا تفيق أبدًا من الصدمة! تظل تلاحقه، تحاول بجلد، يحصن نفسه جيدًا، يعلم كيدهن.. عظيييييم! يكتب الكتاب ويلحقه سريعًا بالزواج، كانت إفاقته أسرع، لكن الأعين المغدور بها أبدًا لا تتركه، تظل تناوره، يخشاها نعم! يخشى أن ينفرد بها! أجل! لكن ليس لسطوتها عليه، بل لسطوة شياطينها على شيطانه، يُبعد نفسه عن النار وهو الزيت، عاقل! تأخذه الحياة في دوامتها، ثم تقف الدائرة لديها من جديد في استراحة موجعة ملأى بالتحدي والمقاومة، لكن ما النتيجة؟ هو زوج وأب سعيد، سمع صوت الباب يدوي، استفاقت "شيرين" من جانبه

- مهدي.. سمعت يا مهدي؟

- دي نورا.. سافرت خلاص!

قامت على مرفقيها - كده من غير ما تسلم؟؟

- الساعة 6 الصبح يا شيري، نامي الساعة دي قبل ما تصحي للولاد.

- طب وانت ايه اللي مصحيك؟

facebook.com/the.Boooks

أخذها في حضنه، دافئة رقيقة، نامت بعد ربتتين فوق شعرها الناعم، قبل جبينها، وأغلق أجفانه أخيرًا...

facebook.com/the.Boooks

(٧)

في الساعة الثانية عشرة ليلًا تلقى اتصالها، فزع من الميعاد! رد قلقًا، تمزقه الريبة.. فوجئ من صوتها المذبوح، دموع جنونية لا تستطيع النطق بسببها، لهاث ينتحب لم يفهم منه شيئًا! يطلب منها أن تهدأ فلا يصله سوى الأنين، كل ما استطاع سماعه هو:

- ينفع تيجيلي دلوقت؟

- أجيلك فين؟

- السلام كونكورد، أوضة 3101

لم يكن ما تطلبه "هيبت" عاديًا، لكن حالتها كانت حتى غير مُتخيَلة بالنسبة له! ماذا حدث؟ وصل، صعد رأسًا دون أن يُسائله أحد، هيئته تكفي! طرق بابها، فتحت له، أنفها الأحمر، وجنتاها اللامعتين المبتلتين، عيناها المتأججتين، فتكوا به قلقًا، يجب أن يتماسك! كانت تبدو كالأميرة الباكية بملابس النوم الملكية هذه، رأى باب الغرفة المشتركة مواربًا ولمح المربية السوداء نائمة في السرير الإضافي، جلست على السرير والمناديل تعتصر أنفها كل دقيقتين، جلس أمامها على الكرسي وهو يسألها:

- فيه إيه يا هَيبت؟ أنا مش عارف أتلم على أعصابي من ساعة ما كلمتيني!

- أنا آسفة قوي يا مهدي – صوتها ببحة البكاء أدمى قلبه – بابا مسافر،

facebook.com/the.Boooks

وماعرفتش أعمل إيه وأروح فين! كل اللي قدرت أعمله إني أفكر أجيب الولاد وآجي هنا!

- حصل إيه؟ وفين سامح؟
- مسافر!

ثم بدأت في وصلة بكاء هستيرية أخرى، ماذا يفعل، مد يده ثم أعادها، ليس متمرسًا في مواقف مماثلة! قام وجلس بجوارها وهي تبكي بصوت مرتفع يلح في سؤالها عما حدث؟ ثم وضع ذراعه على كتفيها راجيًا لها أن تهدأ، وفوجئ بها ترتمي داخل حضنه ويداها فوق وجهها، أحاطها "مهدي" وهو يربت على ظهرها يرجوها أن تشرح له المشكلة، اعتصرت أعصابه فوترته مزيدًا! ضغط عليها كأنه يرجوها أن تهدأ! خف بكاؤها، استعادت نفسها قليلًا وهي تقول:

- المصيبة اني لغاية دلوقتي مش قادرة أصدق! مش قادرة استوعب إن أنا يحصل معايا كدة!
- أرجوكي يا هَيبت! أنا مش قادر أستحمل أكتر من كده!
- مش عارفه أقولك إزاي!

بعد تردد طويل، حكت له عن بداية الصدع، الزهرة، والفتاة التي دخلت حياة زوجها وأراد القدر أن يفتضح أمره، حكت له عن المصالحة الجهنمية التي

facebook.com/the.Booooks

اعتقدتها بداية صفحة جديدة في حياتها الزوجية، وكيف كانت مجرد خدعة بذيئة شربتها كالمخدر! فقد نسي جهاز اللاپ توپ تلك المرة قبل أن يسافر للمحاضرة الأسبوعية، بعد نوم الأولاد أحبت أن تحدث أختها على "سكايب"، وأثناء بحثها رأت الفيديو المُسجل الذي انتقل بها إلى حالة الجنون تلك!

- ممكن تهدي بس يا هَيبت.. مش يمكن، فيديو زي ده تكون هي بعتته له، وهو شافه غصب عنه، ومالحقش يمسحه؟

- الفيديو متسيَف عنده يا مهدي! ثم – عادت لتكمش حاجبيها باكية – ثم انت ماسمعتش هي بتقوله إيه؟ - هانت عليها نفسها من جديد – كل اللي أقدر أقولهولك، إن جوزي شاف الفيديو ده وهو عارف فيه إيه! أنا حتى مش عارفة – أخذت نفسًا عاليًا – مش عارفة.. إذا كان حصل بينهم حاجة ولا لأ!

- أرجوكي تهدي.. أرجوكي!

قام وأحضر لها زجاجة ماء من الميني بار...

- أنا؟ أنا يا مهدي؟ أنا ما أستهلش كده! أنا حياتي اتكسرت فجأة!! وانا لسا مش مستوعبة.

- إشربي أرجوكي وحاولي تملكي نفسك.

فعلت طائعة، كان شعوره إزاء ما يحدث يُحيره تمامًا، ليس لشعوره بأخوتها،

facebook.com/the.Boooks

بل شيء آخر أغرب، هو شعوره بكونها الأصغر! وكونه الأكبر!! وبأن استغاثتها به يجب أن تكون في محلها! قالت بصوت خفيض:

- أنا آسفة! إنت قلت إيه لشيرين؟

- سيبك دلوقتي من الكلام ده! أنا عاوزك تسمعيني كويس، أي راجل.. أي راجل ممكن يضعف قدام موقف زي ده، إنت إنسانة مُثقفة وأكيد عارفة، عارفة إن.. يعني.. تعامل الراجل مع غريزته غير الست خالص! – نظرت إليه نظرة لسعته – أنا ما بدافعش عنه! إفهميني.. أنا بس حابب أوضحلك شوية نقط، علشان ما تتسرعيش في الحكم على شيء هايمس حياتك كلها!

- إنت خنت شيرين؟

صدمه سؤالها - إيه الكلام الفارغ ده!

هدأ عنوة! حث نفسه على التعقل.. هي الأضعف الآن!

- لازم تفهمي إن مش أول ما الراجل يضعف يخون! فيه مراحل تانية كتير بتسبق الخطوة دي، خصوصًا لما يكون راجل محترم وعارف حدوده!

- يعني انت شايف ان حتى بعد اللي أنا شفته واللي حاكتهولك، أسامحه؟ إنت شايف انه كده بيمت للاحترام بأي صلة؟

سؤالها المُستنكر لأقصى الدرجات هزّه! قال:

facebook.com/the.Boooks

- أنا وقعت في موقف شبيه قبل كده – برقت عيناها من بين أهدابها الحزينة - وندمت عليه.. وانتهى من حياتي خالص! ولو كانت شيرين عرفت، كانت أكيد ها تتجرح، ورغم كدة كنت هاتمنى إنها تسامحني، عشان لو ما كانتش سامحتني، ما كانتش الحياة استمرت زي مانتي شايفة! فهمتي قصدي؟

سكتت قليلًا كأنها تفكر في كلامه، أراحه ذلك، تعلم أن بوحه ليس سهلًا، لكنها شردت بشكل أقلقه، نزلت تلك المرة دمعات هادئات من وجه شمعيٍّ تمثاليٍّ لا ملامح له أو روح فيه! قالت:

- أصل انت مش عارف حاجة.. حتى لو كلامك ده صحيح، أنا آخر حالة ممكن تطبقه!

لا يمكن أن تخبره! وهي حتى لا تعرف أن تتحدث سوى بصراحة مُفرطة! لا يمكن أن ينسى أحد ما شهده هذا البيت، من أين بدأت الحكاية؟ بعد أن انتهت أيام العسل؟ كلا! سبقت المشكلة الحقيقية ذلك بكثير، بدأت حقيقة من رفض "سامح" أن يتنازل عن تعطيل أي من الأمرين، رفض تعطيل مناقشة الماجستير، ورفض تعطيل زواجه من فتاة أحلامه وأحلام غيره! لم تكن هي تفهم هذا وقتها، كانت منسحقة في دوامة عروس شابة تتوق توقًا لتطأ عشها الجديد الدافئ، لكنها فوجئت! فوجئت برجل لا يبادلها الاحتياج والرغبة كما

facebook.com/the.Boooks

بدا سابقًا وبقوة! فوجئت برجل ثلجي تنتهي كل أيامه بتماثل مميت فوق مكتبه القاتم الخشبي! أما عن وقت راحته المتضائل، ففي القهوة مع أصحابه!! لكم حاولت أن تداعبه، تشاغله، وكأنه صنم! وكونها أنثى فهو شيء خطير، وكونها عروس لهو أبدًا ليس ذات الشيء! فقد بالغ في الخطورة! أخيرًا حادثته على مضض، لم تفهم إن كان خجلًا أم كبرياء، "لمَ تزوجتني إن كنت تحب أن تقضي وقتك بين كتبك وأصحابك؟" وتزداد دهشتها من دأبه الاعتذارات وتقبله لشكواها، ثم لا يتغير أي شيء! ربما لم تكن "هَيبت" أنثى عادية، ربما كانت دواخلها مرهفة، أو كان احتياجها للحب له جذور عميقة فوق قدراتها، لم تدر! ومع الوقت كفت محاولاتها تمامًا، فقد بدأت تشك في نفسها لا في انشغاله، لا يمكن أن تكون أنثى كاملة ويتصرف زوج مثل زوجها بالأخص كذلك!! هكذا فكرت! وسكتت في استسلام بائس، وبرود شنيع لم يلحظه أبدًا من وسط أوراقه! ولم تهدأ نفسها لريبتها التي تنهشها، بدأت تفكر بشكل جنوني في نظرة كل رجل لها، وتريد بشكل يائس ألا تكون السبب! بدأت تُساير كل لمحة وتتجاوب مع كل لهفة، وكم كانت تدنو منه.. شيطانها، هو الذي زين لها فعلها في يوم لعين ممطر، في إحدى عيادات وسط البلد، حيث التقت بطبيب العيون، في الغرفة المظلمة وأثناء الكشف دهسها قربه، راوغها بصوته، راودها بلمسه الخطأ المتكرر، فهمت تمامًا، والمصيبة أنها لم تصد! كم كانت جاذبيته تلفحها،

facebook.com/the.Boooks

وكم كانت تتوق لرغبة أحد بها، ابتعدت فورًا حينما أدركت أنه استقبل إشاراتها المقبلة الملتاعة، هربت، بكت، ثم استفاقت فجأة على حالها المسكين، وآلمها كثيرًا ما رأته في مرآة نفسها دون أبدًا أن يستفيق!.. "سامح"! كان قد ناقش رسالته وابتلع النجاح ابتلاعًا حينما لم تكن فعلًا ترى له مكانًا في حياتها!
"ألست سعيدة لأجلي؟ أليس نجاحي يُفرحك؟" لاحظ فجأة وبشكل مُفجع أنها الآن الصنم! ساءلها! عاركها! كسرت كأسًا بيدها، سال دمها، دون أن تنبث، أو تتحرك! النزف كان جنونيًا، ملأت دماؤها الأرض البيضاء، دون أن تطرف، أو حتى تتأوه، أسرع فحاول علاجها، هاتف طبيبها وأباها، سمعته يشرح كل ما كان يراه، لا تنظر، لا تجيب، وهنا بدأ الطريق مع الطبيب نفسي!

هو لا يعلم! هي فقط تعلم، وهو يمكن أن يعلم لو فكر وتذكر! كم من جرح أشقى من جروح الدماء؟؟ في كل مرة، تنتظر أن تقع عيناه عليها أملًا في تجاوب، وفورما تقع العينان، وكأن عليهما التراب! أو يلمح رداءها الأحمر، فيتأوه تعبًا ثم يغط في نوم تعلو فيه روحه للسماء السابعة، ويتركها مشتعلة من دون ثقاب! في كل مرة تخفي نفسها بأثواب الخيبة بعد أن تخبرها عيناه أنه يزهدها وليته يعلم هذا العذاب، في كل مرة وويل المرات الطوال تواجهه بعينين حائرتين تائقتين، لا يمكن أن يُخطئ احتياجهما بشر، لكنه يتفوه بأعذار واهية

facebook.com/the.Boooks

ملتفتًا إلى كتبه اللعينة، واعدًا بقرب اللقاء! وفي كل مرة.. في كل مرة تنظر مليًّا للمرآة، ترى عينًا تكلمها "ما مشكلتك؟"، في كل مرة.. ينكسر هنالك شيء، شيء تدرك حق الإدراك.. أنه أبدًا لن يعود! وكم كان العلاج طويلًا، كم كان بغيضًا! أصبحت تجده فأرًا مذعورًا يُلبي ويطيع، وبطواعية متفانية، يصبر ويصبر، ولا يجيب الجنون سوى بمزيد من التعقل، دون تذمر، دون طفح أو نفح، وفورما تماثلت لشبح شفاء، تحولت لقوة تقيم بنيان هذه الذات، ذاتها، بثبات وتمرد على أيام الضعف والاحتياج، تغيرت هي، أصبح وجوده معها من عدمه سيان، ولقاءهما من عدمه سيان! والطفل في أحشائها هو ما ترغبه منه، مزيدًا من تعزيز الأنثى، أمام نفسها وأمام الناس. رفض زوجها ما انتوته ضمنيًّا! فهم وغضب! لكن لم يعد ذلك يزعجها، وأدرك أنه لو استمات لن يمنعها، فقابل كل لبنة في هذا البنيان تعلو، بمحاولات مستمرة لتكسيرها ووأدها! فترد عليه قسوته بتمرد. وأخذتهما دوامة الحياة، واعتادا على هوة سحيقة، تكبر بينهما وتتفاقم، مجيئًا بها إلى هنا اليوم!

- بتفكر في إيه؟

سألت "هَيبت"، شفتاها ترتعشان، وعيونها شاردة، وعيونه فاغرة ترتشف كل

facebook.com/the.Boooks

ما تفكر هي فيه. زمة شفتيه فوق يديه المربعين، أخفت كثيرًا من ملامحه ومشاعره المتضاربة المرتبكة! سألها عما تريد بالضبط وبكل اختصار...

- مش عاوزاه! أنا حاسة إني لو شفته.. هادخل في دوامة أشرس من الأول، انت مش متخيل!

- خلاص – رفع وجهه – اللي انت عاوزاه هايحصل! بس.. مش تتأكدي الأول؟

- مش كل اللي احنا عاوزينه هو اللي بنقدر نعمله.

عقد حاجبيه مستفسرًا - تقصدي إيه؟

- يعني.. أنا خايفة، خايفة قوي! ما أقدرش أتخيل وحدة أكتر من اللي أنا فيها فعلًا! ما أقدرش أتخيل نفسي أنا وولادي مش لاقيين حد يفسحنا، يسأل فينا – وضعت وجهها بين كفيها، تخفي ضعفها وهو العليم – أنا أجبن من القرار ده يا مهدي، وحتى بابا، بابا مش هايساعدني على القرار ده! بابا هايعمل المستحيل عشان الأسرة دي تستمر، وعنده حق! –أعادت شعرها وراء أذنيها - الوحدة ضعف! وأنا مابحبش أحسني ضعيفة، ما بحبش!

توجه "مهدي" نحوها، وجد أصابعه تمسح دمعات خدها الدافئات، وينظر إلى وجهها الذي بدت ملامحه صغيرة فجأة..

facebook.com/the.Boooks

- إنت مش لوحدك! أنا معاكي! وولادك لازم يتعرفوا على خالهم، ويحسوا بالعزوة، وأبوية مش لازم يعرف حاجة دلوقتي، وأبوكي.. أبوكي أنا هاكلمه..

حدقت في عينيه، عانقته مجددًا..

- ما تتصورش، وجودك جمبي عامل فيه إيه! ما تتصورش احتياجي لأخ طول عمري مسألة شكلها إيه!

- أنا عاوزك تبقي جدعة!

- مدام انت بتقويني، ماتخافش عليه – ابتعدت عنه برفق ومسحت وجهها بكفيها – تحب تشوفهم؟

نفض رأسه - نعم؟ هم مين؟

- الأولاد!

ابتسم، فيض مشاعرها يقابله استيعاب غبي غير موفق من ناحيته!

- معلش، خليهم نايمين أحسن نزعجهم! الجيات كتير...

نزل "مهدي" من عندها يفكر، لقد استندت إليه! وهو على استعداد – لا يدري لماذا - لأن يكسر الدنيا كي يكون هذا السند! السؤال هو كيف؟...

عاد "رفعت فخري" من سفريته مكروبًا، كاد الكرب أن يودي بقلبه إلى أزمة

facebook.com/the.Boooks

حادة! فقد اتصل به "سامح" هذا الصباح يعوي كالكلب المصاب...

- بنتك طالق يا باشا! طالق! تعالى وشوف مين كان معاها امبارح طول الليل! والله والله لأوريها، بتعاقبني؟ بقى تعمل فيه أنا كده؟ والله لأوريها!

أغلق الخط دون أن يترك له فرصة أن يفتح فاه! حاول مكالمة ابنته التي وجد هاتفها مغلقًا! توجه إلى مطار مرسى علم عائدًا للقاهرة يحاول أن يستوعب ما الذي يقوله هذا المجنون! دون أن يقدر، هو الأدرى بفتاته الحبيبة، لا يمكن أن تفعل ذلك لا يمكن! هو الأعلم أنها لو رغبت عن زوجها ورغبت شخصًا آخر لسعت بكل قوة أن تنهي زواجها وتتزوج من الآخر بوضوح وأمام الجميع! ثم أنها تعرف حدود الله جيدًا ولا يمكن أن يصدر عنها تصرف مماثل! لكن مهلًا! إن كان "سامح" في سفريته الأسبوعية؟ كيف علم إذن؟ لم يجدها في بيته، لا زالت لا تجيب! لا ترحم الظروف سنه، ولا أعصابه التي اهترأت منذ الصباح! بدأت أطرافه ترتعش.. لم يجد بُدًّا من الذهاب لبيتها كي يلقى "سامح"! فتح له "سامح" وسمح له بالدخول في سكون عجيب! كانت غرفة مكتبه مفتوحة وأشياءه مرصوصة في كراتين، لم ينطق "سامح" بحرف ولم ينظر إليه حتى تكلم هو:

- ممكن أفهم إيه اللي حصل؟

- إسأل بنتك! اللي دايمًا كنت تقول انها...

facebook.com/the.Boooks

- من غير تجريح يا سامح – نظر إليه سامح أخيرًا ووجد مكان الكبرياء انكسارًا وكهولة متعبة. – هَيبت نمرتها مقفولة من الصبح! وأنا تعبت! وعاوز أفهم.

- امبارح باتت في فندق، والله أعلم هيه فين دلوقت! البنت المربية ردت على تليفوني وقالتلي! تصور؟ ولا عملت حساب حتى لولادها! ولا للغريبة اللي ممكن تفضحها!

- أنا مش مصدق اللي انا بسمعه! انت بتتهم بنتي أنا، عشان كلام المربية؟ حد يسمع كلام بنت زي دي؟ وفي موضوع بالشكل ده؟

- أنا عارف انها مش كدابة!

- إزاي؟ فهمني! أنا مندهش انك مصدق كلام فارغ زي ده!

- عارف وخلاص! لما تلاقيها، بلغها انها لو ماجبتش الولاد بالذوق، هارفع عليها قضية، وهابهدلها! وقلها..."

- عيب! – بتر سامح جملته - عيب يا سامح الكلام ده!

- بتقلي عيب؟ أقلك واحد معاها في أوضتها طول الليل تقلي عيب!

- مش انت اللي يطلع منك التصرف ده!! -أولاه ظهره - أنا لو قادر أوصلَّها ماكنتش جيتلك أبدًا، وانت عارف!

facebook.com/the.Boooks

سكت "سامح" وتنهد بعصبية، لا زال يهاب حماه! أو ربما حبه القديم له وهو الذي دومًا ما جله وبذل له الإعزاز، تابع رفعت:

- فهمني ليه باتت في فندق؟ - لا يجيب - يا سامح.. أنا لما جوزتك بنتي، كنت عارف ان انت ابن ناس...

- ما تكمل يا رفعت باشا! جوزتني بنتك بعد ما تعطفت عليه بالشرف ده وساعدتني، ووقفت جمبي مش كده؟ كمل!

- انت اللي قلت، أما انا.. فعارف انك فاكر كويس – قاطع سامح قبل أن يرد – ومع ذلك، أنا عند رأيي فيك.. وولاد الناس بيبانوا في الغضب! - تراجع سامح عن عصبيته وجلس- امسك أعصابك يابني.

- الظاهر ان حضرتك مش مدرك حجم المصيبة!

- لأن مافيش مصيبة أصلًا! دي بنتي وانا عارفها كويس.

- على العموم خلاص، مافيش فايدة من أي كلام، ورقتها هاتوصلها – لمعت عينا سامح وهو ينظر لأعلا – والبيت ده، مايلزمنيش، خليها تشوفله بيعة وتبعتلي حقي، والولاد أنا عاوزهم، وهاربيهم أحسن تربية، وهيه أنا خلاص.. مش عاوزها!

facebook.com/the.Boooks

تحرك "رفعت" من أمامه بعد أن ظهرت نهاية الجسر المنهدمة جلية وتركه وحده. بعد أن تأكد أن حماه ابتعد بسيارته، بكى.. بكى "سامح" بصوت عال، لا زال لا يصدق! لا يصدق أن الصدع أصاب حياته في لمح البصر! لا يصدق أن امرأته قد خانته! لا يتخيلها مع رجل آخر! كلا! ظل يردد لنفسه كالببغاء بعدما سمع ما أخبرته تلك السوداء "مش ممكن! مش ممكن!"، قاد طريق مصر الإسكندرية الصحراوي يكاد يفرم السيارات أمامه، كيف تفعل به ذلك؟ مهما ظننت أنه فعل! مهما فعل! ماذا لو عرف أخرى؟ ماذا لو عرف ألف أخرى؟ هو رجل، رجلللل!! كيف تمزج الأمور هذا المزج الآثم وتعتقد أنها بإمكانها أن تعاقبه بالمثل! كيف تسمح لأي كان أن يلمس منها طرفًا؟ كيف نسيت كل القوانين والأعراف وتصرفت بحرية تحرق؟ كيف؟ طار كل حبه لها كالأثير! وانبثقت الكراهية بثقًا يغرقه فيمنع عنه النفس! أجل أحبها، أحب ظلها! لكن بعد أن ضمنها في قبضته استوحش! يرفض أن يشعر أنها تعلوه حتى لو كانت الحقيقة! يرفض تمردها! يرفض كبرياءها! حتى لو كان حقها! كان يجب أن يفعل ما فعل ويذل طاقتها من البداية! لم يكن ليسمح لها أن تنتبه لحقيقة أمرها، فالكل يرغبها، والكل يدرك قيمتها، لم يكن ليدع أي أحد ينظر له تلك النظرة التي يكرهها، فليس (علي) وليست (إنجي) هنا!! لكنه أحبها، صدقًا وحقيقةً أحبها، عشق طفليه لأنهما يشبهانها، برودها معه أطاح بتعقله! جعله

facebook.com/the.Boooks

يبحث بجد عن شريك لها فيه! كان يجب أن تسامحه! كان يجب أن تنسى!! هي قادته هنالك! طافت سريعًا أيامهما الجميلة وكأنها تموت يومًا يومًا أمام عينيه، ولم يبق إلا الشيطان يصور له الخيانة وبشاعتها، ويذكره مرارًا أن كل شيء انتهى! وليستعد بثبات لهدم كل الذكريات.

مر يومان كالجحيم، لم يذق فيهما طعم النوم، وقد أبلغ أمه بالطلاق، وهانت عليه نفسه أن يبلغها بالحقيقة! رجلها... مغفل؟ فاختصر بالاتفاق على الطلاق، وفوجئ لدى ردة فعل أمه التي صرخت تثنيه، وتلومه على ما لم تعلمه، وتكرر بلا توقف "شوف فين المشكلة وحلها! انت عندك عيال يا سامح! ومراتك بنت أصول مش هاتلاقي زيها! حتى لو زعلتك يا أخي افتكرلها حاجة كويسة، هاتلاقي ياما، بس انت استهدى بالله يابني واتكلموا تاني!"، ليتك تعلمين! بنت الأصول التي ليس لها مثيل، دفّعتني ضريبة لا يحتملها إنسان. وتعود نفسه فتراوده.. من هذا؟ من يمكن أن يكون؟ ومن قال أنها خيانة؟ قالت المربية أنها لمحته وسمعته عند الفجر! .. يا سامح؟ يا سامح؟ ألازلت تبحث لها عن أعذار؟؟ ماذا يمكن أن يفعل أي غريب في الفجر؟! أفق! ماذا يوحلك ترددًا وحيرة؟ حبك لها أم كبرياءك؟؟ ماذا يهم في من هو؟.. أريد أن أعلم!! سأُجن!!!

facebook.com/the.Boooks

واستفاق أخيرًا على رنة صوتها تجيب من رقم غريب متصل..

- كويس قوي إنك وفرت عليَّ مشوار طويل، لأني أنا كمان مش عايزاك.

والولاد، ارفع قضية زي مانت عاوز! لا يمكن تاخدهم مني، بس كان نفسي تفضل صورتك قدامهم كويسة، وكفاية صورتك قدامي!

أغلقت الخط وتركته يغلي! كسر هاتفه فوق الطاولة، ظل يلعنها يكاد يضرب رأسه في الحائط! هي حتى لم تفكر في الدفاع عن نفسها؟ لم تفكر أن تستعطف رجولته الذبيحة! لم تفكر أن تطلب منه السماح! طبعًا بنت "الأكابر" علموها الكبرياء، لكن لم يعلموها أشياء أخرى أكثر أهمية بكثير! وأقسم أن يعلمها الأدب! أن يربيها من حيث لا تدري! اتصل بالمحامي الذي عمد إليه بإجراءات الطلاق ليوقفها، وأقسم أن يذلها حتى تركع إليه! وبعد أن تركع، يكسر عنقها العلياء هذه بقدمه.

أنهت "هدير" صلاة الظهر مع زميلتين في الطابق الثالث بمبنى عمارة، وكالمعتاد -إذا ما كان لديهن وقت فراغ – كانت تسترق دقائق معهن ليتحدثن عن كتاب تقرأه فتناقشهن فيما أعجبها من أفكاره، أو آيات قرآنية دخلت في تفسيرهن ولفت نظرها حسنهن، أو فيلم أجنبي من الروائع الفائتة شاهدته

facebook.com/the.Boooks

وأحبت أن تنقل لهن شغفها به، كان هذا النوع من الحديث شيء ممتع بكل حال، سواء لها أو لهن، هي تشعر أنها نافعة! وتسترسل في بث شغفها بذلك، وهن يجدن أسلوبها جذابًا جدًّا، ويشعرن بالاستفادة من النقاش المطروح، إذ يستخدمن هذه الأفكار مع أهلهن أو صديقاتهن فيظهرن من المثقفات. تلكأت "حنان" حينما لحقت بالصلاة التالية كي لا تسألها "هدير" المشاركة! فهذا النوع من الجلسات يُشعل حنقها دون أن تدري! يجعلها تهيج وتصبح مُعرضة لأن تُكشف كراهيتها الشديدة لتلك المخلوقة المسماة "هدير"!!

أثناء المدرسة لم يكن أحد يتوقع أن تصبح "هدير" فتاة حلوة! كانت بدينة بشكل ما، وشعرها الخشن دائمًا ملمومًا في تسريحة واحدة، ضفيرتين عريضتين بذيئتين! وكان انطواءها سمة عُرفت عنها، صاحبتها "حنان" خصيصًا لولعها بالاحتفاظ بأصدقاء أضعف منها تمارس عليهم قوتها واستعراضاتها اللانهائية! وحينما حدثت فضيحة والدها لم يكن من "هدير" سوى أنها ربتت عليها بعطف مؤكدة أنها لا تصدق في أستاذ "أشرف" حرفًا واحدًا! لم تحتمل "حنان" هذا منها على ما يبدو فزجرتها! وبعد الاختفاء الذي دام سنوات طوال، لمحت "حنان" شخصًا تعرفه، لكنها لا تذكره، كانت فتاة، واقفة في حرم كلية الهندسة مع شاب وسيم، الذي كان "معاذ"، لكنها ذُهلت

facebook.com/the.Boooks

أيما ذهول! لم تتعرف عليها سوى بصعوبة، "هدير!... هي هدير؟ معقول؟؟"، الفتاة البدينة أصبحت رشيقة مع بعض الامتلاء المحبب، ملابسها أنيقة، حجابها أخفى شعرها وقد كان حريريًّا رائعًا بدوره، ولم تبد لها منطوية بحال... بل مُقبلة على الحياة وابتسامتها الحية تتبعها! وأيضًا تقف متحدثة مع شاب وسيم؟؟ كيف؟ ومتى؟ و... تلعثمت أفكارها، آثرت الاختفاء من عيونها، وظلت يومين كاملين تستوعب الصدمة! وبعد أن بدأت تتناساها، فوجئت بها تناديها من سيارتها الصغيرة الجميلة! وخرجت "هدير" تسلم عليها بحرارة! وزادتها تلك المودة من "هدير" حقدًا عليها! وعرفت أن والدها أصبح لواءً في الجيش وأنهم غيروا مسكنهم إلى الأفضل والأوسع، وتلظت في العجب! كيف تنقلب الأحوال وتصبح هذه التافهة البغيضة إلى تلك الفتاة الواعدة؟ وشعرت بشكل ما أن "هدير" أخذت حقها هي في الدنيا! لم يلتقيا مرة أخرى حتى انتهاء تلك السنة، ولم تلق بالًا حينما اكتشفت أنها دخلت نفس القسم "الهندسة المعمارية"، لتباعد أول حرف من اسميهما، وكثرة عدد الطلبة فلن يجتمعا تحت سقف واحد سوى قليل! لكنها ظلت تذكر جيدًا كيف توقفت أن تلمحها مع ذاك الشاب، وكيف تحول فجأة لشاب مكلوم ترك لحيته وتبدلت وسامته! وفهمت بشكل أدخلت رغبتها في تصديقه أنها تلاعب الشباب! إلى أن جاء هذا اليوم! كانت قد فهمت أن "حمزة" لم يرها في أي مول من المولات،

facebook.com/the.Boooks

بعد أن اعتصرته أسئلة عن أي مكان يفضل فيه التسوق، وهل يذهب كثيرًا إلى المولات؟ وعرفت أنها لم تكن المشكلة دون أن تعرف أين تكمن تلك المشكلة؟ كان موعد التقاء الجروب في إحدى المدرجات.. ثم دخلت (الهانم) مبتسمة باستحياء، وعرفها (البيه) على الأعضاء منسبًا إياها اسم "العضو الجديد معانا"، وحلت الكارثة! بود غريب خلقته في ثوان رحبت بصديقة زمان أمام الجميع، وراحت تحكي لها بعد اللقاء عن الجروب، وكيف تكون، وكأنها ستكون رئيستها في هذا المجال، ورأت بوضوح كيف تتسرب "هدير" من بين أصابعها وتتحرك باستقلالية تامة! وكيف بدأ القرب ينمو بينها وبين "حمزة"، وأقسمت منذ ذلك أن تعمل بجد على تدمير هذه العلاقة!

أنهت "حنان" الصلاة وتحركت بخفة لتخرج، ووجدت في طريقها فتاتين داخلتان لتصليا، إحداهما ملساء الشعر، نحيفة القوام، ويبدو أنها فخرًا برشاقتها الزائدة تفضل أن ترتدي ملابس غاية في الضيق تزيدها نحافة، إنها "هايدي"! من لا يعرفها؟ تشبهها صديقتها لحد ما غير أنها ليست بجمالها، أخرجت كل منهما خمارًا طويلًا من حقيبتها الضخمة اللامعة، وبدأت كل منهما تصلي على حده، لفت الفعل نظر إحدى صديقات "هدير" فقالت،"طب ما تصلوا جماعة!"

facebook.com/the.Boooks

خاطبتها "هدير" تخفض من صوتها قائلة:

- ماينفعش تكلميهم بعد ما بدأوا الصلاة! خلاص بقوا بين إيدين ربنا!

لم يعجب الزميلة هذا الرد على ما يبدو، فلوت شفتيها وتمتمت مُستغفرة وهي تتنهد، فهمت "هدير" لما ضاقت صاحبتها، فقالت لها باختصار:

- التقوى شيء مش ملموس! ربنا وحده اللي يعلم إيه جوه القلوب!

قالت "حنان" مُستهزئة: - تقوى؟؟ تقوى ازاي انت مش شايفه؟ يا ترى كام واحد بقى بيعملوا له مشكلة؟ وكم بنت أصلًا كمان؟؟

هدير: أنا فاهماكي طبعًا، لكن برده، زي ما قال مُعز مسعود، كل اللي مطلوب منك تدعيلهم بالهداية، واللي مش صعبة على ربنا أبدًا، بدليل دخولهم هنا دلوقت!

رفعت "حنان" حاجبيها وكفيها معترضة باندهاش وخرجت، من جديد لم يعجبها هذا الرد بل وازدادت حيرتها من هذا المنطق! فتاة تقية فضفاضة الرداء مثل "هدير"، كيف لا ترى في هذه الخلاعة منكرًا وتتمنى لو تغيره بيدها؟ كيف تجد عذرًا ولو بسيط لتصرف كهذا؟ فتاة تضرب بكل التقاليد عرض الحائط وتأتي للجامعة لا لكي تتعلم على ما يبدو، بل لكي تستعرض آخر ما وصلت إليه الموضة! وتعتقد أنها بصلاتها هذه ستدخل الجنة؟ يا

facebook.com/the.Boooks

سلام؟ لو كان الأمر بهذه السهولة فلما نعذب نحن أنفسنا ونتحمل هذا العناء؟ ألسنا أنثاوات وبالتأكيد نتمنى أن نُظهر جمالنا ونتمتع بشبابنا؟ ألسنا بشرًا يمر علينا الحر ونحن ملفوفات من الرأس حتى أخمص القدم، نكاد نلهث وراء نسمة تُحيينا بعد أن يكاد القيظ يودي بنا؟؟ ألا نتحرق شوقًا لنتنفس طعم الحرية؟ لنتلظى بلذة النظرات الحارقات من الشباب والرجال؟ هي غريزة! نكبتها ونُحرم منها كي ندخل الجنة، وبالتأكيد لن تكون الجنة بذات المتعة لو لمحنا إحداهن بها!! فالله عادل!

قالت هدير لزميلتيها - اللي علينا نعرف الصح ونعمله، من غير ما نبص ورانا ولا نقارن بغيرنا، ممكن ننصح بس.

صديقتها: بس ده إحساس بالظلم اننا ندفع التمن، والتمن غالي، مقابل حاجة نتفاجئ ان غيرنا أخدها ببلاش! وكنا دفعنا ليه من الأول؟؟

هدير: مادام احنا على يقين ان ربنا عادل، خلاص! بنفكر ليه؟

أنهت "هايدي" الصلاة، وسمعت"هدير" وهي تتكلم عن العري الذي طال المسلسلات أيضًا، وتقول لصاحباتها:

- المضحك ان تفسير الحرية الفنية من المنطلق ده فيه من المغالطة حد كبير قوي! لإن الموضوع مالهوش دعوة لا بالشرقيين ولا بالمتحجرين ولا حتى

facebook.com/the.Boooks

بالمسلمين!

صديقتها: إزاي مالهوش دعوة بالمسلمين؟

- أقلكم، هو لما سيدنا آدم غلط وأكل من الشجرة، كان أول عقاب ليه إيه؟ مكانش انه نزل من الجنة للأرض، أول عقاب كان ان ربنا يكشف سوآتهم هو وستنا حواء لبعض! رغم انهم أزواج!! يبقى الحياء فطرة، والتدثر فطرة، وستر العورة فطرة في البشر، وكل الأشكال الغربية التانية دي عكس فطرة البشر!

قاطعتهم "هايدي" التي خرجت صاحبتها تنتظرها خارجا متململة وسألت:

إنت قريتي الكلام ده في كتب؟ انت شاطرة قوي على فكرة!"

ابتسمت "هدير" وشكرتها، فتابعت الفتاة بأسلوبها التلقائي، الذي يحوي مع ذلك كثيرًا من الحركات التمثيلية، والحروف المضغوطة بقوة:

- أنا سمعتك قبل كده على فكرة، كلامك بيعجبني، بس فيكي حاجة محيراني.

ابتسمت "هدير": دي حاجة تسعدني! بس يا ترى إيه؟

- يعني.. انت بجد.. بجد عمرك ما حسيتي ان حرام جمالك ده يختفي، وفي الآخر يروح لراجل واحد بس؟

كان منطقًا غريبًا، لكن "هدير" اهتزت له صدقًا! لا تدري لمَ؟ كان عليها أن ترد سريعًا بما يُقنع، ولا تترك نفسها أمام صديقاتها، أو أمام "هايدي" من دون

facebook.com/the.Booooks

رد دامغ، لكنها احتارت مع هذا، وابتسمت من جديد مُبدية غرابة المنطق!

فلاحقتها "هايدي" متابعة:

- يعني أنا مستغربة من فكرة الحجاب دي قوي، خصوصًا قبل الجواز! مش معقولة حتى الشخص اللي يختارني يبقى مش عارف ان شعري ناعم مثلًا! وطبعًا حجات تانية كتير! وإفرضي اني اتجوزت وبعدين ما توفقتش! هاخاف من الطلاق لحسن ماتجوزش تاني! لأن أي حد تاني برده مش هايكون شايف مميزاتي وعيوبي، مع ان ده شيء من حقه! ومن حقي أنا كمان تبقى فرصتي أفضل من غيري لو انا أستحق ده!

- يا هايدي! انت كده برده بتعملي زي الغرب تمام، بتعاملي الست كأنها سلعة، جسد من غير فكر ولا روح، واللي بيفكر يتجوزها، هايهتم أولًا بهو هايمتع نفسه بيها ازاي!! مع إن الراجل لو حب الست بصدق، هايشوفها أجمل من غيرها مهما ظهر اللي أجمل منها! أنا شايفة ان الحجاب لو فكرنا من منطقك بيديكي أمان وتأكيد ان الشخص اللي اختارك فعلًا عاوزك أو فعلًا بيحبك، لأن مافيش مؤثرات تانية شكلت رأيه! والعكس بالعكس، اللي هايختارك لجمالك، بيديكي إحساس انه هايرجع يفكر في اختياره لو لقى واحدة أجمل منك! أو على أقل تقدير.. لما تكبري في السن ويبدأ يروح جمالك.. أكيد هاتلفت نظره واحدة جميلة، لأن ده محور اهتمامه وتركيزه من الأول!

facebook.com/the.Booooks

رفعت "هايدي" حاجبيها وكأنها تحاول أن تستسيغ ما سمعت! ثم نادتها صاحبتها "يلا بقى!"، فابتسمت لهدير قائلة - مش عارفة! الموضوع برده أعقد من كده، يعني انت مثلًا – بدون زعل – أنا شايفة تقاطيعك حلوة ومن غير ميكأب، بس فيه ولاد بالهبل لا يمكن يبصوا لك بس عشان طريقة لبسك!

استُفزت "هدير" رغم علمها أن الفتاة لا تقصد تجريحها، فردت بسرعة غير موفقة:

- وفيه ولاد بالهبل بيبصوا لي مخصوص عشان كده، وتخيلي بقى بيبقوا الstyle اللي أنا فعلًا عاوزاه، بيبقوا شبهي! بيدوروا على تفكيري وشخصيتي، فهمتي!

شكرتها "هايدي" على وقتها وهي تبدي أن بعض الأمور لا يمكن أن تستوي بين اثنين! وتوجهت للباب كي تخرج، ابتسمت "هدير" وهي ليست نادمة على هذا الحوار الساخن، رغم اللوم الذي سمعته من صديقاتها "مش احنا اللي نفكر في الولاد اللي هايبصوا لنا! احنا محجبات لأننا مقتنعات بده!" وحاولت "هدير" التملص من هذا الموضوع بأنها يجب أن ترد المُتحدث بما يناسب عقليته، فهي في الواقع سعيدة أن الفتاة مهتمة بما تقوله لهذا الحد!عكس صاحبتيها المقتنعات أن فتاة تصف الحجاب بـ"فكرة" و"فكرة غريبة" أيضًا،

facebook.com/the.Boooks

لهي غير جديرة بأي وقت لها! ومحاولة نقاشها تبدو كالنفخ في قربة مثقوبة!

فجأة سمعت "هدير" "حنان" تناديها:

- ممكن تيجي لحظة؟ لحظة بس عاوزة أوريكي حاجة مهمة!

قامت "هدير" تضبط هندامها وتحركت نحو "حنان" التي دعتها خارج الغرفة تسألها عن لوحة حائط نشر عليها خبر ميعاد مناقشة الماجستير لأحد المعيدين. في الواقع ليس هذا أبدًا ما تعبأ به "حنان"! تركت هي الموج يسيل وحده..

حينما خرجت "هدير" من الغرفة الصغيرة، لمحت "هايدي" من ظهرها تقف مع "حمزة"! لم تعرف أبدًا عما يمكن أن يدور بينهما! حاولت الاقتراب من على بعد، الفضول يكاد يقتلها، لكنها لمحت في عينيه نظرة.. لا يمكن أن تنساها! شُلت لها كل حواسها وأطرافها.. توًّا قالت بكل ثقة.. أن الرجل.. لو أحب امرأة.. فلن يرى سواها أجمل! وتوًّا قالت الواقفة أمامه الآن، تستمتع بجاذبيتها عليه أن الأمر أعقد من ذلك! لم تصدق ما رأت، شكت فيما رأت! لايمكن! حمزة؟ راح "حمزة" يتابع الحديث دون النظر ناحية "هايدي" إذ وقع بصره على "هدير"، وكانت مذهولة! لمعت فوق صدرها قلادتها الذهب الرقيقة، إذ تعلو وتهبط فوقه، وبداخلها الغل كله، والغضب كله!

facebook.com/the.Boooks

تركت الكلية وتحركت تستعر ضيقًا وهي تفكر، كل ما قالته للفتاة هو كلام نظري إذن؟ نظري بحت لا تطبيق ولا واقع بين ثناياه؟؟ لم تعد تشعر بأي عطف نحو "هايدي"، فعلًا تستحق النار! تُثير الشباب وتخطف أبصارهم، أنى لها بأي تقوى؟ نظرت لهاتفها لذي لم يمل من أجراسه الملهوفات، كلا لن تجيبه! لن يسمع صوتها أبدًا بعد اليوم أبدًا!! كيف يضعها في هذا الموقف كيف؟ كيف يسمح لنفسه بأن يفعل كهذا فعل؟ ويصف نفسه بالمُتدين؟ جيد والله! تديُن (مودرن) إذن؟ دون غض بصر! هي الخائبة إذ وثقت به! ليس لها أن تثق بأي رجل! وصلت منزلها، دخلت غرفتها، نظرت للمرآة! كانت "نورا" على حق إذن! إذ لا تراها بالجاذبية الكافية! نظرت لحاجبيها.. تذكرت حاجبي هايدي المرسومتين بإتقان! نظرت لشفتيها الجافتين! وطافت شفتا هايدي اللامعتين في خاطرها المشتعل فوهجته مزيدًا! خلعت الحجاب، شعرها خشن دون ريب! أتخفيه حقًّا لأنه أسوأ ما فيها! سمعت صوت وصول رسالة وقرأت كلماته بعصبية "ردي عليَّ يا هدير! إسمعيني الأول! مش من حقك اللي بتعمليه ده!"

كم أنك رائع يا حبيبي في الحديث عن الحقوق! فبالتأكيد حقك يفوق حقي أليس كذلك؟ ويا حبذا في المتعة!! ذهبت في المساء للكوافير، صبغت شعرها ورفعت حاجبيها، وابتاعت بعض ال(ميكاپ) وهي في طريق العودة! في

facebook.com/the.Boooks

الصباح التالي نظرت للمرآة طويلًا! هي الآن أجمل بكل تأكيد! لكن لمَ تطول طرحتها كل هذا؟؟ غيرت من الربطة المعتادة وانحسرت طرحتها عند أكتافها، لونت شفتيها باهتمام وأظهرت خصلة صغيرة من شعرها يظهر منها اللون الجديد!

- انت عندك النهاردة مناسبة ولا إيه؟

- بالعكس أنا هارجع بدري! بس شوية تغيير!

طبعًا أمها أكيد سعيدة بهذا الـ"تغيير"، لأنها من البداية معترضة على ابنتها التي تراها "مزوداها حبتين"! رغم علم الأم بالزميل الذي سيأتي قريبًا ليطلبها!! ركبت سيارتها، لم تكن بحاجة لأي تغيير حينما كانت أكيدة أنها تعجبه! وحدها تعجبه! اليوم تكاد تختنق وبحاجة حقيقية للتغيير، ستبحث عن "هايدي" بعينيها وتجلس بجوارها اليوم! لابد أن تعلم أنها قادرة أن تكون جميلة مثلها، بل وربما أكثر سحرًا منها، فليست بنحافتها التي قد تبدو مُنفرة أحيانًا! في كل خطوة شعرت بالفرق! المعاكسات التي لحقتها ممن يقود عربته بجانبها، أو ذلك الذي يعبر الشارع! المدرج الذي شعرت داخله بنظرات تعجب وإعجاب معًا تلسعها وتلاحقها، قالت لها "صباح الخير" تحاول أن تظهر طبيعية! عبرت عينا هايدي عن "الدهشة" الممزوجة بمديح خفي لا يفهمها سوى فتاة مثلها، قالت صديقة "هايدي" بتلقائية "واو! انت حلوة قوي

facebook.com/the.Boooks

النهاردة! إيه السر؟"، شكرتها بابتسامة ودون إطالة، وتظاهرت بالانشغال بتحضير دفترها وأقلامها، لم تبحث عنه! وكان قد كف محاولاته بالاتصال بعد رسالته فعلًا! بعد انتهاء المحاضرة التي لم تسمع منها حرفًا، قامت مُسرعة ألا يستوقفها صديقاتها اللائي عجبن لاختفائها من الصفوف الأولى كما اعتادت، وبين الطلبة الكثيرين الذين يهمون بترك المدرج، التقت في طريقها ب"محمد بكر"، النخلة الوسيمة كما اعتادت أن تسميها! وكان تشبيهها في محله! فمع طوله الفارع تميز بشعر كثيف، ومع كثرة ضحكه مع أصحابه وغير أصحابه كان يتمايل كثيرًا! قالت له بشكل عفوي ناجح "ملزمة الامتحانات نزلت؟ عندك فكرة؟"، كانت دهشة الشاب من حديثها إليه تفوق دهشته من شكلها، أيضًا أحست جاذبيتها عليه، تلك التي رأت بالأمس!! واستطال الحديث من دون داع، وهي تتابع الابتسام وتمسك دفاترها بتوتر وبكلتا يديها المشدودتين، كان يريد أن يقول لها "بجد انت النهاردة مزة!"، لكنه امتنع! يعرف من هي "هدير" منذ السنة الأولى ولن يجازف! لمحت ذلك في عينيه، فأسرعت من أمامه بمبرر واه وهي تبتعد، ابتسم من تصرفها وتوترها دون أن يخمن! ومط شفتيه غير مُتسائل، كانت قد أحست عينين تلسعانها من بعيد! لم تره لكنها أحسته!

أسرعت نحو مدرج المحاضرة التالية، واندست بين الصفوف عن قصد، وفور انتهاء المحاضرة الثانية، وبعد أن حددت موقعه ورأته مرارًا وهو يبحث عنها

facebook.com/the.Boooks

دون أن يجدها ، أسرعت تندس بين الجموع لتخرج! كانت قد اقتربت لسيارتها الصغيرة حينما سمعت صوته الجهوري يناديها.. "هدير!"، توقفت وكأن مستها الكهرباء، استدارت ناحيته بهدوء تحاول استجماع كل قوتها وشرر الأمس معًا! لكن جرأته أخافتها لا ريب!

- انت بتجري كده ليه؟

- أبدا! أنا مستعجلة بس! فيه حاجة؟

- فيه حاجة؟؟

- احنا عمرنا ما وقفنا نتكلم كده في الشارع!

- حضرتك ما بترديش على الموبايل!

حاولت أن تنظر إليه مباشرة دون جدوى، توترها وحركاتها المشدودة نحو كل اتجاه فضحا رهبتها من الموقف...

- معلش! كنت تعبانة شوية!

- تعبانة؟.. وإيه اللي انت عاملاه في نفسك ده؟

- ها؟ عجبتك؟

- طبعًا عجبتيني – نظرت إليه، فازدادت عصبيته - وعجبتي كل الدفعة! ولا ماخدتيش بالك؟؟

facebook.com/the.Boooks

- وطي صوتك يا حمزة احنا في الشارع!

- همك شكلك قوي في الشارع؟ وما خفتيش على شكلك؟ وعلى الحجاب اللي مبين لون شعرك والميكأب بتاع الحفلات اللي انت حاطاه ده؟

- غريبة! –أصرت على استفزازه- انت أول واحد ينتقدني النهارده!

- ويا ترى عجب سي بكر كمان؟ -ولت نظرها عنه- ها؟ خد رقمك ولا لسا؟

- حمزة!

- ولا كلمة! دي آخر مرة أشوفك واقفة مع حد بالشكل المستفز ده! وبالنسبة لوشك الجميل ده، فأول ما ترجعي البيت تشيلي اللي انت حاطاه ده وماتفكريش تحطيه تاني لأي سبب!

- حلو قوي! وياترى بأي حق تمنعني أقف مع أي حد وانت تقف بمزاجك؟ وليه تكره اني أكون جميلة مدام انت بتحب تبص على الحلوين؟

- أحب أبص عالحلوين؟ - سكت زامًّا شفتيه وتنفس بعصبية – ده تفسيرك للي حصل؟

- أنا شفتك بعني يا حمزة! ما حدش قللي.

- أنا راجل، وانت بنت! أظن عيب قوي ما تبقيش عارفة الفرق.

لن ترهبها تحديقة عينيه - انت راجل متدين، مش راجل عادي، أظن عيب قوي

facebook.com/the.Boooks

قوي ما تكونش عارف الفرق، وعلى فكرة، مافيش فرق بين راجل وست! الاتنين ليهم نفس المشاعر ونفس الاحتياجات! ونفس السمعة كمان لأنهم متدينين، ولا انت ليك رأي تاني؟

- هدير.. – رأت قبضة يديه الصارخة – روَّحي دلوقتي، وليَّه كلام معاكي بعدين.

- لأ بقى، مدام فتحت الكلام...

- خلاص! خلصت!!

سكتت تمامًا أمام نهره إياها، لجم لسانها لجام ما، لكن دموعها خانتها للنهرة تلك، ولمعت في عينيها قبل أن تلتفت من أمامه وتركب سيارتها مبتعدة. تلك الليلة كانت غارقة في كمدها، تحاول أن تفكر كيف تُفهمه أنها ليست جارية ليعاملها كذلك! ليست رهن أمره ليأمرها بما تفعله، وقبل كل ذلك يجب أن يفهم أن عصر الحريم قد انتهى! فليس بإمكانه أن يؤتي نفسه حقًّا يحرمها منه!! وليس أبدًا بإمكانه أن يتجاهل مشاعرها! كلما تذكرت حدقتيه نحو هايدي.. كلما جُن تعقلها! النار.. النار تقتلها! تذكرت كل ما قرأت من لهفة الرجال نحو المرأة! وكل ما سمعت عن غريزة الرجل وعجزه أمام مفاتنها، كلا! كلا ليس عذرًا أبدًا! كان يوسف نبيًّا لكن من البشر! (عمرو خالد) أكد على قدرة البشر

facebook.com/the.Boooks

السيطرة على تلك الغريزة، وإلا فمن أين جاءت العفة؟ هو سمع مثلها كل تلك الشرائط وأبدى اقتناعه التام! هو رمز لغض البصر، هي تذكر جيدًا أكثر من تعليق قيل عنه حتى من خلف ظهره، ماذا حدث؟ ماذا يحدث؟! كلا لن تسامحه أو تمنحه أي عذر! كلا! لمَ تحفظ هي عهدًا ينقضه هو، بدعوى الولد والبنت؟؟ أبدعوى الجاهلية؟؟ لقد أحبت كثيرًا ما رأت من جاذبيتها اليوم، أجل جدًّا! ستفعل ذلك غدًا وبعد غد! لن يُخيفها، سترسل له رسالة حالًا! ستقول له أنا حرة، ولست ملكًا لأحد، ولن أصبح! ستقول له أن يتوقع منها ما لا يتخيل، علَّها تحرقه بالنار التي أحرقها بها. يا ليت، ليتها تقدر، لكن النساء لهن أقدر على كيد أنفسهن وهي تعلم! سألها خاطرها إن كانت تقدر على إعادة الأمس..

كانت غاية في التوتر، اختفت من طريق أصحابها خوفًا من النقد، حتى "محمد بكر"، رغم فرحتها الأنثوية بما رأته، إلا أنها تعرف يقينًا أنها قبل هذا اليوم لم تكن تعني له سوى فتاة مُتشددة، و(مزوداها على الفاضي!) وهو لا يزن لعقلها أي وزن! وربما بعد هذا اليوم أيضًا! كانت الليلة حفل حنة "نرمين" بنت خالتها، لم تكن "هدير" ذات يوم على صلة جيدة ب"نرمين" التي كانت تكبرها، وكانت في وقت ما صديقة "نورا" الصدوقة، حتى قطعت أواصر الغيرة علاقتهما منذ خطبة نرمين"! ثم تم طلاق "نرمين" قبل أن يكمل زواجها السنة، وعادت علاقتها مع المطلقة صاحبتها "نورا"، واليوم وقبل زواجها الثاني تحتفل

facebook.com/the.Boooks

بالحنة كأي فتاة!!! اندهشت "نرمين" من "هدير" لدى إقبالها على حضور المناسبة.. لا زالت "هدير" تريد أن ترى نفسها جميلة، وفي حفل مماثل حيث يرتدي الكل أجمل الأثواب وأكثرها عريًا، ويتصرفن بحرية حرموا منها، بالتأكيد ستطفئ بعض النهم، وقد كان! فرحت بنظرات الناس المعجبة والمندهشة من التحول، وفوقهم "نرمين" التي اتحدت يومًا مع أختها "نورا" لإرجاعها عن الحجاب! الآن "نرمين" التي هزأت دومًا من منطقها ومن نقدها لتصرفها مع خطيبها بحرية مبالغ فيها تمامًا! الآن تذوق طعم الطلاق ولا تتذكر أبدًا تلك الصغيرة التافهة "هدير" التي أكدت لها دومًا: "بدء العلاقة بحاجة حرام هيورث الطلاق أو التعاسة!"، والآن تنظر "نرمين" لفتاة في مقتبل العمر سعيدة بشبابها واثقة في نفسها تظهر جمالها الذي تخفيه بكامل إرادتها وترقص بفخر! اختارت "هدير" أغنية "سامحتك" القديمة لأصالة كي ترقص عليها منفردة، ورغم امتعاض البعض لتلك الأغنية، فقد أبدعت "هدير" في الرقص، لا لشيء.. بل لكلمات الأغنية التي تخيلت نفسها تقولها لـ"حمزة".

سامحتك كتير وبحذرك لو الزمان هايغيرك...

هابعد عنك واسيبك وانسى اني كنت حبيبك

facebook.com/the.Boooks

لكن.. بعد اعتقاد "هدير" أنها سعيدة هكذا، والفجوة تزداد بينها وبين "حمزة" وبينها وبين نفسها، تأكدت أنها ليست سعيدة بالمرة! رغم تذوقها حلاوة أن تكون جميلة وباعثة على الإعجاب فينًا وعلى الغيرة أفنانًا. رغم انفجار غريزتها نحو تمني أن تظل كذلك.. لكن في الحقيقة هي لم تكن نفسها، لم تكن هدير التي تعرفها! وهذا ما أشعل توترها، وفوق كل ذلك.. فوق كل ذلك كانت قد نسيت أهم أمر.. "ربنا!"، فليست تفعل أي من أفعالها التي تحبها وتجلها لأجل "حمزة" أو غيره، إنما لاقتناعها بواجبها نحو ربنا! ولحبها القوي لربنا وحبها لفعل ما تعبر به عن حمدها له عن كل ما هي فيه! فجأة اجتاحها شعور عصيب بالندم! وشعور أكثر صعوبة بخيبة الأمل.. في نفسها، كيف ضعفت؟ كيف نسيت؟ كيف انجرفت؟ كيف؟؟ ووسط دموعها المقهورة التائبة، حادثتها خواطرها من جديد.. هو السبب! أجل! هو كاد يطيح بعلاقتها بربنا من أفعاله الصبيانية! كل يوم ألف "هايدي" تتواجد في الطريق، لكنه كان يحترمها ويحترم نفسه! أما الآن.. سمعت صوت رسالة منه:

"مش قادر أصدق! مش قادر أصدق ان انت تعملي كده! وبدون أي عذر تتصرفي برعونة مطلقة!!"

اشتعل هاتفها في يدها، أو هي شعرت كذلك! ردت في ذات الوقت وبعصبية:

"الظاهر ان احنا الاتنين مافهمناش بعض كويس! وكنا فاكرين نفسنا

facebook.com/the.Boooks

فاهمين!!"

كانت تقصد أن يصل المعنى الذي وصل هو إليه، وتخيلت تحديقه لدى جرأتها المفرطة في نظره! وتخيلت توتره ودهشته وهي تأكله نهمة، ورضيت تمام الرضى عما فعلت! ورغم كل ذلك، لم تتوقع أبدًا أن ينمو التجاهل والجفاء بهذه السرعة بينهما! لم تصدق أن جاء اليوم الذي يجتمعان فيه أثناء مناقشات المجموعة بشكل رسمي مجحف تمامًا، ولا أن تأتي الليالي بأقدام تدهسها لا تسمع فيها صوته أبدًا! أ بعد كل هذا الحب؟ لم تعد تجلس مع صويحباتها في المسجد، ولم تعد تبتسم لهايدي! شيء بداخلها تصدع واشتمت منه الصدأ...

هاتفته "هَيبت" وهي مصرة تلك المرة على لقائه! تعلم أنه اليوم زوج.. لكنها تريده، تحتاجه، وبقوة! إنه الخوف الذي يتملكها منذ الصغر، فزع أن تدرك أنها الهجيرة الضعيفة، ولا دواء تقوى على رؤيته الآن سوى شخص تثق به، لا! بل شخص تثق بقيمتها عنده وبصورتها لديه، شخص يهبها ما تريد وما تتمنى من اعتداد أنثوي وبشري تتوق له كل التوق الآن! شخص.. تشعر بحاستها الأنثوية أنها تعجبه وأنها امرأة كاملة بكل ما تحمل الكلمة من معنى في نظره، يراها دائمًا من زاوية مضيئة، ويؤمن بأنها جديرة بالاحترام، بل جديرة

facebook.com/the.Boooks

بالاحتفاظ! ويؤكد لها إذن أن أجمل مراهقة بل وأكثرهن إثارة لا تجاورها منزلة حتى! حاولت أن تتذكر من أين شعرت بغلوها العميق عنده لكنها لم تفلح.

كانت جالسة في كافيه تنتظر "مصطفى"، رأته من بعيد يبحث عنها بعينيه، لم تبذل أي جهد كي تُظهر نفسها له، كم أحبت أن تراه يبحث بجد كي يجدها، أحد يبحث عنها صدقًا، ويعنيه مساندتها صدقًا، وتحب هي منه ذلك حقًّا! فورما وقعت عيناه عليها حتى توجهت إليها قدماه دون عينيه، حينما اقترب وصافحها قبل أن يجلس، بدأ بامتعاض سؤاله قلقًا واستنكارًا:

- خير يا هَيبت؟ فيه إيه؟

كانت "هَيبت" قد رتبت كلماتها بشكل منظم وثابت، تحكي لهذا الرجل، حازمة هي، قوية، هكذا رآها "مصطفى" الذي كانت ترتعش دواخله من جرأتها، من حديثها هذا، الخاص جدًّا، من قربها! ليسا في موقع العمل هما، وليسا في الشركة، وها هي تهمس كي لا يسمعهما أحد! سينها تخترق أعصابه، وشينها تخدره! يستمع دون النظر هو، فقط يختلس نظرة نحوها كلما استطاع، عيناها التائهتين القويتين في آن.. تستجديانه، تستجديان إنصافه، سكتت أخيرًا، هو الصاحب الآن، تنتظره هي، تنهد بشكل جرفها بعيدًا، قال بعد حين:

- مش عارف أقلك إيه؟ بس أنا ما أقدرش أحكم على قضية سمعتها من طرف

facebook.com/the.Boooks

واحد!

- انت بتدافع عن صاحبك؟ بتحاول تقنعني انه ممكن يكون مظلوم؟

- أنا ما قلتش كده!.. مش عيب اني أدافع عن صاحبي على فكرة!

- طب والحق؟ حقي أنا يا مصطفى؟ ما فكرتش فيه؟؟

- طب والولاد؟ يعني إيه تحرمي أب من ولاده؟ والبيت اللي بنيتوه سوى، نسيتي كل ده؟

- مانسيتش! طبعًا مانسيتش.. ومش هاقدر أنسى، لكن برده مش هاقدر أنسى اللي حصل، انت شايف اني أستاهل أفضل عايشة مع إنسان وانا حاسة على طول بعدم الأمان معاه؟ أستاهل اني أفكر كل يوم يا ترى فيه بنت تانية ولا لأ؟.. رد عليه؟

لن يخبرها أنها بالتأكيد.. بالتأكيد لا تستحق!

- سامح مش وحش قوي كده، وانت عارفة!

- عارفة؟ مه واضح اني مش عارفة حاجة! بتدافع تاني؟

- يا هَيبت افهميني.. فيه حجات..

- إيه؟ هاتقوللي برده راجل ونزوة والكلام ده؟ طب تقول إيه لو قلتلك إني نفسي يبقالي نزوة أنا كمان!

facebook.com/the.Boooks

نظر إليها معاتبا، استطاعت أخيرًا أن تستفزه! قال:

- مش هَيبت فخري اللي تقول الكلام ده! طول عمرك عندك كل حاجة تخليكي تتصرفي على كيفك، جمال، مال، حرية، لكن عمرك ما اديتي فرصة لحد يتكلم، اخترتي أخلاقك بمزاجك، فماينفعش دلوقتي تقولي الكلام ده!

انتشت لاعترافه، أحبت حديثه، لكنه قطعًا لا يفهمها!

- بالعكس! بالعكس يا مصطفى، أي بني آدم مع السن يحتاج يحس بحجات معينة أكتر حتى من الأول! لكن هو بيحاول يضبط نفسه، بما إن الدكتور فشل في كده، ليه متخيل اني ملاك؟

- يا هَيبت! – يزداد عتابه الحنون خافيًا عصبيته من حديثها هذا! – الست غير الراجل!!

- الراجل الراجل، الاتنين بني آدمين مش دي الفكرة! يعني انت مثلًا؟ - انتبه لها - ممكن تعمل كده يا مصطفى؟ - ولى عينيه عنها - تصور ان أنا ما صدقش؟ حتى لو انت قلتلي ممكن، مش هاصدقك!

استوت جبهته في دهشة واهتمام، لماذا؟ أجابته بنفس الثبات، لأنني أعرفك جيدًا، أعرفك منذ الدراسة، أرقبك، أرصدك، وحتى الفتيات اللائي خطبتهن من كل حدب.. عرفتك أكثر من خلالهن، بل تأكدت لا أكثر! العفيف الكبير،

facebook.com/the.Boooks

لمَ تحسبني أأتمنك على سري إذن؟ أعرف خلقك حق المعرفة فلا تراوغ! أنت من يؤكد لي أن هناك إخلاصًا حقيقيًّا في هذه الدنيا! أنت من علمني معنى الولاء، أعرفك فلا تنكر! كف عن الالتفات بعيدًا وأجبني! هل يمكنك أن تثنيه عن الرجوع عن الطلاق؟ هل عندك ما يشفي غليلي؟ ألا تُكن أيا من إخلاصك هذا لي؟ ألسنا أصدقاء؟؟

يبتعد بعينيه عنها، تعتصره قسوة حديثها، حدث نفسه.. إخلاصي لك هو ما يدعوني للحفاظ عليكي! إفهمي! إخلاصي هو ما يدفعني للحفاظ على بيتك وأسرتك! أفهمي يا غبية! أليس هذا هو ما على الصديق؟ ليتني أقدر على أن أُقول.. لكن كيف؟

- إنت مش بترد عليه ليه؟ ساكت ليه؟ سرحان في إيه؟ لازم تبقى مخلص معايا أنا كمان! ده حقي عليك يا مصطفى! مش حق صاحبك بس! أنا كنت مخلصة معاك طول عمري وانت عارف، يا ما وقفت جمبك، ودلوقتي عاوزاك تقف جمبي فماتسكتش كده!.. بُصلي!

- صدقيني.. لو فيه حاجة أقدر أعملها، كنت أكيد هاعملها، لكن أنا ماقدرش أقنعه بللي أنا مش مقتنع بيه، وللأسف ولا أوافقك علّي بتفكري فيه!

- شكرًا يا مصطفى! أهم حاجة صاحبك، ومش مشكلة أعيش أنا في شك

facebook.com/the.Boooks

وذل !forever، واحنا هنا طبعًا في مصر، مش كده؟ شكرًا!

أمسكت حقيبتها وتحركت بعصبية من أمامه، كان في تلكُئها محاولة خفية منها كي يستبقيها لكنه لم يبادر، لم ينطق أو ينظر نحوها حتى!

تاه في صفحات ذكرياته، مشاعره تجرفه بعيدًا نحو فجوة تبتلعه ابتلاعًا! غير قادر على الانفلات منها وهو لا يريد! ليت المرء يقدر قتل حب يغرقه حتى يكتم أنفاسه! أي نوع من الحب هو؟ الجنس؟ ها قد أشبع نفسه تمام الشبع، فلمَ لا يكاد ينساها؟ الاستقرار؟ ها قد أصبح له زوج وسكن، فلمَ لا يعوضه كل ذاك عن تمنيه رؤياها؟ لمَ يكره نفسه لعجزه مساندتها؟ لمَ يجد نفسه مسؤولًا عن إسعادها؟ لمَ؟ متى يتخلص وللأبد من تلك الحكاية التي يجدها أبدية لن تتركه ما حيا؟ قام "مصطفى" واتخذ من السير سلوى وليست سوى نشادر توقظ آلامه بقسوة! تمشى على الكوبري ويداه في جيوبه، نظر مليًّا لمياه النيل، فوق هذا النيل عاش أسوأ لحظة في حياته على الإطلاق! كان ذلك منذ سنين.

ارتقوا قاربًا شراعيًّا، خمسة من الشباب الواعد، تحملهم أحلامهم بعيدًا، تتهادى كما الموج الرائق هذا، تتفق جميعًا في النجاح والأمجاد، كلٌّ على طريقته، وفي أحاديث الأحلام.. لابد أن توجد المرأة، من منهم لا يحلم بالنصف الناعم يحويه ويسقيه النعيم؟ من منهم لا يتنفس خياله داخل حضن نضر يبتلع آلامه ويملأ خواءه حتى الشبع؟

facebook.com/the.Boooks

- هَيبت فخري.. هيه دي البنت اللي هاتبقى مراتي!

تجمد "مصطفى" حينها وغامت عيناه، واصطلى جلده مرارًا من نظرات صديقه التي ترصده دون ريب، تقبل الباقون بدهشة فرحة، تحولت سريعًا لمباركة! فهم يعلمون جميعا قدرة "سامح" على الإيقا ع بالفتيات، يدركون جاذبيته، ونوعه الأثير لديهن، ناهيك عن كونه معيد وما لذلك من وهج!

- بصراحة يا سامح البت لوز! دايمًا تقع واقف.

- يا بني آدم احترم نفسك! بقلك هاتبقى مراتي.

- وطبعًا بتحبك يا عم، كلنا متأكدين.

ومن بين الضحكات ووصف الفتيات، اقترب منه "سامح" صامتًا ، ولا زال هو مجمدًا لا يقوى على تدارك الصدمة!

- مالك يا درش؟.. تنَّحت من ساعة ما جبنا سيرة البنات؟

لم تكن عينا "سامح" بنفس القوة والثبات الآن، بل مع همسه لم يكن ينظر نحوه، للمياه ينظر والقوة في كفة لسانه:

- أبدًا.. أنا مستغرب قوي انك.. انت ازاي تقول اسمها كده!

- في دي عندك حق، بس أصل.. كنت شاكك ان فيه واحد من صحابي بيفكر فيها ، وبصراحة خفت – توجهت عينا مصطفى نحوه كرصاصة، لكن سامح لا

facebook.com/the.Boooks

يواجهه لا زال – خفت نخسر صداقتنا بسببها، في الوقت اللي أنا متأكد فيه من مشاعرها!

تلعثمت أفكاره، احترقت الكلمات فوق عقله الذي لا يُسعفه، تسلح بالسكوت، أكمل صديقه وهو يمس الماء بكفه:

- بس عارف، أنا متأكد انه راجل، وانه من اللحظة اللي عرف فيها ان عيني منها، خلاص بقت أخته!

داهمته دوامة الرجولة وقتها! فأي مراهقين هؤلاء الذين يتعاركون على فتاة ويتصادمون لأجلها؟ لم تتوقف الدنيا عن التمخض عنهن؟ ما الذي يساوي وقفة رجل أو صداقة حقيقية؟ هكذا رأى! لم يحاول أن يسأل نفسه عمن تريد هي؟ لم يطف بخاطره إن كان موقف صديقه أنانيًّا أو حتى خائفًا راغبًا في أن يأمن طرفه لخوفه المنافسة! لم يفكر أبدًا أن امرأة كالعملة النادرة هي أقدر على قلب كيانه لعظمة وقلب أحلامه لحقيقة! لم يفطن أن الرجولة الحقيقية بلا أنوثة تنفخ في روحها لهي رجولة تتعرى من أي معنى حقيقي! وقدَّمها له على طبق من ذهب! وأقنع نفسه أنه مثال الوفاء، ونسى أنه لم يكن مدينًا له حتى يوفي!! وها هو صديقه، ها هو يضيعها! ها هو يؤلمها ولا يصونها، ها هو يتركها تنزف بين يديه دون أن يداويها، وينتظرها حتى تتصفى! أي عقل! أي

facebook.com/the.Boooks

شخص أنت يا سامح! ليتني أخذت منك ميثاقًا غليظًا بالحفاظ عليها، أي رجولة فارغة رغبتها بعيدًا عن إنائها؟ أي صبية تافهة تلك التي صرفتك عن رحيقها؟ أي شيء فوق هذه الدنيا يفوق أن تفتح عينيك في الصباح فتسقيهما برؤيتها الناعمة وابتسامتها المتراخية تستنشقك على مهل؟

"استغفر الله العظيم!"

تبًّا لك يا سامح! تبًّا لك! سيذهب إليه، سيواجهه، نعم أنا لها صديق ولن أتركها! سيقول له: أجل حقها أن تفضح سرك لأنك لم تصنها! من آتاك هذا الحق في كسرها؟ أجل هو شأني! ولي عليك عتاب كبير، فلن أغفر لك! عاهدتني في الخفاء أنك ستسعدها، أجل هذا ما فهمته دون أن تنبث به! أجل هو حقي! هي أعطتنيه، وأنت منحتنيه بخيانتك تلك! وإن لم يخن جسدك فأنت لها خائن وأنت تعلم! فليس الجسد هو المسألة، تقتلني؟ هيا اقتلني، فعلت ذلك قبلًا وبسكين بارد ناولتك إياه في غفلة مني.. قتلتني حقًّا يا سامح! ألم أقل لك ليس الجسد المسألة؟؟ اتركها لشأنها كما طلبت منك! صفى؟.. تخبر صفى؟ تكسر بيتي الجديد، الوليد؟؟ كلا لا أريد أن أكسر بيتك! أريد فقط أن أحميها! أن أنفذ لها رغبتها، من أنا؟ ما أنا؟ لست زوجها؟ لست أبَ طفليها؟ لست سكنها ولا معشرها؟ لست ماضيها ولا ذكرياتها؟ أنا؟ أنا تخليت عنها؟؟ لم

facebook.com/the.Boooks

أفطن قبلًا أن هذا ما فهمته عني؟ أنا ضعيف؟ أنا جبان؟.. أجل.. أنا أجبن من أن أكسر بيتك أو بيتي!...
ترك الكوبري وهو يقول لنفسه "آسف يا هَيبت.. مش بإيدي!"

طال الانقطاع، واعتادت "هدير" على جفاء أيام الكلية! اكتشفت أنه من التعاسة الحقيقية أن يعيش المرء من دون وجود وليف في حياته! اكتشفت أنها أضعف مما ظنت! لكن كبرياءها أبى عليها أن تقوم بأي فعل قد يخدشه ويُفجر منه الندم! وكلما رق فؤادها نحو الأيام الخوالي، كلما ذكرت نفسها بخشونته الرجولية الأنانية المبتذلة، وكلما اشتاقت لصوته كلما طافت بخاطرها عيناه و"هايدي" في ذلك اليوم اللعين! كانت تعلم أنه يعمل بجد، ولا وقت لديه في التفكير فيها! تعلم أنه أقدر منها على الصبر وأكثر قسوة على الحب!

"مهدي"! هو ما تحتاجه الآن وبشدة، لم تتصل لتعلم إن كان لديه وقت لها! لأنها ببساطة تريد الجلوس معه بأي شكل ولو لنصف ساعة! تمنت وهي تخبر السكرتيرة أنها تريد لقاءه ألا تسمع كلمة "في مقابلة" أو "في اجتماع"!، ها هي تأذن لها بالدخول حمدًا لله، وفورما خطت نحو مكتبه هالها ما رأت..
"حمزة"! أهي المفاجأة غير المتوقعة أم هو شوق اللقاء عن قرب وبعيدًا عن

facebook.com/the.Boooks

الجامعة؟؟ رحب بها "مهدي" متسائلًا إن كانا على لقاء عنده؟

- لا والله دي فعلًا صدفة!

دافع "حمزة" بمثابرة يدفع عن نفسه هذا الاتهام! وكأن رؤيتها الآن لا تشكل لديه أي فارق! كان يتحاشى النظر نحوها بشكل ملأها غيظًا! وكأن أهم ما لديه الآن هو أن يثبت لمهدي مدى جديته والتزامه، وكأن أمور الحب هذه شأن المراهقين وحدهم! لم تعلم إن كانت ممتنة لهذه المعرفة - حمزة بمهدي - التي تضمن لها رؤيته بعض الشيء، أم هي جاحدة لها لأنها دعته أن يعاملها كشأن متأخر من أولوياته؟؟ في الحقيقة كان "مهدي" قد أجل ميعاده مع "حمزة" أكثر من ثلاث مرات لانشغاله فعليًا وذهنيا مع "هَيبت"! ثم خاف أن يضيع مشروعه مع كثرة التأجيل! سمح له بالقدوم لكنه يفشل في التركيز الذي يستحقه الأمر! لاحظ "مهدي" تباعدهما، أو تباعد "هدير" على وجه التحديد أثناء شرح "حمزة" لبعض اللوحات فوق الطاولة، دعاها لتلقي نظرة على أعمال "حمزة" بصفتها "بشمهندسة"، اقتربت تنظر نحو اللوحة وقد غشي عينيها سواد تام! حاولت أن تتفوه بأي لعثمة فارغة، وهي لا تسمع ولا تعي ما يرد به "مهدي" دون أن يكون لحمزة أي تعليق أو محاورة! دخل عليهم "يونس" وابتسم حين رأى "هدير" بتودد، عرفه "مهدي" على "حمزة" اسمًا وعملًا فقط، ثم استأذن منهما قائلًا وكأنه وجد منقذًا...

facebook.com/the.Booooks

- أهُ الحج بقى هو اللي أنا ما أقدرش أأجله لأي سبب.

تحرك الشابان خارجين، كم كانت "هدير" متوترة ومستاءة! كم ودت لو تصرخ لكن كيف؟ داس زر المصعد دون أن ينظر ناحيتها لا زال، لوحاته بيده في استرخاء كما ترى، لمَ أراد الله هذه الصدفة وهي التي تبحث عمن يطفئ النار، لا عمن يشعلها ويزيدها اضطرامًا، دخلا المصعد وهي تفكر في كيف تثبت له أنه أيضًا لا يعنيها! ليته ينظر لها فيعطيها فرصة التجاهل التي تحظى بها وحدها وتتلظى! بمجرد أن أغلق المصعد بابه سمعته بوضوح رغم انخفاض نبرة صوته:

- وحشتيني...

لم تجبه، ولا يدري لمَ شعر أنه غير قادر حتى على سماع أنفاسها، نظر نحوها، ورأى العينين الحبيبتين تلمعان! لا يمكن أن يتخيل ما فعله بها! ليته يقدر لو يبتلع هاتين الدمعتين من فوق الهدب! اشتعل الجو في لحظة لم تُعد نفسها حيث فتح المصعد بابه، حانت لحظة الفراق، لحظة يغتصبها الزمن! قال سريعًا:

- ممكن تردي على الموبايل؟

- لأ مش ممكن!

facebook.com/the.Boooks

كان ردها هامسًا كسيرًا، فهم منه الكثير! نزلت اللآلي فوق الوجنتين اللتين تخضبتا توًّا! سأل نفسه مرارًا إن كان أوحشها كما هي أوحشته، لولا دموعها تلك لمات كمدًا تلك الليلة، لكنه تأذى دون ريب، كم أن هذا الكيان قادر على قلب كيانه هو! الحب ليس حرام، وهذا أجمل ما في الحلال!

وصلت لبيتها وهي ممسكة بهاتفها تنتظره، هل كان ردها قاتلًا لأي محاولة منه؟ أم أنه فهم أنه لا يتجاوز كبرياء الأنثى؟ دق أخيرًا جرس رسالة، هو! حمزة! أسرعت وفتحتها:

(أنا فكرت كتير في اللي انت قلتيه آخر مرة.. كتير! جزء منه عندك حق فيه! أنا عشان عارفك كويس، كل اللي قدرت أفهمه، إني جرحتك! طبعًا ده مش مبرر لتصرفك، لكن ده حصل بسببي، بس انتي كمان جرحتيني! انت كنت جميلة جدًّا، جدًّا، بس أنا عارف انك جميلة، واللي حصل اني حسيتك مش مكتفية بيه! وعاوزة مع إعجابي إعجاب الناس! والمؤلم اني حسيت حاجة بتاعتي، فجأة بقت من حق غيري! وانا مش قادر أمنعهم عنها! الشعور ده يجرح أي راجل يا هدير، لأ! الراجل مش زي البنت! عارفة ليه، لإن ربنا قال في كتابه "علم الله أنكم ستذكرونهن!"، الراجل فعلًا أضعف! مش عامة طبعًا! انت أكيد فاهماني! وعشان كده أنا بقلك.. أنا آسف! آسف اني جرحتك! ومش هاسمح

facebook.com/the.Boooks

لنفسي بكده تاني)

انكمش جفناها عن دمعات وهي تقبل هاتفها، أين أنت يا حمزة؟ لمَ لا يمكن أن ألقاك الآن؟ لمَ لا يمكن أن تعانق دمعاتي الآن؟ من أجلك يا رب! يا رب اكتبه لي ولا تبعدني عنه! يا رب اكتبه نصيبًا لي في حلالك، فأنت تعلم ما في نفسي من رغبة نقية أود كل الود لو تتوج في نطاق العفة لأجلك يا رب! أجابته بأصابع مرتعشة:

"أنت بعض مني!"

فقدت "هَيبت" أي أمل في "مصطفى" أو غيره.. عليها أن تتخذ القرار الصعب! الكارت الأخير، الحرج، الذي تخشاه كل الخشية.. المواجهة.

أين؟ لن تذهب لبيت "سامح" بالتأكيد، كيف يمكن أن تلقاها والدته؟ بل كيف يمكن أن ترى هي ذلك البيت كالضيفة؟؟؟ طيب في الجامعة؟ كيف؟ ربما يهينها بتجاهله الذي تمقته، وربما تراه مع فتاته على انفراد! أوجعها شيء لدى ذلك الخاطر.. إنه ليس حبًّا أبدًا أو غيرة، إنه كبرياؤها الذي ينزف بغزارة، تشعر بالنزف يكاد يغرقها حتى آذانها.. أين إذن؟ وجدت نفسها في سيارتها تنتظره أمام بيته، عائد طبعًا وليس ذاهبًا.. فما أسهل أن ينال منها ويخبرها

facebook.com/the.Boooks

أنه مشغول تاركًا لها بكل برود، غريب.. كيف لا تذكر من سامح سوى كل سوء، كأنه لم يمسسها لمسة حب أبدًا من قبل؟ ها هو يقترب بسيارته، رآها حتمًا، أوقف سيارته، بالطبع لن تنتظره وإلا تظاهر أنها وكأن لم تكن أمامه منذ ثوان، ما الذي تفعلينه بنفسك يا هَيبت؟ لا يهم! أعرف أنه الطريق الوعر واخترت أن أسلكه وانتهى الأمر، لا محيص.. كي أخلص نفسي وأتحرر! تسرعتُ منذ البداية حينما حادثته قبل أن أملك ورقة الطلاق بيدي!

نزلت بخطوات رصينة متجهة نحوه، تحرك ساعده الكبير كي يفتح بابها، لكنها أصرت وتكلمت من الشباك أولًا تسأله إن كان لديه بعض الوقت؟ أجابها بعلياء فجّةّ عن كم من الوقت تعني؟ هاهو "سامح" يستمتع بإذلالها من أول دقيقة! "مش كتير"، قالت ما خطر على بالها، فبالتأكيد هو كثير، عليها أن تخضع.. مهما زادت هي دقائق على أية حال! "أنا عاوزة أعتذرلك أولًا عن الطريقة اللي كلمتك بيها آخر مرة.. أنا تقريبا كنت مش في وعيي"

- ودلوقتي انت في وعيك؟

نظرت له مستنكرة وطاف حاجباها فوق النظارة الشمس، لكنها انضبطت مُكرهة، وتابعت:

- ممكن نتكلم بأسلوب سامح دكتور الجامعة، المتحضر ،الهادي، ممكن؟؟

facebook.com/the.Boooks

تنهد "سامح" دون أن ينظر نحوها، عليها أن تحذر من أن يأمل في أي عودة في نفس الوقت! قال حزينًا:

- انت حتى ماهانش عليكي تقوليلي على الحقيقة! لولا عمي ولا كنت عرفت!! ماهانش عليكي تطفي نار راجل مجروح في شرفه!

كم يؤذيها حديثه الخادش الفظ هذا!

- أنا كمان حسيت اني مغدور بيه، انت مش فاهم يعني إيه ست تشوف اللي أنا شفته!

تحول نحوها بجسده العريض لاهثًا:

- طب حتى كنت تديني فرصة أدافع عن نفسي، يمكن لو كنت عرفتي ان...

- سامح! – قاطعته- مش ده موضوعنا، إنت جرحتني وأنا جرحتك وخلاص! انتهينا!

- انتهينا؟؟ - يكره قوتها إذا ما تسلطت – وانت جاية عاوزة إيه دلوقت لما احنا انتهينا؟

- انت عارف أنا عاوزة إيه!

- لا يا مدام! لو انت شايفة إننا انتهينا، أنا، لسا ما شفتش كده!

هدأت، كتمت نفخة، نظرت نحوه "سامح، انت أخدت القرار ده قبلي and u

facebook.com/the.Boooks

"know that

- ورجعت في كلامي! وشايف ان اللي حصل مايستاهلش اننا ننفصل بسببه، احنا عندنا ولاد يا مدام!

- ولما عملت اللي عملته ما كنتش فاكر ان عندنا ولاد؟

- أنا ما عملتش حاجة!

حدته وعنده، دفعاها لتتنهد - طيب يا سامح انت ماعملتش حاجة، وأنا ماعملتش حاجة، بس أنا مش سعيدة، ومش حاسة بالأمان،?Isn't that enough، انت ليه بتحب دايمًا تضغط عليه لغاية ما أنهار في إيدك؟

بدأت تدمع، ليس حقيقة، لكن لتضغط عليه، إن كان ما يرضيه كل الرضى أن يشعر بهزيمتها وضعفها، فليكن!

- هَيبت!...

باكية - أنا تعبانة يا سامح، تعبانة، وكل ما أشوفك بتتلذذ وانت شايفني كده بتصعب عليَّه نفسي أكتر! أنا ما أستاهلش كده منك يا سامح، أنا كنت زوجة كويسة وأم كويسة!

هدأت نبرته - أديكي قلتيها، عاوزاني ليه أفرط في زوجة وأم كويسة وأهد بيتي بسبب.. نزوة.. غبية، انتهت خلاص!

- مش كل الجروح، مش كل الجروح ممكن تتداوى، فيه جروح بتتسبب في

facebook.com/the.Boooks

البتر!

- وفيه بتر بيتأجل وجرحه يطيب، صدقيني، صدقيني يا هَيبت أنا مش بعند معاكي زي ما انت فاكرة، أنا مش عاوز أفرط فيكي!

- وما فكرتش أنا عاوزة إيه؟ ما فكرتش كل اللي حصل خلاني حاسة بإيه؟

- أنا شايف انك لازم تسامحيني، شايف ان بيتنا يستحمل الهزة دي!

- برده؟ أنا، أنا، طب وأنا؟

- انت فوق راسي، وانت عارفة، بلاش عند يا هَيبت!

- عند؟ بقى قبولي كل اللي فات ده وبدون ما يكونلي طلب ولا حتى رد اعتبار، بتسميه كده؟

- مه ده اللي هايجنني! كإنك، كإنك صدقتي ما لقيتيها!

- مش كده يا سامح! أنا مجروحة ولسا بنزف، كل اللي حصل مش شوية، حط نفسك مكاني!

- مه عشان كده أنا مش عاوز أطاوعك.. انت لسا مجروحة وبكرة تروقي.

- وانت برده اللي شايف كده؟

دموعها الحزينة وانكسار صوتها يحيلان تعقله لتشتت كامل! قال:

- أعمل إيه يا هَيبت عشان تسامحيني؟ أعمل إيه عشان تفهمي اني أستاهل

facebook.com/the.Boooks

منك فرصة تانية؟

- لو فعلًا عاوز كده – أخذت نفسًا متكسرًا – تديني فرصة الاختيار! مش تطلب مني السماح وانت رابطني بسلاسل!

خلعت نظارتها ونظرت إليه باستعطاف، قالت بهمس:

- أرجوك.. ماتخلينيش أفقد صوابي!

رفع حاجبيه مستنكرًا - تفقدي صوابك؟ هاتعملي إيه يعني؟ هاترفعي قضية خلع؟

- إيه اللي انت بتقوله ده!! يا سامح انت أبو أولادي، وفيه بينا عشرة، دي آخر حاجة أنا ممكن أفكر فيها! لأ! ده حتى مش Option أصلًا! لإن احنا فيه بينا احترام!! أنا أقصد.. –هاجمتها غصة – أقصد ماتخلينيش أترجاك أكتر من كده...

حينما رأت تقلص حاجبيه، كانت قد هانت عليها نفسها كثيرًا بالفعل من هذا اللقاء، فأمسكت منديلًا تعالج به دموعها المستمرة وأنفها، تنهد بصوت مسموع وأجابها:

- يعني هو احنا لازم نكسر اللعبة كلها وبعدين نركبها؟!

- أحيانًا.. المريض قلبه بيقف تمامًا قبل ما ترجعله الحياة ويتنفس تاني.

facebook.com/the.Boooks

- والولاد؟

- انت عارفني كويس، ولادك كأنهم معاك، في أي وقت تحب تجيلهم أو تاخدهم just tell

عض على شفتيه - يعني مافيش فايدة!

- أنا اترجيتك.. وماعنديش أكتر من كده!

خلع المفتاح من مكانه فأطفأ المحرك، ونظر أمامه قائلًا - خلاص يا هَيبت...

شكرته، ابتلعت ريقها، وتنهدت، ونزلت عازمة ألا تطمئن لشيء حتى تمسك ورقتها بيدها.

facebook.com/the.Boooks

(٨)

تجري الأحداث أسرع مما ظن "مهدي"! طلاق "هَيبت"، وعلم أبيها بحقيقة علاقتهما! ورفضه الشديد لهذه الحقيقة، وظغطه المتواصل لحماية بيتها الذي سينهدم بين لحظة وأخرى دون سبب! وإصرار أخته الفولاذي على عدم الرجوع، حسم أمره وتوجه دفعة واحدة إليه، "رفعت فخري"، غريم أبيه، حاول أن ينزع من رأسه تمامًا الخاطرة اللعينة التي تعيده للصفر! أنه أخذ أمه! لأنه ببساطة.. أمه قد ماتت، أما "هَيبت" فهي على قيد الحياة وتحتاجه!

فاجأه "مهدي" بلقاء لن يفكر طويلًا قبل أن يقبله آسفًا! دخل مكتبه في هدوء باطنه الإعصار، ولاحظ لتوِّه شيئًا غريبًا! ثلج شاهق فوق العينين العسليتين!! سأله "رفعت" بكل هدوء عن والده وأحواله!! ضايفه بالقهوة وكأنهما بصدد الخوض في تفاصيل رحلة! تمنى "مهدي" دون قصد لو يستطيع أن يرى هذا الرجل مكسورًا! وبيده هو! أخذته تلك الرغبة بعيدًا عن أخته فينًا، وقريبا من أبيه أفنانًا، يكاد التعالي يكسره، سحقًا له! سأله "رفعت" ببرود:

- انت جي ليه؟ عاوز إيه؟؟

صدمه هذا الاكتراث المهترئ الذي لا يكاد يُبين! إذن فهو يتوقع لقاءه وهو لا يهتم!

facebook.com/the.Boooks

- هَيبت مش هاترجع لجوزها! وإذا لزمت هاجيبها تعيش معايا هيه والولاد، وهاقف معاها في المحكمة عشان تاخد ولادها، وأكتر من كده!"

انكمشت أسارير الرجل، واسودت بشرته البيضاء في ترقب مختلط بالسخط!

- إنت مين سمحلك تدخل في حياتنا بالشكل ده؟ انت مين أساسًا؟؟

- أخوها! – قالها واقفًا في تحد أبرمه مع عين ثاقبة! – أخوها ومش هاتخلى عنها! وهاحميها من سيادتك ومن أي مخلوق!

- أنا؟ انت تحمي بنتي مني أنا!

- لو هاتضغط عليها وتستغل عاطفتها عشان تعمل أي شيء ضد إرادتها هاحميها، وصدقني، أنا أقدر أحميها كويس!

من هذا؟ وماذا يقول؟ وكيف أثر هكذا على الفتاة؟ ابنته، حبيبته؟؟ وأين كان غائبًا حينما نمت العلاقة بينهما هكذا؟

- طب اسمع بقى! هَيبت بنتي! ومالهاش غيري في الدنيا! ومش هاسمح لبيتها انه يتهد، ولا هاخليها تحت رحمة واحد زيك من بعدي، انت إيه؟ عايز تخرب بيتها؟ ده أنا أدهسك برجلي انت فاهم؟؟

- سيادتك ماتقدرش تعمل حاجة! هيه ما صدقت لقتني، وعاوزاني جمبها! ومش قادرة تستحمل ضغطك عليها، أنا مش فاهم.. ليه تجبرها ترجع لإنسان ماصانهاش، وكمان خوِّنها عند أول مطب، وحضرته طلقها ورجع في كلامه,

facebook.com/the.Boooks

زي ما تكون لعبة في إيده...

- بس! كفاية! كفاية! – وصل توتر رفعت مداه، أخذ أنفاسه المتلاحقات – الظاهر انك صدقت نفسك زيادة عن اللزوم! ودخلت بصدرك في اللي مالكش مكان فيه، أحب أقلك يا بشمهندس.. ان هَيبت مش أختك!

تنهد مهدي بنفاذ صبر...

- يا رفعت بيه! أنا بحاول أتمالك أعصابي معاك، فياريت تساعدني! وده مش عشانك، ده عشانها!

- بقلك هَيبت مش أختك! والورق اللي معاكم ده كله عندي، ومش صحيح! – قبل أن يتكلم مهدي – أنا عارف انه مش مزور، لكنه مش صحيح!

- يعني إيه اللي انت بتقوله ده؟

حرر "مهدي" رابطة عنقه وهو يقود سيارته السوداء الواسعة، فجأة بدت له ضيقة لا يكاد يفرد ساقيه فيها! ظل يتذكر كلمات "رفعت فخري"، لم يكن مضطرًا أبدًا أن يفشي سره، لكن ما أحب البشر لكسر قيد السر ولفظ استعباده!! راح يتخيل القصة التي رواها له، وقت أن كان شابًّا لا استعداد لديه ولا رغبة قط في قيد الزواج! يحب فقط لو يعيش حرًّا طليقًا يقطف رحيق

facebook.com/the.Boooks

كل أزهار الكون..

معقول؟ معقول "هَيبت" ليست أخته؟ لا يكاد يصدق! تلك ال (الهانم بنت الباشا)، ابنة بنت السائق؟! تخيل "رفعت" شابًّا خائفًا واقفًا في ذهول يرى من والده غضبًا يستطير! ويندفع الدم في عروق والده التركية الغضبى، وبعصبيته المخيفة يخبره أن تلك الورطة أثمرت طفلًا يحمل دماءهم، وأنه منذ هذه اللحظة "أب"! ويجب الآن البحث عن "أم" مناسبة، اجتماعيًّا وخلقيًّا كي تقبل بوضع اسمها في خانة مزورة!

جز "مهدي" على ضروسه غاضبًا.. كان والد "نوال" موظفًا كبيرًا عند صديق "رفعت"، توفي الوالد وبقيت هي وحيدة، مطلقة ضائعة، تبحث عن وسيلة لتسافر بها للخارج دون عودة! وقع الاختيار عليها وكم كان موفقًا، فقد كانت ألعن منه لا تحب القيد، سافرا على أن يفترقا هناك، لكنه وفر لها ما رغبته، فبقيت مع الطفلة حتى ماتت! عمرها قصير ومليء.

جرس هاتفه لا يكاد ينطفئ، "هَيبت" على الخط تريد رؤيته، لم يستوعب بعد! فيما دخلت حياته وفيما تحاول الخروج الآن؟ حاول عقله أن يتقد في تيه تام لأي جذوة توقده! تذكر كلمات أبيها:

"لو بتعزها صحيح، ماتقولهاش سر ممكن يكسر قلبها، وابعد عنها في هدوء،

facebook.com/the.Boooks

وسيبها ترجع لبيتها"

وصل إلى شقته بالمعادي وكانت في انتظاره، قالت:

- أنا خلاص شفت شقة كويسة واتفقت عليها، ومن بكرة هروح مع المحامي عشان نسجل.

- كده؟ من غير ما تقوليلي ولا تاخدي رأيي؟ -تراجع لدى نظرتها المندهشة - هو انا كنت اشتكيتلك؟

- أكيد مش هافضل هنا على طول يا مهدي! دي شقتك، وانا لازم اعتمد على نفسي، -نظر مهدي لامرأة سوداء تخرج من الداخل- دي الـNanny الجديدة وصلت النهاردة الصبح.

- واضح انك سويتي كل أمورك لوحدك! طب طلبتيني ليه بقى؟

لمحت حزنًا عميقًا في عينيه، اتجهت نحوه بود ومررت أصابعها على خصلات ما فوق أذنه...

- أنا ماقدرش استغنى عنك يا مهدي، بس انت برده ليك حياتك، وانا مش عاوزة أهزلك الدنيا.

تحركت من أمامه تكمل لملمة حاجياتها، ولم تشعر بتنهده وهو يسأل نفسه عن رد فعلها لو علمت! تابعت حديثها إليه:

facebook.com/the.Boooks

- وأنا كمان مش عايزة أعيش في دور اللي باظت حياتها، لازم أقف على رجلي وأبدأ حياتي.

جلست ودعته للجلوس معها كي تخبره بآخر ما وصل إليه المحامي في شأن "سامح"، كانت ترتشف الشاي الساخن، وتلملم الروب حولها كل دقيقة من فرط شعورها بالبرد، أهو برد جسماني أم نفسي؟ تسند قدميها المخفيتين داخل (Pantofle) فوق الطاولة، وفوقهما بنطال البيجامة الـ(Karo)الذي ساهم في تصغير سنها في تلك اللحظة:

- انت متأكدة يا هَيبت انك مش عاوزة الراجل ده تاني في حياتك؟ أبو أولادك؟

تعكرت ملامحها فيما يشبه الغضب، ثم ولت عينيها عنه - مش فاهمة؟

- أقصد... يعني الموضوع كله مش مبني على حاجة مؤكدة! انت مش متأكدة انه خانك، هو جرحك آه بس الجرح شيء ممكن يُغتفر – نظرت إليه – وهو برده، معذور في رد فعله السريع لما فهم انك بترديله الألم، وفي الواقع انت ماعملتيش حاجة برده! يعني كل دي من بعيد كده ممكن تبقى محنة بيمر بيها أي بيت، وممكن تنتهي من غير هدم البيت ده؟

- بالعكس بقى! الفترة اللي فاتت خالتني أبص على حجات كتير كنت شايفاها لكن مش مركزة فيها، أو مش عايزة أصدقها! –أغمضت لوهلة في

facebook.com/the.Boooks

أسى -أنانية مطلقة! مش مهم أنا مش مهم مشاعري، بيكسر مقاديفي وبس! أنا كنت عايشه في حرب نفسية.. Continuously! قد إيه كان يحاول يراجعني in every tiny issue، وكان أوقات يشككني في نفسي! معقول am not that good زي ما أنا فاكرة؟ وياه! ياه لو غلطت... لوم لوم لوم، بشكل يخنق، مع إني ماكنتش كده والله، seriously يا مهدي كنت أتغاضى عن غلطه عشان ما أحرجوش، وأحب أحسسه انه راجل قدامي، ولما لقيت مسألة اعتذاري ليه دي that important عنده، كنت اعتذر حتى وانا مش مقتنعة! أنا غلطت في حق نفسي كتير، وكفاية لحد كده.

تنهد "مهدي" وزم شفتيه، بدا صوته أكثر دفئًا حينما تكلم:

- طب مش شايفة ان أكيد في ظرف زي اللي حصل بينكم ده، طبيعي ان الشيطان يهيألك حجات... يعني يفكرك بعيوبه وينسيكي مميزاته؟

- أنا فاكرة مميزاته كويس على فكرة، فعلًا فيه مميزات... وللحظة دي هو حلم ستات كتير، !But this is not the issue، السؤال هو، هل لازم الزوج يبقى بيكويني بالنار عشان أفكر اننا لازم ننفصل؟ هل لازم يكون ليه عشيقات عشان يبقى ليه الحق ده؟ !the right answer is no لا يامهدي مش لازم، مادام إحنا فشلنا نتعايش مع بعض ونفهم بعض يبقى لأ! مدام لسا العمر

facebook.com/the.Boooks

قدامنا وطموحي مش زي طموحه ولا عاجبه اللي بعمله في أي حاجة يبقى لأ! ليه مانكونش صريحين مع نفسنا ونعرف إنه لأ! ليه نختار نعيش وخلاص مدام ينفع نعيش بشكل معين وهدف معين! يمكن واحدة غيري ماتقدرش! يمكن أهلها مايتفهموش ده! يمكن تكون محتاجه له Financially، أو حتى Physically، إنما أنا أقدر... فاهمني يا مهدي؟ انت ساكت ليه؟

- انت شجاعة قوي... بس أنا خايف يكون الكلام سهل، ماتنسيش ان فيه بينكم قصة حب قديمة، حسب كلامك يعني!

ضاقت عيناها - انت اتصلت بيه ولا إيه؟

- لا، أنا اتصلت بوالدك الحقيقة.

- ليه بس كده يا مهدي؟ أنا ماكنتش عاوزة بابا يعرف to what extent إحنا قريبين من بعض! عشان مايفتكرش انك بتقويني عليه أو ممكن تاخدني منه ومن بيتي، مانت عارف احنا متعلقين ببعض ازاي! بعدين بابا شرقي جدًّا في الحتة دي وبيحب سامح، شفت أه قلبك عليه! وانت الراجل الوحيد اللي وقف جمبي، ومن غير ما يضغط عليه، ومن غير ما ينتظر مقابل، أنا سعيدة بوجودك في حياتي – ابتسمت في حيرة - يمكن لو ماكنتش هنا ماكنتش أخدت الـ Decision ده بالقوة دي! –لم تفهم عينيه! - طبعًا أنا عارفة اني مش بمثّلك نفس الحاجة لكن...

facebook.com/the.Boooks

- بالعكس!

نظرت لعينيه، رأت فيهما كلمات لم تفهم كنهها أو تدرك قراءتها ، سيل من الكلمات يفيض دون أن تدرك هذه الحالة من الوجد التي اجترفته، سألت - بجد يا مهدي؟

- أنا مش شاطر قوي في الكلام، بس كل اللي أقدر أقولهولك ان حياتي بقالها طعم من ساعة ما دخلتي فيها !

- أنا بحبك قوي... حقيقي!

اهتز كيانه! نظر لصفاء عينيها في هذه اللحظة، منذ دقائق كانت قوية نافذة كالسيف، تبدو الآن طفلة شفافة تبحث عن حضن ما ، تابعت:

- أنا بجد مدينة لماما الله يرحمها على المعروف اللي عملته فيه بيك، ونسيت كل اللي ياما حاولت أنساه.

- تقصدي إيه؟

ابتسمت وهي تدفئ أصابعها حول المج الساخن واسترسلت:

- قد إيه طبعها كان غريب، موضوع الأمومة ده ماكانش issue في حياتها ، يمكن انا اللي كنت so sensitive وعاوزة حنان أكتر؟ مش عارفة! بس مثلًا، عمري ما أفتكر انها حضنتني جامد كده، أو باستني بحب، كان معادها مع

facebook.com/the.Boooks

الكوافير أهم من معادها في الـparents meeting بتاع المدرسة بكتير! طبعًا أنا مش عاوزاك تضايق منها أكتر، بس كنت عايزاك تعرف ان وجودنا جمب بعض أهم من كل اللي فات.

قال مهدي في نفسه "هل يصدق أباها إذن؟". تأخر الوقت وكان عليه الانصراف، سألته أن يتبعها كي يودع طفليها النائمين قبل أن تنام المربية بجوارهم، دخل معها الغرفة، رآها تنظر لهما بحب عميق، اقتربت تهمس في أذنه - بذمتك مش سكرتين؟

استنشق رائحة شعرها الزكية، ثم خرج من الغرفة، وودعها على عجل.

لم تغضب "هَيبت" من انشغال "مهدي" المتواصل، أخبرته هذا مرارًا، رغم أنها في غاية الضيق! في الحقيقة آلمها فراقه في هذا الوقت الحرج! لكنها لن تتفوه بذلك، كفاه منها ما لقيه من تعطيل. سافر ليومين ووعدها بالزيارة فور الوصول، أين لا تدري! فللمرء خصوصيته، أليس كذلك؟ استقرت في شقتها الجديدة مع طفليها ويطل عليها والدها يوميًّا محاولًا إرجاعها مرة، ومجالسًا للأطفال مرة. ظلت تتابع عملها عن طريق ال e-mails لمتابعة المربية الجديدة لبعض الوقت. أما "مهدي" فأفكاره مبعثرة، ولايدري ما التصرف الصحيح، قال

facebook.com/the.Boooks

لوالده هكذا بكل بساطة "محتاج أجازة.. لوحدي!"

سكت أبوه برهة، ثم قال دفعة واحدة - انت بتحب على مراتك؟

ذُهل "مهدي" بداية وكأنما تم كشفه! ثم قال متأففًا

- بحب إيه بس يا حج؟ ده كلام؟

- بقالك فترة متغير.. غامض وبتختفي، مش مركز كده! أعراض دخول ست في حياتك! قول يابني، انت عارف ان أنا لك صديق!!

كيف يصدق أن هذه ليست الحكاية! هو نعم الصديق لكن ما حدث هو آخر ما يُحكى له!! الدوامة التي عبرت فوقه فدمغت تعقله وأحالته إلى هذيان محقق لم تترك له الفرصة ليحذر من أبيه وهو به العليم! غاص قلب والده في قدميه، لم يعهد ابنه فاقدًا لأي تركيز! قال في حنان يغلفه الحزم:

- مش هاتلاقي زي مراتك، ست كاملة وتناسبك، وأولادك مسؤولية مش نعمة وبس، تسيء ليهم أو لأمهم بدون وجه حق، تلف الدنيا ويسيئوا ليك!

- يا حج!

- إفهم يا مهدي، خد الأجازة زي مانت عايز بس لوحدك! وعايزك تفكر كويس، هل الإحساس الجديد اللي انت فرحان بيه ومغيرك، يستاهل انك تهد بيتك علشانه؟ ولا لذة وهاتروح لحالها زي اللي قبلها ما راح لحاله؟

facebook.com/the.Boooks

لم يزد ولم يستمع للمزيد! ماذا يقصد ب"اللي قبلها"؟ ذهب وتركه في حيرة أكبر! سافر "مهدي"، لم يهدأ مخه حتى أثناء نومه! لو صدق والدها وهو يراه من الصادقين، إذن فلم تعد أخته؟ هل كان حلمًا جميلًا وانقضى؟ هل كان أصلًا حلمًا جميلًا؟؟ هو بالفعل يشعر بشيء جميل وقد اقتُلع منه اقتلاعًا! وكأنه قلبه الذي اختفى فشعر بالفراغ في صدره، وبالأوردة تصل حيث كان، فتضخ الدم في الفراغ! البُعد؟ لم يعد سهلًا البُعد كي يتخذه قرارًا! ما الخطة للأيام القادمة؟ لا يدري! لم يكن الوصول لشيء بالسهولة التي تخيلها! فورما وصل القاهرة هاتفها، يريد رؤيتها، وصل حيث كانت، وقد أخبرته أن ينتظرها بسبب لقائها لأحد الموردين أثناء انتظارها له. يعرفه! "عصام عادل"، مورد معروف في مجالهم، لكنه شخصية غير مرغوبة وغير مهذبة، ولا يستسيغ هو الاقتراب منه سوى على أضيق حدود المعاملات! رآهما من بعيد، لا يدري ما الذي يستدعي أن تجالسه؟ كل هذا الوقت! على ما تضحك لا يدري؟ بدأ يغضب فعلًا ويهاتفها من جديد بلا توقف، من هذا كي لا تتركه لأجله في التو واللحظة؟ أخيرًا تحركت، خرجت ورأته، اقتربت لسيارته فرحة، رأى هندامها، وشيء بداخله يفور! ويبدو أنها لمحت فورانه، فاستوت ابتسامتها وتلكأت حركتها، ماذا هناك؟ في قلق فكرت وهي ترقب ضمة فكه المريعة! تاييرها الأبيض الكتان ذو التنورة التي يراها قصيرة يزيدها ..، ركبت بجانبه وهي مأخوذة..

facebook.com/the.Boooks

- حمد الله على السلامة، وحشتني!

- الله يسلمك!

- انت ماتوفقتش في سفريتك ولا إيه – لا يجيب – انت زعلان مني في حاجة؟

- كان عايزك في إيه عصام عادل كل ده؟ ايه اللي ممكن يتقال مع الشخص ده كل ده؟

- أبدا! سافر الصين، وخد توكيل catering، وحكالي عن بقيت السفرية!

- وده سبب يخليكي تلطعيني كل ده؟ ولا كإني كنت مسافر؟! مش انت عارفة اني قاعد مستنني؟؟

- هو فاجئني وعزمني على شاي قلت مافيش مانع لحد ما توصل، بعدين كان بيقفل الكلام وانت بترنلي، وبعدين.. أنا ما تأخرتش عشر دقايق على فكرة!

- ممكن أعرف إيه اللي انت لابساه ده؟

نظرت لنفسها بشكل أوتوماتيكي، ثم إليه، لا زال ينظر أمامه، ثم أفصحت عن دهشتها الشديدة:

- من إمته بتعلق على لبسي يا مهدي؟

- مش ملاحظة انه مفتوح حبتين، ومش ملاحظة انك كنت قاعدة مع إنسان حيوان! كلنا عارفين هو بيتصرف مع الستات ازاي؟

facebook.com/the.Boooks

- زي ما قلت كده، هو اللي مش محترم! وأنا قادرة أوقفه عند حده تمامًا لو تطاول، وانت عارف!

- حلو قوي، على أساس ان نظراته دي عادي يعني؟

- مهدي، أنا بشتغل في الـBusiness، وبقابل ناس أشكال، ومش معقول هامشيهم straightly على المسطرة!

- عشان كده المفروض نحترم احنا نفسنا من الأول، وما نديش فرصة لأي مريض إنه...

- مهدي!!

تنهد بعصبية، ضرب المقود بقبضته، أيضًا لم ينظر إليها...

- شكرًا انك جيت تشوفني! وشكرًا على المقابلة الحلوة دي، وطبعًا شكرًا انك شايفني مش محترمة!

سمع باب سيارته يُصفق ورآها من ظهرها تبتعد، وسمعت هي محرك سيارته ذو الصوت العالي كأنه منزعج لانزعاج صاحبه! تحرك "مهدي" نحو المنزل يكاد ينفجر، وهناك وجد ما لم يعد له حسابًا، "شيرين" غاضبة، يعرف ذلك من نظرة الخواء في عينيها، لكنه ومع كل أسف لا دماغ له لشكاوى من نوع "المدرسين في مدرسة البنات أصبحوا مهملين" أو "ملك لا تجد صديقات

facebook.com/the.Boooks

حنونات"، أو "الخادمة حرقت دمي مئة مرة اليوم"، لذلك تعشى معها في سكون ثم اتجه لغرفتهما ليغير ملابسه وينام، يعرف جيدًا كيف يوقفها لو فكرت في فتح حوار رغم عدم سؤاله عما بها، مجرد أن يقول "أنا منهك من الشغل"، حينها ستلتزم الصمت وستعمل جاهدة على توفير سبل الراحة له. لكنها أوقفته بجملة شلت تفكيره تمامًا:

- طيارتك وصلت المطار من ساعتين، أقدر أعرف كنت فين؟

نظر لها مذهولًا متسائلًا بكل هدوء عن منذ متى وهي توجه نحوه هذا السؤال؟

إجابتها كانت أغرب، حقها أن تعلم أين كان زوجها إن لم يكن في العمل!

طاف بذهنه خاطر أن يكون والده قد حاول توعيتها، لكن أباه لا يفعلها، ربما هي أمه "كاميليا"!! فاستعمل سلاحه وأخبرها كم هو مجهد، لكنها بدت مصرة على محاورته:

- صدقيني أنا مش قادر على مشكلاتك البسيطة اللي من نوع البنت الشغالة والولاد وأصحابهم! أرجوكي سيبيني أنام!

- المشكلات دي بسيطة وتافهة لأني أنا خليتهالك كده، وبتصرف دايمًا وببلغك من بعيد، لكن في حالة انك هاتلغينا خالص من حياتك يبقى لأ! أكيد أنا كنت غلطانة.

facebook.com/the.Boooks

- ألغيكم من حياتي؟؟

- إوعى تكون يامهدي فاكرني مش حاسة بيك، انت بتتغير وبتبعد، وأنا قاعدة أقول لنفسي معلش، مه هالك نفسه عشانكم، انت والولاد، اعذريه، ماتضغطيش عليه، لكن الظاهر اني كنت ساذجة زيادة عن اللزوم، والظاهر اني كان لازم أشغلك بينا وأشركك في حياتنا لأنها حياتك برده، لا الشغل ولا اللي غير الشغل هم حياتك، إحنا حياتك!

جلس "مهدي" ووجهه متخذًا وضع الجدية وهو يضم قبضتيه ويستسيغ ما سمعه، نظر لها أخيرًا واقفة لا زالت أمام الدولاب - صح، إنت عندك حق! انت فعلًا غلطتي...

جلست "شيرين" على السرير وشعورها بالاتهام يكاد يدمعها...

- يعني ده جزاتي يا مهدي؟ جزاتي اني كنت بحاول أبقى زوجة مثالية معاك؟ جزاتي اني لا كنت بحب أقلقك بمشاكلنا ولا أزعجك بكشف حساب زي الستات النكديات؟؟

- مين قالك انك كده زوجة مثالية؟ زي ما قلتي، انت بعدتيني فعلًا عن حياتكم ومشاكلكم، وعودتيني إن أهم حاجة في حياتي هيه شغلي من غير ما تشتكي، ماينفعش تيجي دلوقتي وتقوليلي الكلام ده، وبالنسبة لكشف

facebook.com/the.Boooks

الحساب، مش دي المسألة، سؤالك أنا كنت فين وجي منين مش هو اللي هايحسسني بأهميتك، إنما كان لازم تدوري على حاجة مشتركة بينا تلزميني بيها معاكي، وتخليني أرتبط بيكي لوحدي من غير كشف حساب ولا حاجة.

أدركت "شيرين" مدى جديته من هدوءه الغريب، نزلت دموعها من عينيها الكسيرتين الجميلتين..

- يعني أنا ماليش أهمية في حياتك؟

- هو ده اللي انت فهمتيه؟

- مهدي انت فيه واحده في حياتك؟

تنهد بعصبية - جينا للتخريف!

- أمال إيه؟ ازاي بعد كل ده أطلع زوجة فاشلة للدرجة دي في نظرك؟

- أنا ما قلتش كده! أنا بقول ان الزوجة مش بيت مرتب وأكل كويس وأطفال مهتمة بيهم وبس!

- على أساس ان دي حاجة سهلة؟

- لأ مش سهلة! بس مش هي كل حاجة، فيه حجات تانية أهم، أهم بكتير، لأن التقصير فيها نتايجه أسوء بكتير...

أخذت نفس البكاء - يعني انت ما بقتش تحبني؟

facebook.com/the.Boooks

- بحبك يا شيرين! – تنهد بنفاذ صبر – كنت عارف انك صعب تفهميني.

- وكمان صعب أفهمك؟

قام واقفًا - أرجوكي تهدي، من فضلك أنا هانزل أقعد في المكتب شوية.

- استنى يا مهدي!

وقفت واتجهت إليه تواجهه عن قرب بعينين تلمعان...

- انت كمان غلطان – اعتدل في وقفته – أيوه! لإن مافهاش أي حاجة انك كنت تلفت نظري وتقلي! انت عارف اني دايمًا أتمنى أشاركك في أي موضوع، مش انا اللي كنت مشغولة انت اللي كنت مشغول يا بشمهندس! ومع ذلك كان ممكن تقلي أدور على الحاجة المشتركة دي، كان ممكن انت تدور عليها وتقولها لي كنت هنفذ فورًا! نسيت؟ نسيت كلامك ان أحلا حاجة بتحبها فيه شعورك اني طفلة وانت باباها؟ نسيت لما كنت تنفذلي طلباتي بسعادة وانت بتقلي انك مخلف تلاتة مش اتنين؟

أول مرة يواجه زوجته بهذا الوجه! أول مرة لدرجة أنها ولأول مرة تُذكره بأختها "نورا" التي شابهتها في تلك اللحظة كثيرًا وبهذه القسمات المُتنمرة! لكن كلماتها أصابت فيه شيئًا! ظل صامتًا يحملق في عينيها الحزينتين الثائرتين في آن، ثم قال:

facebook.com/the.Boooks

- يبقى إحنا اللي اتنين غلطنا! فعلًا... احنا اللي اتنين اشتركنا في الغلطة دي.

عرفت "هَيبت" أن مكانًا صاخبًا يقطن تحتها، كم هي بحاجة لفعل غير اعتيادي، لمكان غير اعتيادي، لأناس لا تعرفهم ولا يعرفونها، جميعهم غرقى في عالمهم الخاص، مثلها. تتذكر "سامح" هازئة من نفسها، فيما جاء وفيما ذهب؟ وكيف تحولت مشاعرها نحوه لكل هذا الرفض؟؟ تمامًا كما حدث مع سالي! كانت يافعة بما فيه الكفاية حينما تعرف والدها على "سالي" وحينما مثلت هي بكل حرفنة أنها سعيدة بزواجهما، أحبتها بالفعل بعد حين، بعد أن أنجبت لها أختًا صغيرة جميلة، لا تشبهها مطلقًا لكنها حقًّا جميلة! "سالي" الرقيقة، التي تُعنى بها وبمن مثلها من المسلمين والعرب، وتكتب فيما يقدمون للبلدان الأوروبية وفيما يستحقون من تقدير.. ياللسخرية!

تذهب "هَيبت" في سفرتها السنوية إلى مصر بصحبة والدها دون أختها ووالدتها، فقد اعتذرت "سالي"، فسوف تذهب برفقة ابنتها الصغيرة في رحلة إلى بساتين الكرز بمدينة Amersham القريبة، داخل حدود Buckinghamshire، حيث أجمل مواعيد هذه الرحلة في السنة! وحينما

facebook.com/the.Boooks

يعودان، يفاجآن بحفل سوف تقدم فيه أختها رقصة، متى استعدت "قسمت"؟ وتحار الأخت الكبرى وسط التصفيق الحار، أباهما أيضًا يصفق بسعادة، وأثناء انهماكهم في الحفل تختفي المراهقة الوحيدة التعيسة، تهرب بعيدًا عن عالم لا تشعر أنه عالمها، غارقة في تساؤلاتها، لا يشعر بها أحد حتى أقرب الناس إليها، وخلف الكواليس تسمع صوتها، صوتها الهامس يواعد بقرب اللقاء، وضحكتها الخافتة التي تسبق تنهدها الحارق، ثم تراها، تراها بنصف عين، تبتعد عن حضنه بدلال، وتضبط هندامها، تصعق المرأة بها وبهولها، ثم تقول بكل برود "أهلا هيبي، هذا "كريستوفر أوين"، الراقص العظيم الذي علم أختك"

تكاد تُكذب ما سمعت ورأت من برودها وتجاهلها، لكن الرجل ينظر لها نظرة.. لا تنساها أبدًا، ابتسامة ماكرة ملؤها الاحتقار، وتتابع "سالي" حديثها وتعرض عليها أن يُعلمها الرقص، وبينما الفتاة لا تزال في صدمة وذهول وربما خوف، ترفض شاكرة، يجيبها "كريستوفر" باستهزاء:

- لا تصلح لتتعلمها، ليس بمقدور أي أحد أن يتعلم الرقص، خاصة العرب.

كان ذلك اليوم الأسود! يوم طُعنت "هَيبت" في شخص ظنته قريبًا إليها وما هو سوى ببعيد كل البعد، إذن لا علاقة لسالي بالدراسات الإسلامية! بل علها

facebook.com/the.Boooks

تعمل في عكس الاتجاه!! وغرقت في بحر عميق، بماذا تبلغ أباها؟ ما سمعت وما رأت؟ أم تقتله الطعنة التي أنزفتها هي نزيفًا حادًّا تعيش معه بلا أنفاس! وظلت تحلم طول الليل بسالي عارية بين أحضان وحش تضحك، وهي تصرخ فيها أن ترحم والدها! قررت أن تعترف لوالدها، ليس من الصواب أن تصمت، أم يعتقد هذا البغيض "كريستوفر" أنه أخافها! هل هي شجاعة بما يكفي؟؟ تذهب لوالدها، تقتحم سكونه، لا تدري من أين تبدأ.. تبكي، يستقبلها والدها بعناق دافئ وهو يقول:

- أعرف، أعرف يابنتي، سامحيني...

ترتجف بين ذراعيه، ماذا يعرف؟ تسمع اعتذاراته كالأنصال تقطع جلدها، ماذا تقصد؟ يقول سمعتك تحلمين، تبكين، تتأوهين، تصرخين نائمة "لا أريد الرقص"، ظلمناك، لم نرحم سنك ولم نعذر غيرتك، تحاول "هَيبت" صدَّه، لا! ليس هذا ما أعني!! لكنه لا يسمعها، يعاتب نفسه أمامها على تقصيره في حق مشاعرها البريئة، تفهم ألا فرصة لديها ليصدقها! تفهم أن "سالي" أعدت عدتها ورأسه معًا كي تكون هي المذنبة! المراهقة تغار! – تمامًا كما فعل سامح، وأوهم نفسه! - الغيرة تخنق أحلامها، المراهقة تتبلى! تكذب! تلفق الأكاذيب لتنتقم! أرأيت ما يفعله الدم الحار؟؟

facebook.com/the.Boooks

فهمت "هَيبت" كل ذلك، وقررت السكوت! عانقت والدها بقوة، وأخبرته أنها تسامحه، وسكتت عن "سالي" حتى فاجأها المرض، وأخذها السرطان (الميلانوما) في شهرين لا أكثر! وبعدها بسنوات، تعترف لوالدها بغربتها بينهم، وتسكت عن الاعتراف الأكبر! مررتُ بالكثير الذي يجعلني لا أستحق ما فعلته بي يا سامح، وتقول لي "السادات"، عدتُ إلى مصر أفتش عن هويتي؟ أفتش عن جذور أفخر بها كي لا يأكلني جنوني، عدت أبحث عن أصولي وكرامتي، فلم أجدها إلا آنذاك... عبد الناصر، عبد الناصر حرر الجزائر، عبد الناصر كسى الكعبة بأستارها، عبد الناصر بنى برج القاهرة العظيم الذي يسمونه شوكة في عيون أمريكا التي اعتقدت أنها تشتريه! لكن الكرامة الحقيقية أبدًا لا تُشترى! أما عصر السادات... فأي ذل؟ أي هوان يقبل أن يُرفع الجيش عن الحدود! عصر شحاذي الخليج والفاعل! عصر ال(بيبا) والنظارة السوداء، وتقول لي محمر الجبين ها هي چيهان السادات فخورة به، ارتضته ابنة الأكرمين وعرفها العالم بسببه! أكنت تتحدث عنه أم عن نفسك يا سامح؟ ما أبشع الخيانة! كم أنك محظوظ يا أبي، ماتت "سالي" وعاقبها الله بألم دام شهرين، ولم يرض أن يُعرضك لخيبة الأمل!

طلبت الحساب ولملمت أحزانها وهربت إلى بيتها الجديد، الغريب، ليت المكان يُنسيها كما يُنسي الناس... ليته يُمتعها كما يُمتع الناس، ليته دواء كما

facebook.com/the.Boooks

يقولون، إنما هو لها وجع وأي وجع!!

يتذكر "مهدي" جيدًا أن "هَيبت" اختارت شقة فاخرة في بناية فاخرة لكن فوق بار! هذا هو اسمه لا غير! لم يُعلق، ربما شوشه الغضب لتركها شقته! وربما هو لم يتخيل قط أن يجدها تخرج منه يومًا! اجتاحه غضب لم يشعر قط أنه غير مُبرر.. قرر ألا يترك نفسه يستعر وحده، حدثها بشأن مقابلته لها، تعللت بتركها الأولاد فترة طويلة مع الخادمة وحدهم...

- أنا طالعلك دلوقتي حالًا!

امتثلت غير راضية! منذ آخر لقاء وهي تحاول أن تكون سيناريو منطقي لما يدور برأسه من ناحيتها فلا تُصيب، أو هي خائفة أن تكون قد أصابت ما أصابته! انتهت من الزوج الشرقي لتقابل الأخ الشرقي!!

- إيه المكان اللي انت كنت قاعدة فيه ده؟

- مهدي، مش معنى اننا اخوات واني لجأت لك انك تسمح لنفسك تحاسبني على تصرفاتي!

- طبعًا! مه سيادتك عاوزة اللي على مزاجك بس! أخ سند وقوي ولطيف، وخال للأولاد، إنما أفتح بقي بنص كلمة! لا سوري، الهانم ماحدش بيحاسبها

facebook.com/the.Boooks

على تصرفاتها!

- واشمعنى انت؟ - رفعة حاجبها تزيده عصبية – اشمعنى انت تسمح لنفسك تتصرف بمزاجك؟

- أنا عمري ما تصرفت بشكل يفقدني احترامي لنفسي ولا احترام الناس! احنا في مجتمع يا مدام مش عايشين لوحدينا!

- أكيد... المدام لازم تراعي المجتمع! المدام لازم تتحاسب على تصرفاتها، وتنضرب بالنار عند أي شبهة! إنما البيه... – صاحت – البيه يعيش قصة حب جديدة ويمتع نفسه مع المراهقات! يتحاسب؟ عيب! ينضرب بالنار؟ ده راجل! طيب يا سيدي أنا بقلك أنا هاعيش بمزاجي وابقى اضربني بالنار!

اختفت شفتي "مهدي" داخل فمه، شعر بعروقه تكاد تتفجر! اتجه ناحيتها بشكل أخافها، وأمسك مرفقها وجاء ليتكلم فلم يقدر! ظلت ترقب انفعاله في سكوت وتوتر، تحاول إخفاءه بالتحدي، ولا زال يمسك بها...

- شوفي! ساعة الغضب الواحد بيركبه الشيطان.. والكلام ده كلام غضب، صح؟ قولي انه صح!

لمعت عينا "هَيبت" بالدموع في ثوان، أمسكت يده لتفلت نفسها برفق، وارتعشت شفتاها وقد انهدر صوتها وهي تقول:

facebook.com/the.Boooks

- من حقي أحس اني مرغوبة ومحبوبة... من حقي أحس اني ست! وده شيء أبعد ما يكون عن دماغك! كل اللي ممكن تفكر فيه المجتمع، والشبهة! إنما إحساسي اللي هايقتلني كل يوم، كل يوم! مش على بالك خالص، عارف ليه؟ لأني ست... مع الأسف ست! في المجتمع الشرقي الست لازم تموت!

- المجتع الشرقي؟ طب ودينك؟ وأخلاقك؟ نسيتيهم؟؟

- أنا ماعملتش حاجة تجرح ديني! ما تحكمش من غير ما تتأكد.

هدأ وتدفق صوته الآن - يا هيبت الست رمز الحياء، ورمز العفة، - نظرت نحوه

- الست دي كل حاجة في الدنيا، لو كويسة البيت والزوج وكل شيء يبقى كويس، ولو وحشة بيتها بيبقى لعنة على إيديها! إنسي الانجليز اللي كنت معاهم، وخليكي في المصريين اللي انت عايشة وسطيهم - مسح على شعرها

- الست غالية يا هَيبت! وعشان كده العين عليها جامدة، مش عشان هيه ضعيفة لكن عشان غالية، صدقيني...

تأثرت "هَيبت" من كلماته، شقت سبيلًا ضيقًا في نفسها، تمنت لو أن تلك هي الحقيقة! لكنها هزت رأسها وكأنما تنفض تلك الكلمات منها...

- انت عمرك ما هاتحس بيه! وعاوزني أرجع لبيتي وجوزي، بس مش قادر تصارحني بكده! خايف أبقى في رقبتك وتسيب اللي وراك واللي قدامك عشان

facebook.com/the.Boooks

تشوفني رايحة فين وجاية منين!

- غلط! كل ده مش صحيح.. وصدقيني أنا أول واحد مش عاوزك ترجعي لجوزك.. ومقتنع ان اللي مايصنش بيته ما يستحقش يتسامح، واللي مايحافظش على واحده زيك ما يستحقش يعيش!

نظرت هنا إلي عينيه، أحبت صدقه في تلك اللحظة، لكن يغمرها شعور بالتخبط، قال:

- عاوز أقلك على حاجة!

عجبت لتوتره، ونظرت لعينيه عن قرب تسأله عما يقصد:

- قريب... قريب هاقلك! استنيني بكرة، وخدي بالك من نفسك.

جلس "مهدي" متخذًا وضع الجدية، وأنهى حديثه عن "حمزة" سريعًا وعن تطوره في العمل دون أن تلحظ "هدير" أنه يستعد لمفاتحتها في شأن آخر، شاركته الحديث مبدية اهتمامها بكل التفاصيل، ثم رأت منه ارتباكًا يستحثها على سؤاله "مالك يا أبيه؟"

ابتسم "مهدي" في توتر ليُشعل شغفها، وعمد التردد قبل أن يخبرها عن مشكلة يواجهها أحد أصدقائه، ظل يتنهد متظاهرًا بعمق المشكلة، ويشعل فضولها أكثر وأكثر، بين اعتدادها بسبب مشاركته لها وبين حيرة أنه يفعل ذلك

facebook.com/the.Boooks

سقطت أفكارها!

- هو زوج وأب، وكانت الدنيا مستقرة معاه لحد كبير، سنين! وفجأة اكتشف انه ماكانش سعيد ولا حاجة، كان مجرد إنسان متكيف مع حياته، متكيف مع قلة المشاكل الحقيقية، هو ده كويس طبعًا لكن.. مش عارف اشرحلك ازاي!.. لكنه اكتشف ان فيه طعم تاني في الدنيا، طعم جديد، وبالتأكيد جميل جدًّا.. لدرجة.. لدرجة إنه ماكانش متخيل ان فيه حاجة اسمها كده! فاهماني؟

ابتسامة "هدير" كانت ابتسامة بلهاء إلى حد ما، قالت مُستفهمة:

- طيب ده شيء رائع ان الواحد يكتشف السعادة دي، إيه اللي مانعه بالضبط انه يعيشها!

- اللي مانعه، انه، ببساطة.. حسها مع واحدة تانية!

وقعت الصدمة كالصاعقة على "هدير" طيرت تركيزها تمامًا! عرفت منه الفتاة وتأكدت أن طبيعة زوج أختها ليست تلك الطبيعة التي تنجرف بصاحبها حيث هواه دون تفكير! لكنها وبشكل قطعي دب في قلبها كمسمار تأكد أنه الآن يتحدث عن نفسه! إضافة إلى شكوى "شيرين" من آخر حوار بينهما لأمهما وهو ما لا يعلمه "مهدي" ربما! ثارت حاسة الأنثى لديها، وهاجت حاسة الأخوة لتزيد الطين بلة، لاحظ صدمتها، وأخذ يخبرها أنها فتاة وذلك يُصعب عليها

facebook.com/the.Boooks

الحكم، ثم أخذ يعدد المرات اللائي حاول فيها أن يقنع صديقه هذا بالعدول دون جدوى...

- اسمحلي أقلك ان صاحب حضرتك ده أناني!

كان ذلك آخر ما توقعه "مهدي"، ظل يستفهمها عما تعني مهتزًا من ابتسامتها الغريبة تلك!

- شوف يا أبيه، كل واحد في الدنيا حقه يحب، وحقه يحس بالسعادة، بس فيه مفترق طرق بيقف فيه البني آدم، لما يختار، المفروض يكون مسؤول عن اختياره! خاصة لما اختياره ده يكون متضمن ناس تانية معاه.

- كلام جميل جدًا، مثالي جدًا وعلى المسطرة، بس مين قلك ان الشخص ده عاوز يعمل المفروض!

ابتسمت باندهاش - لو ماكانش عاوز يعمل المفروض ما كانش استعان بحضرتك، كان عمل Action على طول، ولو كل الناس فكروا ان هم مش عاوزين يعملوا المفروض الدنيا هاتبوز في دقايق! ربنا قال في كتابه العزيز { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}

كالمعتاد.. تُقلب عليه الشائك من الخواطر.. تُعيده إلى سيرة قلبه الأولى، والتي

facebook.com/the.Boooks

يشعر بكل قوة أنها آخر ما يريده الآن!

- بصي يا هدير، صاحبي ده أصله شخص عادي مش على درجة كويسة من التدين زيك كده، فأرجوكي شوية واقعية.

- والله اللي بقولوا واقعي جدًّا بس صعب، إلا على قوي الإيمان، شخص غريب فعلًا، واضح انه ضعيف ومهتز!

- يا هدير.. ماتظلميهوش – تنهد مفكرًا – هاحاول أقربلك الصورة أكتر، عارفة الحب اللي بنشوفه في السينما؟ أه صاحبي ده ماكانش متخيل انه حقيقي قبل ما يقابل الست دي! عارفة لما تحسي فعلًا انك خلاص ما ينفعش تعيشي من غير ما تشوفي الشخص ده كل يوم، شعور، شعور غير.. غير خالص شعور الزوج المحترم اللي بيحب زوجته عشان اتعود عليها، مش عشان هو فعلًا ما يقدرش يعيش من غيرها!

- هاقول لحضرتك على حاجة انت هاتفهمني فيها كويس، بس بعد ماتفكر، وبعدين ابقى قله.

- هو مين؟.. آه طبعًا! اتفضلي!

- حضرتك مقتنع معايا ان ماحدش بياخد كل حاجة! ودي حقيقة واضحة قوي لو الناس ركزوا فيها كويس مش هاتبقى فيه مشكلة! دلوقتي صاحبك ده ربنا

facebook.com/the.Boooks

أنعم عليه بزوجة صالحة بدليل قلة المشاكل، يعني حياته هادية، وأب، يعني أنعم عليه بزينة الحياة الدنيا، والاستقرار ده شيء صعب قوي! معنى انه بيحاول يضحي بيه انه مش عارف قيمته، وكأنه بيقول لربنا خده مني، فكر كويس يا أبيه، هاتلاقي لو الواحد ضحى بكل ده عشان الحب، ساعتها أكيد هايتحرم من حاجة كبيرة! وأكيد الحب ده هايرخص قوي وقتها! يا أبيه، الشخص التعيس أولى إنه يدور ازاي يشيل التعاسة من حياته، انما اللي مش سعيد سعادة أفلام السينما.. اسمح لي!

أعاد "مهدي" هذه الأفكار على مخيلته مرارًا، طاف بخاطره سريعًا لو أنه اكتشف مرضًا خطيرًا لا قدر الله أودى بحياته المستقرة تلك، أو لو أن شيئًا مس إحدى ابنتيه مجرد مساس! أو حتى لو أن زوجته ماتت لا قدر الله!! كلا لن يكون سعيدًا، أبدًا، كلا لا يريد هذا! لكن.. هل غير ذلك من الأمر في شيء؟؟؟؟.. لا!

ترك "هدير"غير راض! فكر قليلًا، بل كثيرًا! وتأكد من شيء ما، كيف لم يره؟؟ الفتاة الصغيرة الحبيبة تعرف تمامًا أنها تحدثه هو لا صديقه! هل هذا ما تريد يا "مهدي"؟ حتى فتاتك الصغيرة تعريت أمامها؟ زوجتك التي صالحتها لتوقف نزيف رجواتها البكاءة، بينما أنت لا تطيق صوتها الآن؟ ابنتيك! حتى

facebook.com/the.Boooks

زهرتيك اللتين تمر الأيام دون أن تراهما سوى لحظات، نيام أو مبتسمات. ثم تعالى إلى هنا أيها الحبيب، من قال لك أنها الآن تبادلك ولهك؟ منذ متى وأنت تحب الدراما التي دومًا ما مللتها حتى في الأفلام؟ من قال لك أنها تشعر بك أخًا ولن تغير ذلك الشعور مهما حدث!؟؟

facebook.com/the.Boooks

(٩)

- إنتَ فين؟...

- ... في المعادي

- أنا جايه لك!

لكم كانت دهشته.. وفي شقة المعادي؟ في الحقيقة ومنذ أن أخبرها "احنا مش اخوات".. وحينما صُدمت، وألصق بنفسه وبأبيه ما جرى لأبيها هي.. (أن أمه تلك ليست أمه حقيقةً)، وحينما طلبت أن يتركها.. وحينما تأخرت كل هذا الوقت.. أكلته هواجسه، طاف في رأسه ألف خيال، لماذا تسرَّع في تبليغها؟ ربما كانت آخر مرة يراها فيها! عض أصابعه، كان يجب أن يرتوي منها أولًا! ولازمه طويلًا شعور بغبائه، فلمَ توقع أن تقع مثله في شباك هواه؟.. لمَ وقع هو؟؟.. لايدري! تغيَّر؟ أجل.. كثيرًا، لكنه بالتأكيد لا يعني لها سوى أخ، وحولها كثيرون.. لماذا يتصرف كمن غاب عنه النضج؟ لايريد أن يفكر، صدمه ما أدركه من عاطفته نحوها، ولم يستفق من صدمته واستحل الغرق فيها وانتهى!
أخبرها؟ لمَ أخبرها؟؟ ماذا انتظر؟ ماذا يريد الآن؟

صوتها اليوم أفاق مشاعره من غفوة حاقت بها مُكرهة.. استعاده على مسامعه: "إنت فين؟"، كان به رنة ما، أيُخطئ في تفسيرها؟ أيتمنى وتسود

facebook.com/the.Boooks

أمانيه تعقله؟ جلس ينتظرها على الجمر، شقته أصبح لها طعم، هنا أحبت أن تجلس، هنا شربت قهوته، بيديه أعدها لها، هنا قامت برص كتبها الحبيبة، هل يكون قرارها النهائي بترك "سامح" رسالة؟ ممن؟ وما فحواها؟

دق الجرس وقلبه سويًّا، فتح الباب بلهفة مختبئة تحت عينيه الناعستين، وأمام بابه كانت "هَيبت" تقف بهدوء، في معطفها السكري، ووشاح النمر حول عنقها، تملي عينيها منه في مكانته الجديده.. لسعها الجو الذي شحنه توقه إليها لكثير من الوقت! دخلت بخطوات بطيئة، الجو شديد الدفء، خلعت معطفها جانبًا وجلست صامتة، جلس أمامها يريد أن يسمع كلماتها التي لا تقال، غمرته عينيها العسليتين، يتمنى من كل قلبه ألا يكون يخطئ في ترجمتهما، ففي الخطأ الموت الآن، لمَ قابلتني؟ ماذا تريدين قوله لي؟ لو لم يعد مكان لي فلمَ أنت هنا؟ ولو كان هناك.. فأين هو؟ ما هو؟ ظلت تتلقى حيرته أيضًا من عينيه، ماذا علَّها تقول؟ منذ أن أخبرها وهي متخبطة، تائهة، تلوذ بعالمها لتفهم أي رسالة يريد بثها إياها؟ عالمٌ كان جميلًا ومُبتغى في آن بعد أن دخله "مهدي"، عيناه عميقتان، لم تلحظ أبدًا فيما مضى كم أن رجولته تجذب، فكرت طويلًا في مشاعرها غير المبررة.. ظلت غير مبررة! تذكرت غيرته عليها بفرح، وهي التي قتلتها أي غيرة فيما مضى، تذكرت لهفته للقائها كل حين، تذكرت قوته وعناده الصلدين منذ أن جاءت له في مكتبه، وقد أُحيلا

facebook.com/the.Boooks

لضعف معها تشتهيه أنوثتها، تأكدت أنه ينحرف بكيانه نحوها كالمُنزلق! وكم أحبت أن تتلقفه لا تدرى لمَ طال الصمت، لم يبادر ولن، تشم خوفه بتلذذ! ينتظرها بخنوع وضعف غريبين، أصبح للجو كثافة! أصبح هو الآن كطفل، تسري رعشة غريبة في مرفقيه الرابضين على ركبتيه، لمَ تلم شعرها الحبيب؟ أ لتبدو أكثر رقة وصفاء كما هي الآن؟ تنهد، قام أخيرًا ليكسر توتره الذي يلفه سائلًا "قهوة؟"

أجابته برأسها وهي تغمض عينيها التعبتين غمضة هائمة، غاب هناك، تحركت ببطء لتستمع بعض الموسيقى، وكأن الجو في حاجة!! علا صوت الناي من تحت أصابع " بيدرو اوستاش" في مقطوعه رائعة مع "ياني" فغمر سمعيهما، وقفت أمام الشباك، سمعته من خلفها يناولها كوبها الكبير، حينما التفتت له كان قريبًا جدًّا، أمسكت الكوب وهي تنظر إليه في هدوء ووضعته جانبًا، كان في ذروته حينما لمست خده أصابعها الدافئة وهي تقول ناظرة لعينيه "أنا بحبك يا مهدي!"

أمسك تلك اليد ولثمها، دفعها إليه برفق كي يعانقها مغمض العينين، لو يقدر أن يذيبها فتختفي داخل ضلعه من حيث أتت لفعل! أيصدق ما هو فيه؟ أحبته؟ كما أحبها أم أقل؟ أحقًّا؟ ها هو يشعر بها، تشبثها به، وتوقها إليه، جعله

facebook.com/the.Boooks

يصدق دون مراوغة كم هو مُعلق في شباكها من كل صوب، ولن يستطيع الفكاك.. مع أنها ليست حقه! فتح عينيه لدى تلك الوخزة، أمسك كتفيها ليُبعدها برفق، عيناها تعانقانه بكل ذرة، فيهما فج عميق لا مُنتهى له، وفي أصابعه النار تسري، وضعت خدها على كتفه فلامست خصلاتها ذقنه...

- أرجوك ما تسيبنيش!

اشتد عناقه حولها، همس - مش هايحصل! أبدًا!

ظل يغمرها، يشم شعرها بقبلات رفيقات، إلى أين يأخذك "مهدي" يا "مهدي"؟؟.. كم أن الحرام لذيذ؟؟

ابتعد عنها! مسح جبينه بسبابته وإبهامه، زفر همَّه.. ثقيل كالجبال!

شعرت خشيته! أفاقها على نفس حاله.. قالت "أنا لازم أمشي دلوقتي!"

- هَيبت...

نداؤه دافئ، تكاد تسمع صوته من أعماقه يستحلفها أن تبقى، لكنه أخوف من أن تبقى مع هذا! قطعت التردد بالإصرار...

- هاشوفك قريب؟

حرك رأسه بوهن أن (نعم)، تحركت من أمامه مُكرهة، انتشلت حقيبتها ومعطفها، طفلاها يومضان في مخيلتها، سامح، والدها، قسمت، سالي، كل

facebook.com/the.Boooks

من تعرف ولا تحب أن تتعرى أمامه ظهر في مخيلتها فاغرًا فاه، وفي أعماق "مهدي"، أدرك أنها تركته في الوقت المناسب، وكأنما هجره جزء ما في جوفه. نسيت وشاحها.. تنهد، ابتسم، أي طرف منها يُسعده، أمسكه، فركه.. سوف يحتفظ به، وسوف ينتظر مكالمتها له.

دعته لكوب قهوة في شقتها، حيث يوجد الطفلين والمربية، أءمن! لاحظ كيف ارتدت ملابس رسمية، وكيف ارتدت شيئًا آخر.. قناع القوة التي لا يحتملها الآن! لكنه قناع شفاف، يشف ما خلفه من شغف، هو قادر على لمسه! فعيناها التعبتين تكلمه، تفتته، شعرها منساب على كتفيها، يلمع من بين خصاله قرط لؤلؤي، يشع مع ملابسها القشدية الرقيقة...

حائرة "هَيبت"، ولا تقدر على الإخفاء.. تعبت من التفكير والذي لا يُجدي بحال، تحركت شفتاها أخيرًا بوهن :

- أنا ما فكرتش.. أنا.. مالحقتش أفكر في أي حاجة!

حرك رأسه بالإيجاب هامسًا - ولا انا..

همست بدورها - .. وبعدين؟

حرك رأسه نافيًا أنه يعرف، اشتعل الجو مجددًا، بسرعة البرق! لمست أنامله

facebook.com/the.Booooks

خصلات شعرها تزيحه من ذقنها، أمسك يدها وظل ممسكها بكل كفه الكبير، وهو يقول بصوت دافئ:

- أنا خايف.. بجد، خايف ما أقدرش أسيطر! مش معقول.. مش معقول أغلط دلوقت.

نظرت للأرض، فأعاد رفع ذقنها إليه...

- وفي نفس الوقت، عايزك، عايزك جمبي.. وعمري ماكنت عايز حاجة بالشكل ده!

أجل! ها هو يفسر ما تشعره ببساطة مطلقة، عيناه الضيقتين فيهما دفء غريب، غمرها التيه أكثر، قالت حائرة:

- أنا كده ها لخبطلك حياتك...

تنهد، نظر للسقف، ثم إليها بحب - ده انتي ظبطتيها!

- بس أنا، مش عارفة! مش متخيلة.. مش متخيلة اني آخد زوج وأب من بيته! زي الأفلام!

ابتسم لحيرتها البريئة وقد وضع يدها الممسك بها على خده لثوان

- ماتخافيش، أنا مش هاقصر.. مش هي دي المشكلة خالص - استفهمت – المشكلة اسم الأم.. اسم الأم هايمنعنا!

وكأنما استفاقت روحها على صورة قاتلها!

facebook.com/the.Boooks

- إيه؟

- إحنا في نظر القانون.. اخوات!

حدقت في الفراغ تدرك قوله، كيف؟ كيف غاب عنها؟ غاصت غوصًا في دفئه وفقط؟ أعدت حساب حياته دون أن تفكر؟ انكمش حاجباها ثم أغمضت في يأس:

- بس فيه حل!

فتحت عينيها عليه سريعًا، لا زال رائقًا دافئًا، سكت، تمنى أن تقرأ ما يبغي، هو لا يريد أن ينطقها! فهمت ما يرمي إليه، ظلت مشدوهة، أرجعت رأسها للوراء وأفلتت يدها من يده، يشفق على ألمها، لكنه لا يقدر على البعد. قال لها ذلك، قال أنهما لن يقدرا على البعد، قال أنهما وجدا بعضهما البعض، قال أن طلاقها أكبر إشارة على تيسير الأمر لهما، قال أن قصتهما لابد وكان لها هدف من البداية.. فيما اقتربا بعد الحرب، وفيما يفترقان بعد الحب؟؟ قبل يدها، تحرك تلك المرة من أمامها، رمى الكرة في ملعبها، وأخبرها أنه سينتظر استعدادها ليجتمعا في الحلال.

طار "مهدي" فرحًا إذ لم يطل الوقت حتى حان اللقاء، أصبح لا يرى ولا يعي

facebook.com/the.Boooks

ولا ينصت إلا لصوت سعيد بداخله، يناديه، يحثه على الغوص فيما هو فيه، قال لها حينما هاتفته أنه في شقة المعادي:

- أنا مستنيكي.

كان قد فكر، لا لم يفكر، بل فكر! سيسألها عن الحل؟ ستتلعثم، سيأكد لها أن من حقهما ألا يُحرما من بعضهما البعض، تنفس بقوة، ما الشيء غير المرئي الذي يرتشفه فيمده بكل تلك السعادة؟؟ لكنها كسرت فرحته العارمة وأحالتها رمادًا حينما اتصلت:

- أنا تحت، ومش هاينفع أطلع!

تنهد، زفر خيبته قائلًا - أنا نازلك.

ركب جوارها في حالة من البؤس، ورغم ذلك سعد لرؤيتها، سعد لقربها، سألها عن سبب رفضها الطلوع، سألها عما لها، يرش صوته الدافئ فوق مسامعها المرهفة، يزف رغبته القوية ونشوته بها لها، أحبت ما سمعت، لكنها لا زالت تحرك رأسها يمنة ويسرة، قالت:

- مهدي .. أنا ماقدرش أعيش في الضلمة!

زم شفتيه ونظر أمامه، مسح وجهه بيد واحدة استقرت في فمه، أمسكت تلك اليد التي يعضها لتخرجها من فمه، تابعت:

facebook.com/the.Boooks

- احتياجي ليك في حياتي، واحتياجك ليه.. أكبر بكتير من ورقة مالهاش معنى تتكتب وتتحط في درج!

زاد الحزن في عينيه، قال:

- فهمت.. لازم نبعد عن بعض!

- إوعى تقول كده – نظرت إلى يديها حيث كان خاتم الزواج - لكن، مش معنى كده إني أفكر في إطار الحلال وبس!

ضربت قبضته التابلو وهو يدوس على ضرسه، هذا ما تعلمه طيلة عمره، الحلال قبل أي شيء!

- إفهمني يا مهدي..أنا اللي عاوزاه مش مجرد Permission قدام ربنا عشان نتقابل لوحدنا! -التفت ناحيتها ومن عينيه الرصاص!- دي هاتبقى الحقيقة ساعتها! هيه دي حياة الورقة يا مهدي، قول عليَّ طماعة، قول عقلانية، whar ever! بس لو قررنا نفضل مع بعض فده لازم يكون بشكل صح، لا انت ولا انا نخجل منه ونحاول نخبيه.

- انت عارفة ده معناه إيه؟!

- أنا احتياجي ليك أعظم منك! – خرقه صدق عينيها – بس مش كده! مش عايزة نندم بعدين، أنا لما حبيتك، حبيت وجودك الحي في حياتي وظروفي،

facebook.com/the.Boooks

مش وجودك الميت! وانت كمان، وانت كمان لما حبيتني، كان وجودي حي في حياتك، تقدر تقلي هانكمل عطاء لبعض ازاي بين أربع حيطان؟

- يعني إيه؟ - تحركت شفاهه مصدومًا – كان حلم حلو.. حلمناه واحنا مش من حقنا نحلم؟؟

سمع صوت دمعات تقول

- هو فيه حد مش من حقه يحلم؟ مهدي، أنا مش عاوزاك تخرج بره حياتي! ده كل اللي أنا عايزاه.

- إزاي؟

- مش عارفة!

تستجديه عيناها، وفي قسماته الأسى، كتمت فمها الباكي بقبضة يدها، ربت على كتفها القريب، كلماتها شقَّت كيانه أجزاءً، وعدها أنه لن يتركها، خرج من جانبها وأغلق بابه، وظل يرقبها وهي تتوارى، صعد شقته.

كيف لمثلهما أن يتصرفا؟ لماذا أراد الله أن يُقحمهما في هذا المأزق؟ لابد من مفترق طرق؟؟ صح؟ خطأ؟ حرام؟ حلال؟ كفى! أُنهكت دماغه بما فيه الكفاية، ماذا.. يمكن أن يحدث.. لو فقط.. يكف المرء عن البحث المضني خلف كل ما يريد؟ ماذا.. ماذا لو ترك لرغبة واحدة فقط نفسه؟

facebook.com/the.Boooks

رأت عيناه رجلًا عجوزًا، يعرفه حقًّا، جده، يفعل مثلها، يحرك رأسه يمنة ويسرة في عدم رضى! لماذا؟ لماذا يا جدي لا ترضى؟ لماذا الله لا يرضى؟؟ أريدها وتريدني ويهمنا أن ترضى، ولن نؤذي أحدًا! كلا لا أحتمل تخيل حياتي بدونها! كلا لن أعصيك يا رب! أفي الكتمان معصية وأنا لا أدري؟ أأدري وأتظلم مُحتجًّا بأني لا أدري؟ الورقة ليست حلال؟ كيف إذن يمكنهما الخروج من هذا المأزق؟ إن كانت الورقة حرام فهي أفضل الحرام؟؟ أفي الحرام أفضل يا مهدي؟؟؟ يا رب تعبت! يصعب كثيرًا ما يرضيك، تمنعني الفاكهة بينما تجوعني وترمي بها على حجري! تحرمني تذوق سواها، وتظل تجوعني حتى جف بدني! جد لي حلًّا إذن! دُلني على السبيل!!

ارتمى على أريكته، ولم يشعر بالعالم من حوله...

انزاح جفناه عن عينيه في تثاقل، رأى السقف، تذكر أين يكون.. شقة المعادي.. لقد طلَّ الصبح! لابد أن حريقًا داهمًا اشتعل بالأمس، وهو بالأحرى لا زال مشتعلًا، في منزله الآن.. قلقًا عليه!

قام جالسًا فوق الأريكة، أغرق العرق ظهر قميصه، شعور بالغثيان.. مختلط بالألم والتيه! أمسكت رأسَه كفاه.. رأسه مليء بشظايا حلم، تخزها باستمرار،

facebook.com/the.Boooks

يود لو ينجح في تجميعها والوصول إليه.. لكن كيف؟ كيف له أن يحلم بالتفاحة؟؟ كيف له أن يتمنى فقط لو يقضمها؟؟ قصة آدم تُعاد من جديد..

من تنبأ للخيال بهذه الدائرة الداهمة المبرحة؟ أن يتحولا كل هذه التحولات التي يرفضها التصديق! وينتهيا إلى هنا، حيث البقعة المجهولة الصماء!!

نظر بغتة نحو الطاولة، وشاحها الحريري، قام بصعوبة متحركًا إليه، مسدته أصابعه، التقمته تقربه من أنفه، اجتاح عطرها كل مراكز حسه، لا حق له فيما يزيد!! تخبره نفسه بذلك وتسأله "أتنسى الحق يا صاحب الحقوق؟"، اعتصر الوشاح فكأنما أدماه، ألقاه أرضًا في يأس.. حلمه عصيٌّ على الموت.. وعصيٌّ على الحياة!!!

facebook.com/the.Boooks

(١٠)

قالت لها أمها كلمة تزن لديها ألف كلمة "ربنا بيحبك يا هدير"، معقول؟ ليتها تعلم الغيب فتطمئنها بحب ربها لها، فكم هي تحبه وتشكره ليل نهار، تتذكر جيدًا أن الله حينما كتب الترقية لوالدها قبل دخولها للثانوية لتدخل الجامعة بمستوى آخر أفضل بكثير من أختيها كان قد اصطفاها، تتذكر أنه حينما حباها "مهدي" أخًا أكبر يغمرها باهتمامه وعطفه كان قد اصطفاها، تتذكر أنه حينما هداها إليه لترى في كل فعل تفعله لأجله رضى وقناعة في نفسها كان قد اصطفاها أيضًا! ومن أكبر الأشياء.. "حمزة"، بالتأكيد حينما اختاره الله لها فقد اصطفاها وبكل تأكيد، تنظر حولها لتعد كم فتاة أنعم الله عليها بالحب والتوافق فلا تجد! فعلًا أحبته، هاتفها مؤخرًا وصوته خفيض يشوبه الحذر.. قال باختصار:

- فيه موضوع مهم كده.. عاوز أبلغك بيه ومتردد..

هي أيضًا صديقته، وشريكة أفكاره - عارفة! موضوع النزول المنتشر عال face book؟

- ماتخلينيش أندم اني قلتلك!

- بالعكس! أنا فخورة بيك يا حمزة! – كتمت قلقها – ربنا معاكم.

ابتسم، كان يعانق الهاتف بين صدغه وكتفه.. فهذا أقصى ما يمكنه!

facebook.com/the.Boooks

ليته يقدر على المزيد، حدثها عن والدته، تلك المرأة الشجاعة المنقطعة النظير والتي شجعته، وقالت له كما أخبرها "هاتولنا الكرامة"، بالتأكيد قلبها أيضًا ينفرط على ولدها، كيف تُلجم مشاعرها يا ترى؟ في ليلة الخامس والعشرين من يناير، قامت "هدير" لتصلي ركعتين، النوم يجافيها، القلق يمزقها، كيف لا تقلق عليه وهي تعلم ما يحدث للشباب في مثل ذلك؟ كلا! لابد أن تتسلح بالإيمان، فالإيمان يُثبت.

وحين حلَّ مساء الأربعاء دون أن يجيبها أوشكت أن تنهار! كتمت دمعاتها لئلا يقول أنها ضعيفة ولا تحتمل الموقف لو أجاب، تعلم بقدوم جمعة الغضب بعد غد، ولا تعرف كيف هو أو ماذا ينوي، وأخيرًا أجابها الخميس، طمأنها وأخبرها ببعض النوايا، ثم تلكأ يريد أن يبدأ حديثا آخر.. ليس أقل أهمية في نظره!

- هدير.. فيه حاجة مهمة.. كنت عاوز أقلك عليها.. بس..
- قول يا حمزة قول!
- العمر واحد والرب واحد.. بس ماحدش عارف إيه اللي ممكن يحصل بكرة!
- حمزة.. بعد الشر عليك.
- أنا آسف، بس.. إحساسي اني ممكن ماشوفكيش تاني..
- حمزة!

facebook.com/the.Boooks

- أنا بحبك.. بحبك قوي.. ونفسي تبقي مراتي في الجنة.

لم يسمعها، لم يسمع دموعها ولا شهقتها المكتومة، لا تدري أفرحة عارمة أم قلق عارم؟ سمعت صوته الحبيب:

- أنا عارف، عارف إن مش من حقي آكل فاكهة مش بتاعتي، أنا بس بحلم.. وعارف ان مش من حقي أسمعها منك، ويمكن تخطيت حدودي غصب عني و...

- وانا كمان – سكت – وانا كمان بحبك يا حمزة!

أغمض "حمزة" عينيه وهو يبتلع ريقه على مهل، قال هامسًا وكأنه يخجل من طلبه..

- ممكن أسمعها تاني؟.. أرجوكي!

بهدوء وصدق - بحبك يا حمزة.

سلم عليها وأغلق الخط، حمد الله أنه فعل، فقد كان يتمنى لو ينفجر معترفًا، يشعر بقوة- بعد ما رأى- بتفاهة الأجل! فهي لحظة.. كان يتمنى لو يخبرها أنها أجمل فتاة رآها في حياته، يتمنى لو يخبرها كم آنسهُ خياله بقربها، وكم حلم بأن يلمسها ولو بالخطأ! كم خفف وجودها في حياته آلامًا عظامًا، وكم شدت من أزره بمكاتفتها له في كل أموره، لكنه يعلم، عليه ألا يمس ما بينهما فيلوث طهره ولو بالخطأ! وهو على يقين، أنه فاتح له باب هذا العطاء لأنه طاهر،

facebook.com/the.Boooks

ويجب أن يظل كذلك حتى يأذن الله فيحله له، أو يقضي أمرًا كان مفعولًا.

أمسكت المصحف في يدها وقرأت في الورد لترى ما الرسالة التي يبعثها الله لها؟ كانت في سورة (هود)، وخفق قلبها على آية }قَالُواْ يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَاَ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ"81{

أنهت الصلاة وهي تدمع، "أجل قريب، قريب يا رب!" قبَّلت

المصحف مرارًا وهي تهمس "بحبك يا رب! انصرنا يا رب!"

أمام شاشة التلفاز مابين قناة (العربية) وقناة (On TV) وبعد أن تم التشويش على قناة الجزيرة، دار الحوار بين الأب وابنه:

- جرالك إيه يا مهدي؟ هم دول فاهمين حاجة عاللي بيجرى في البلد؟ دول شوية شباب صغيرين والسياسة دي آخر اهتماماتهم!

- كنت فاكر زيك ياحج، لكن الظاهر ان احنا فهمناهم غلط! ما نديهم فرصة، وليه لأ!

- لأ! عشان لأ! ماحدش يقول ان الجيش يسيب ثكناته ويقف يحمي الناس في الشوارع عشان الأبطال بتوعك ينبسطوا! عاجبك حظر التجول اللي احنا فيه ده؟ عاجبك قطع الاتصال ووقف الحال؟ حد فيهم فاهم البلد بتواجه إيه؟

facebook.com/the.Boooks

ولا ماوصلهمش الكلام ده على الفيس زفت بتاعهم ده! ومطالب إيه اللي بيتكلموا عليها؟ لعب عيال!

- يا حج..أول مرة أشوف سيادتك بتنقد الشباب للدرجة دي، مع انك لو كنت تعاملت معايا بنفس المنطق.. ماكانش زماني راجل ناجح وبسندك! -نظر لابنه بتوتر- انت ادتني فرصة وانا لسا شاب وماقلتش ده ناقصه خبرة! سمعتني وساعدتني أنفذ اللي في دماغي حتى وانت مش مقتنع عشان أتعلم! ولما كنت بطلع صح كنت بتشجعني وتوافقني، نفس الحكاية مع الشباب دول! دول مش بيلعبوا ولا حاجة، دول بيموتوا !

اعتدل والده في جلسته مقلبًا كلماته، تذكر الوالد "مهدي" وقت

تخرجه، تذكر تسريحته القديمة التي غيرها فور دخوله للمصنع في أول يوم، تعب قلبه من خاطر اخترق دماغه وصوَّره قتيلًا أمام عينيه، استغفر الله، قام منتفضًا، قال بتأثر:

- وهو أنا تعبت فيك كل ده، علشان في الآخر ترجعلي جثة؟؟

رد "مهدي" في إصرار - لازم يكون فيه تضحيات مقابل الحرية يا حج يونس!

ليتها ما قبلت أن يأتي "سامح" ليطمئن على الأولاد، ها هو الوضع يتأزم، جمعة الغضب هذه كانت جمعة إشعال الفتيل! اختفت الشرطة ونزل الجيش

facebook.com/the.Boooks

وانزرع "سامح" معهم لأجل غير مُسمى!!! قال بثقة دكتور جامعة يعطي محاضرة:

- الأمان من أساسيات متطلبات الحياه يا عمي! والناس مش لاقية تاكل خلقة، نقوم ندخلهم في أزمة اقتصادية أكبر!

أجابت "هَيبت" متحفزة - الشعوب المتخلفة هي بس اللي بتدور على متطلباتها الأساسية وخلاص، غذاء كساء أمان، وطول ما الناس هنا بتفكر كده هانفضل عالم تالت.

سامح: يا سلام؟

- أيوه This is true! بص على العالم الأول هاتلاقي Requirements أعلى من كده، الكرامة، العدل، الحق!

- طبعًا مه أي حاجة تبع التمرد هاتبقى على هواكي!

رفعت "هَيبت" أحد حاجبيها بتحدي - التمرد ده رفض Situation غير مقبول بالنسبة لشخص وسط جماعة قابلاه، يشرفني أكون متمرده مادام على الغلط!

- ويا ترى الشباب اللي يوماتي على القهوة وقاعدين ليل ونهار على النت ومربين شعورهم شطة، فاهمين تعريفك الرائع ده للتمرد؟

هَيبت: كنت فاكرة زيكم ان شـباب الـ playstation تافهين وماعندهمش أي

facebook.com/the.Boooks

علم! كنت أبص على القهاوي اللي مليانة على آخرها وأقول !No way لسا بدري، إنما هم أثبتولنا عكس كده! شجعان ومنظمين وبيفكروا ، وعندهم إحساس بالمصيبة اللي احنا عشناها وسكتنا!

سامح: ماتقوليش سكتنا! كل الحكاية اننا مدركين ان الثورة جوه شعب جعان وهلكان طول الوقت أكيد مش هاتعمل حاجة! وهاتشوفي هايحصل إيه في الآخر!

رفعت: يابني ان شاء الله هايحصل كل خير.

هَيبت: ماتعاندش يا دكتور لمجرد انك تحفظ ماء وجهك! أيوه احنا سكتنا! كنا مستنيين جمال زي أي ناس جبانة، مستسلمين وأغبية، كإننا مربوطين بسلاسل جت منين ما أعرفش! وهم جم Simply ورفضوا المصير ده، حتى لومانجحوش، كفايه انهم عبروا عن رفضهم، واحنا سكتنا واستسلمنا!

سامح: تبقي بتحلمي لو افتكرتي ان مبارك هايسيب مصر بالبساطة دي، الموضوع محتاج معجزة! لا هم ولا اللي معاه هايسكته، دي

تلاتين سنة يا مدام! تلاتين سنة بياكلوا ويرتعوا من غير ما حد يحاسبهم، وأمريكا معاهم لأن إسرائيل راضية عنهم، دي منظومة كبيرة ومستقرة، مش مجرد جمال والكلام ده!

تأففت "هَيبت"، نظرت إليه نظرة ملأها الغم! انهزامي، هكذا رأته، وهكذا

facebook.com/the.Boooks

تأكدت أنها يومًا لم تظلمه، منذ أن كان يدافع دومًا عن السادات وهي مذهولة من منطقه، لكن تتعامى عنه! إن هذا هو "سامح" من زمان.. لكنها لم تكن ترى.. أو لم تكن تريد أن ترى.

عادت "سلمى" لبيتها ووجدت "وائل" هناك مع أبيها في الصالون، بينما أمها وأختها تعدان العشاء في المطبخ، والدتها لامت تأخرها مرارًا "بلاش منه الشغل ده مادام يأخرك كده في الظروف دي! خطيبك زعلان وعنده حق!"، دخلت الصالون تحييهم وهي تحاول الابتسام، تحرك الوالد ليصلي الشفع والوتر.

نظرت إليه تستغرب دفء صوته، رأته يبتسم لها ويداعبها بعينيه:

- أنا زعلان منك على فكرة، إيه معنى ان خطيب واحدة يمشي من قدام بيتها وماتصالحوش إلا لو كانت مابتحبوش؟

تذكرت ما حدث منذ أيام قلائل، تذكرت حينما كان "وائل" يمسك الموبايل بنفاذ صبر في محاولة جديدة لكي ترد عليه ، لمحته مقتربة حتى وصلت، اعتذرت له بصوتها المتراخي، ولم تبادره بفرحتها العارمة التي اعتادها منها كلما أخبرها أنه تحت المنزل وعليها أن تواتيه خلال عشر دقائق على الأكثر! ركبت السيارة وهي غائمة الفكر، ولم تلحظ انفعاله كما لم يلحظ هو ذلك...

facebook.com/the.Boooks

- عندي ليكي خبر بمليون جنيه!

- خير؟

- مطلوب بنت تعمل دور بسيط قوي النهاردة في قناة...

- يعني إيه دور؟

- صبرك بالله! هاتقولي كلمتين بساط قوي عن انك مُجندة من قوى خارجية عشان إشعال الفوضى في مصر – نظرت إليه مُحدقة – ماتخافيش وشك مش هايبان هايكون متشوش عليه، ده غير انك هاتلبسي خمار ونظارة وشوية حجات كده عشان تستعطفي قلوب الشعب المصري

- وائل؟ انت بتقول إيه؟

هاج غاضبًا - يا بنت الحلال اديني فرصة أكمل، ماحدش هايعرفك في التفزيون التيم كله عارف ان دي حدوته متألفة، وأنا هاكون معاكي يا ستي وهاتخرجي بأمان إيدك في إيدي، الناس أول ما طلبوا بنت قلتلهم أنا دايس وعندي، مش احنا أولى من غيرنا!

- انتم بتعملوا كل ده ليه؟ عشان تثبتوا ان البلد في خطر؟ وانت عايزني أنضم معاكم في الحدوتة الواطية دي؟؟

- انتم إيه وعايزك إيه؟ يا ماما أنا وانتي وكل اللي في التحرير دول ولا حاجة!

facebook.com/the.Boooks

الناس الكبيرة اللي راشقة في جثة مصر وقاعدة تاكل الجثة المنتنة دي من سنين، هي اللي مسيطرة ومش هاتسيب فرصة لشوية العيال دي تاخد لقمة واحدة من بقها! بلاش وحياة أبوكي شغل الأفلام العربي اللي بينرفزني ده!

- حتى لو فرضنا، بلاش نشترك معاهم، بلاش نكون احنا صوابعهم السودة، بلاش!

تنهد "وائل" ثم حاول الابتسام:

- حبيبتي مافيش وقت! البرنامج هايتعرض بعد ساعات.. إفهميني، انت فاكرة بتوع التحرير دول شباب وطني ونضيف فعلًا؟ دول شوية عيال مدسوسة ومدفوعة الأجر فعلًا، بس حلني على ما نثبت بقى! واجبنا نشارك في لم الفوضى دي!

- يا وائل.. الكلام ده مش صحيح! أنا رحت التحرير بنفسي يوم خمسة وعشرين، لقيت... لقيت حجات مش قادرة أوصفها! عمري ما شفت ناس متفقة على حاجة واحدة بالقوة دي! عمري ما شفت ناس شجاعة وعارفة هيه عاوزة إيه بالشكل ده، كل الأشكال، كل الأديان وقاعدين يهتفوا "سلمية سلمية!"، هو فيه حد مدسوس عاوزها سلمية؟ أنا.. أنا مؤمنة انهم ناس صح! وعاوزين يعملوا حاجة صح!

facebook.com/the.Boooks

- نعم ياختي؟ بقلك إيه ما تفقعينيش! يعني اللي ماقدرش يعملوه أهالينا وأهالي أهالينا هايعملوه شوية صيع؟ الظاهر انك لسا صغيرة ومش عارفة حاجة! أديهم كل يوم بيموتوا، حاجة وقفت؟ حد عبرهم؟ المساجين هربوا، آدي كل الحكاية، بكره يلموهم زي صفايح الزبالة على المعتقلات... وساعتها هايخرجوا الولاد زي البنات، وهايفهموا انهم دفعوا الغالي عشان وهم كبير، بصي حواليكي يا ماما، البلد كلها اتباعت من زمان! واحنا كمان هانتباع وبالرخيص قوي.. كلها مسألة وقت!

- انت ليه بتسودها في وشي، لو كنت رحت هناك كنت اتفائلت عن كده! كنت عرفت ان مافيش حاجة اسمها مستحيل!

- مش محتاج أروح أبعد من مكاني عشان أعرف حجات كتير هما لسا مش عارفينها! خلصيني، هاتيجي معايا ولا لأ!

- لأ!

- عارفة هايدفعوا كام؟؟

- مش عاوزة أعرف.. لأنها مش هاتفرق معايا.

صاح - إيه اللي غيرك كده؟ إيه اللي قلب كيانك مانتي كنت فاهمة اللعبة وفاهمة الدنيا حواليكي؟؟

facebook.com/the.Boooks

- أنا فعلًا حاسة اني مش أنا! فعلًا حاسة اني بقيت واحدة تانية.. الظاهر ان فيه حجات كتير قوي هاتتغير!

نزلت "سلمى" من جانبه غائرة في عوالمها الجديدة، ولم تحرك ساكنًا حينما أخبرها أنه غير راض عنها وأن غضبه تلك المرة يختلف عن أي مرة! يبدو أنه لم ينتبه حتى هذه اللحظة لما تتحوله خطيبته! لم يستوعب بعد أن ذهابها هناك ورؤيتها الحية لهؤلاء الشباب، غير تمامًا من رؤيتها للحياة التي ظنت أنها الصحيحة الحكيمة! والتي ظل يغذيها هو فيها بفائض من سخطه على الدنيا! فبخلاف قولته الشهيرة "من خاف سلم" رأت هناك أن الكل ليس جبانًا أبدًا! رأت أن الفتن التي تشتعل كل بضعة شهور ليست سوى فعل مدبر بكل تأكيد! فكيف لفتنة أن تظهر بين شباب يجمعهم نفس الهدف وبنفس القوة!! رأت أن هناك –بخلاف قول وائل أيضًا "نمشي جمب الحيط" - مكان بعيد عن الحائط الذي تحتمي به ليل نهار موجود فعلًا ويمكنه أن يستوعب الآلاف بل الملايين، مجرد ميدان! في المساء استفاقت على أسرتها تتابع القناة المصرية بالتلفاز، ويشاهدون الفتاة التي قبلت دورها وقبضت، يشاهدون متأثرين وهم يتأججون خوفًا ويلعنون التحرير لعنًا، ويتوعدون أنفسهم بالظلام الحالك إن لم يرحمهم الله ويقضي على جميع شباب التحرير!

اليوم يأتي لها وكأن شيئًا لم يكن!! نسى فيما افترقا؟ (لحق)؟ الصالون ذو

facebook.com/the.Boooks

اللون الأحمر الداكن يزيد برودها، نظرت لأصابعها مرة أخرى.. يتحدث عن الحب! أمسك يدها بحنو - معقول ماوحشتكيش؟

أبعدت يدها برفق وقالت عيونها تلمع - واحنا قاعدين دلوقت، فيه شباب بتموت!

- سلمى، أنا مش عاوزك تفكري في الناس دول تاني، ماسمعتيش أحمد شفيق قال إيه؟ قال ان دي مش ثورة طبعًا، دي مجرد ناس بتعبر عن غضبها، خلاص بقى احنا مالنا بيهم؟ آخر مرة نتكلم عنهم أو تتابعيهم عالفيس أو حتى التلفزيون، خلاص؟

طبعًا! احتد صوته واختفى كل دفء!! قالت بهدوء:

- شوف يا وائل، زمان كنت باعملك ألف اعتبار، مش بس عشان كنت بحبك، كمان عشان كنت بخاف من زعلك، وكنت مصدقة كل كلمة كنت بتقولها عن أي حاجة فأي حتة! وكإني من جوايا سعيدة اني لقيت حد أقف وراه، سعيدة اني لقيت حد أصلًا بدل ما أبقى زي أختي واتنشأ على أي راجل ينقذني بالجواز، النهاردة أنا واحدة تانية خالص! لا خايفة.. ولا هانفذ كلام إلا لما أقتنع بيه، ولا هاصدق أي حد إلا لما أشغل مخي.

- إيه النغمة الجديدة دي؟ لأ صحفية بحق وحقيق، كل ده عشان مش عايزك تعيشي في وهم التحرير وبتوع التحرير؟ ماشفتيش جرى لهم إيه، ماتعرفيش

facebook.com/the.Boooks

ان في يوم على طلعة النهار، التحرير هايبقى مافيهوش جنس مخلوق؟
وهاتبقى حدوتة يناير زي حدوتة عرابي، وهايبقى اسمها "الهوجة"، وكل شباب الميدان هايبقوا (الخونة)!
صاحت في وجهه واقفة - إن شاء الله مش هايحصل! وربنا هاينصرنا وهايكيدكم ويكسف أمالكم!

قام مذهولًا - انت بتعيطي؟
- أنا كنت في التحرير النهارده، وهاروح بكرة، وبعده، وبحب مصر! ونفسي وأمنية حياتي أموت شهيدة!
صاح - أنا أمنعك! ولايمكن أسيبك تستمري في الهَذي ده!
كانت قد خلعت دبلته دون أن يرى ذلك منذ قليل، فمدت بها يدا وأمسكت يده الأخرى لتضعها فيها وهو يحدق مصدوما فيما تفعل، وسمعها تقول
- مش هاينفع تمنعني أشوف الدنيا صح، بعد ما عمتني طول المدة اللي فاتت، مش هاستمر أعمل زي المصريين اللي فاتوا وأسيب مبارك يتحكم في مصيري ويرهبني، أنا مش مصر... وانت مش مبارك.
- سلمى.. أنا مقدر اللي انت فيه، ومش هاعتبك دلوقتي!! – هدأ - انت رحتي الميدان في الوقت الغلط، وأكيد ناس صعبت عليكي، وأكيد...

facebook.com/the.Boooks

- بالعكس! أنا رحته في الوقت المضبوط، أنا دخلته وانا مشاعري متلخبطة ناحية بلدي، حب ولا كره؟ وناحية نفسي، صح ولا غلط، هناك اتأكدت اني بحب بلدي، واني صح وكنت غلط، بنصحك تروح.. يمكن!

ضم الدبلة داخل يده وقال قبل أن يندفع تاركها - انت هاتندمي يا سلمى!

- هيه يعني الذرَّة؟ طب والله الريس صعبان عليه! هو عمل إيه يعني عشان البهدلة دي كلها؟ ده برده كان الريس!

حدقت "هدير" من بين غضباتها موجهة سهامها لأختها "شيرين"، الزوجة البريئة الغبية!

- عمل إيه؟ ليه انت مغيبة ولا إيه؟ العشوائيات اللي مليانة ناس جعانة وعريانة؟ مش انت اللي زعلتي قوي لما مرينا بالعربية من قدامها في الأوتوستراد؟ وكنت مصدومة؟ وقلتي "يا حراام"! والشوارع اللي مافيش حتة فيها سليمة؟ نسيتي؟ لما تعبتي في مشوار الولادة من المطبات والحفر بتاعتها؟؟ وكنت هاتموتي! مش انت اللي كان نفسك تهاجري عشان تخلصي من السحابة السودة؟ كل ده خلاص؟ نسيتيه؟؟

facebook.com/the.Boooks

- وهه مش هايترشح تاني! خلاص بقى!

- بعد إيه؟ واللي فات؟ مين هايتحاسب عليه؟ ده عمر شعب بحاله! بصي على نفسك؟ زي ما دخلتي الكلية زي ما خرجتي! ليه؟ حقك في تعليم نضيف راح فين؟ الدكاترة اللي بيتخرجوا بالمحسوبية وبيجربوا فينا، انت شايفة نفسك ماتستاهليش أحسن من كده؟؟ طب انت ربنا كرمك بزوج مقتدر، الغلابة بقى يعملوا إيه؟ فين حقهم كبني آدمين في الحياة؟ بصي حواليكي ماتبصيش على نفسك بس!

- كفاية يا هدير! الشباب أصلهم دايمًا مندفعين! ومابيقدروش معاني كتير! ده برده رمز مصر!

صاحت "هدير" واقفة - رمز مصر؟؟ بتسمي الذل والإهانة رمز؟ نسيتي لما قلتي انك في العمرة بتتكسفي تقولي انك مصرية؟ هي الناس بتنسى للدرجة دي؟ كان فين الرمز وانت بتستعري من بلدك ها؟ إيه معنى الرمز بالنسبة لك لما يكون عار؟ طبعًا ماتعرفيش يعني إيه عار؟؟

- شكرًا! يا هانم يا مؤدبة! بس أحب أقلك ان فيه رأي ورأي آخر.

- أنا آسفة يا شيرين، بس فيه رأي يكون عدمه أحسن! فيه شخص ليه رأي يخلي الناس تحب تسمع له وتثق فيه، وشخص ليه رأي، يخلي أقرب الناس ليه

facebook.com/the.Boooks

عاوزة تطفش منه، وتدور على حد تاني ليه رأي تاني!

- تقصدي إيه؟

حدقت "شيرين" في أختها وكأنما وخزتها الكلمات في قلبها! تنهدت "هدير"

- ما أقصدش حاجة، بس عايزة أقنعك إن رأيك ده مش مجرد خاطر، ده بيعكس شخصيتك وإيمانك بالحجات، ويقدر يحققلك حلم، أو يضيع منك حلم!

لم يكن عند "حنان" أي فكرة عما يجري من حولها بالضبط؟ من الخائف؟ من القوي؟ من الصادق إن كان ما تبحث عنه الصدق؟؟ لكن ذلك لم يكن ما تبحث عنه حقيقة، فهي لا تصدق! لا تصدق أن شبابًا عاديين مثلها في سنها يستطيعون تفجير ثورة! شجعان، لا يهابون شيئًا وهي التي تموت خوفًا من أن يكتشف أحد مسكنها أو مستواها الحقيقي بعد ما آلت إليه! دماء وشهداء، ولا زال الشباب والشابات يتوافدون ويصمدون، تنظر للتلفاز فلا تصدق أن الجموع الغفيرة تلك لا تبطن جميع أنواع التحرش الجنسي المفجع! كل الشباب (تعبانين) وكلهم في ترقب لفرصة مماثلة! هي ترى ذلك، وكلما لمحت في لقطات التلفاز فتيات الشعر الثائر، والنظارات الشمس الرائعة كلما زاد غيظها! (ستايل وغنية وكمان ثورية!) يا سلام؟؟ كلا لا يمكن! لن تصدق أن

facebook.com/the.Booooks

أحدًا لديه كل ما يتمنى المرء! وطبعًا يتلامسون مع الشباب دون مشكلة! يباتون ويتسامرون طوال الليل دون مشكلة! بل يتصاحبون، ويتصادقون، وهي تعجز عن فعل عُشر ذلك! بالإضافة لأخيها الثائر الهائج...

- بقى عاملينلي فيها ثورجية وبيثوروا في عيد الشرطة؟؟ طب ورونا بقى مين اللي هايحميهم من البلطجية والمساجين؟ إما رجعوا يبوسوا جزمتنا مانبقاش إحنا!

ووجدت نفسها تحادث الناس من حولها، وتكتب على الـFace Book باسمها المستعار تحادثهم كأعتى عميل متخفٍّ للحكومة:

"فعلًا أنا نزلت التحرير وشفت بنفسي.. كان نفسي ماصدقش! كان نفسي أكتبلكم انهم فعلًا شباب شرفاء واتظلموا! لكن كلهم لابسين لبس غالي وبياكلوا فعلًا كنتاكي! طب مين اللي دفع الكلام ده؟ دول فعلًا مدربين ومأجورين! مصر في خطر! الدبابات الإسرائيلية على الحدود! حرام كده حرام!"

وتعاقبت الأيام والغيرة تأكلها، والعمل على تفريغها لا ينقطع! قبل المليونيات تدون بهمَّة:

"غدًا سيكون بحر دماء! إحذروا الفتن!"

facebook.com/the.Boooks

إلى أن جاء اليوم الذي اهتزت فيه! عاد ابن خالتها من الدنمارك ليشارك في الثورة! من هذا المجنون الذي ترك بلاد أوروبا والنعيم ليأتي هنا للخراب والفوضى! إنه زوج وأب، شاب لكن له أسرة وطفل صغير.. وكيف تركته زوجته المجنونة للانتحار من أجل "مصر"! ظل هذا الحدث يؤرقها كثيرًا، وقررت النزول! قررت أن ترى بنفسها ما يحدث في التحرير، ما الذي يجبر إنسانًا ناجحًا ومستقرًّا على اختيار ميدان التحرير؟؟؟

اتفاق الشباب هناك في حلقات منظمة يدفعها للتساؤل عما يجري حقيقة! علب كثيرة من البسكويت المحشو عجوة يتم توزيعها على كل الناس! يبدو أن فكرًا واحدًا استطاع أن يجمع كل هؤلاء لكن ما هو؟ لا زالت تبحث عما يؤرقها، ساقها القدر إلى ساعة عاصفة، تقاذفتها الصيحات والندائات إلى خيمة يلتف حولها الناس في قلق، أهو خطيب يخطب أم سياسي يكسب الشباب من حوله؟؟ لكنها حينما وصلت هنالك شلتها المفاجأة! فتيات اكتشفت أنهن طبيبات يتحركن بشكل سريع مضطرب، ألف صوت في نفس اللحظة ينادي على ألف شيء، تخبط الكثيرون حولها آخذون كتفها بضربة متدافعة مرات، لم تشعر حينها بغضب، لا زالت ذاهلة محدقة في الأجساد التي تُلقى على العراء مهترئة وأصوات الآهات تمزق الحناجر الغضة!

- انت متنحة كده ليه؟ تعالي امسكي معايا!

facebook.com/the.Boooks

تحركت لا إراديًّا وأمسكت ذراع شاب حيث أشارت لها كي تحقنه تلك الطبيبة بما في يدها، ربتت الطبيبة على كتفه ثم حمله بعض الشباب جانبًا كي يتم وضع غيره، صاحت عيناها، تكاد تقفز من مكانهما.. جرح عظيم، انبثق منه الدم! دم متفجر ظهر اللحم من تحته وطبقة الدهن فالعظم!!! "إمسكي كده"، أشارت الطبيبة بأصابعها العشرة لها كيف تساعد على ضغط الدم حتى يتم تطهيره فخياطته! تحركت رأسها رافضة في فزع، صرخت الطبيبة (يلا!) ففعلت "حنان" وقد بدأت تبكي بكاءً خفيًّا غير مرئي، تحجرت عينيها على ما يبدو ونسيت كيف تذرفان الدمع!

عندما قل تدفق المصابين وهدأ الضرب أخذت نفسًا عميقًا وحاولت أن ترتاح، قالت لها الطبيبة مبتسمة بإرهاق:

- انت تعبتي قوي النهاردة، ارتاحي شوية، أظن الدنيا هاتهدى.. انت بايتة؟

كانت ستجيب من فورها "لأ طبعًا!"، لكنها قالت - هي الساعة كام؟

وفوجئت تمامًا حينما عرفت أن الساعة تجاوزت منتصف الليل! أخرجت الموبايل من حقيبتها المعلقة في عنقها حتى الآن، ووجدت رقمًا لم تره في حياتها.. اثنين وثلاثين محاولة اتصال! طلبت والدتها:

- انت فين يا بنتي؟ انتي كويسة؟ انت بخير؟

facebook.com/the.Boooks

بصوت خافت متعب طمأنتها واعتذرت منها...

- جرالك حاجة؟ انت فين؟ أخوكي لو دري انك مش في البيت لسا هاتبقى مصيبة!

أخبرتها بالصدمة! "أنا في التحرير يا ماما"، صاحت بها المرأة! جُنت!!

- وطي صوتك ياماما، اسمعيني كويس.. أنا مش هارجع النهاردة، ويمكن ولا بكرة!

سكوت، سمعت أنفاس أمها من دون رد - أنا بقلك كده وانا واثقة انك هاتفهميني، أنا عمري ماحسيت الإحساس ده من سنين! عمري ما حسيت ان ليه لازمة! عمري ما حسيت اني بني آدمة أصلًا!! ولايمكن هاسيب مكاني! ماتخافيش انا بعيد عن الضرب، بس بساعد المصابين

- أخوكي.. أخوكي لو عرف...

- ومين هايقله؟

ظلت صامتة أمها، من يفهم حقيقة المبدأ والمعنى مثلها؟ من بقي –الوحيد- في هذا البيت المتهالك يحاول شد أزر الجميع صامدًا كجبل الفولاذ؟ وأخيرًا أجابتها:

- أنا خايفة عليكي!

facebook.com/the.Boooks

- أنا في أءمن مكان في الأرض! الشباب حوالينا من كل مكان! خدوا بالكم انتم من نفسكم.

وقبل أن تغلق - حنان!.. عاوزة أشوفك تاني يا حبيبتي!

- لو فيه نصيب.. أكيد هاتشوفيني يا ماما.

الأربعاء الأسود! أو المشؤوم، هكذا ظلت "هَيبت" طوال اليوم تردد لنفسها، كم هو إحساس بذيء أن يشعر الشخص أنه ليس في جيل النخبة! بذيء أن يشعر أنه من جيل الجبناء الخرساء! أو فلنكن صريحين.. إنه الجيل العفن! الجيل الذي رضي بضرب الـ(قفا) وظلت مشكلته أن يُزاد من يضرب كي تنتعش حركة المرور كما قالت "النكتة" القديمة!! وظلت تتقلب على سريرها الوحيد، لمَ لم تفكر أبدًا في تحريك المياه الراكدة التي طالما سيئت برائحتها المنتنة، واكتفت بأن ظلت تحاول جمع خبثها بعيدًا! كلا! أنت يا "هَيبت" اجتهدتِ وأباكِ، لم تكوني في انتظار الحكومة التي سينقشع منها الفساد بلا سحر ولا شعوذة! ولم تظلي في انتظار الرجل الخارق والزعيم المنتظر.. بدأتِ في عمل خطط لإصلاح المجتمع! نظرت للسقف، لكن ذلك كان عمل الكبار.. أما الشباب، سن القوة الحقيقية التي لا يشوبها سواد النضج من الحياة، سن

facebook.com/the.Boooks

تفجير الثورات بحق، فأين كنت يا "هَيبت"؟؟ كنت هائمة في حب الباشا الذي يهيم في حب غيرك الآن كي يُثبت لنفسه أنه مازال فتيًّا!! وكأنه امرأة تلجأ لجراحات التجميل كي تصدق أنها لاتزال جميلة، وبلا تجاعيد كلما نظرت للمرآة!! أما الشباب بحق! فهاهم! "عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية!"، جدعان! "علّي وعلّي وعلّي الصوت.. إللي هايهتف مش هايموت!"، أجل لن يموت يا "هَيبت"! ما يُبقيكِ؟ خوفك على الأولاد؟ وكأن أجلك لو حان سيتأجل من أجلهم!!! اذهبي! يجب أن تذهبي! يجب أن تتذوقي ذاك الشعور الرائع الذي حُرمتِ منه في سنهم، اذهبي، اهتفي ولن تموتي! وإذا متِّ فمن قال أن كل الشهداء الذين حُصدوا لم يكن لهم أولاد؟؟

بكت بالأمس ل"مهدي" على الهاتف، كادت تفقد الأمل!

- الولاد دول لو انهزموا أنا هاهاجر لقسمت! بجد مش هاقدر أعيش في البلد!! معقول؟ معقول كل حاجة تخلص كده؟ معقول يحصدوهم ويخلصوا عليهم قبل الصبح؟؟

- إهدي يا هَيبت!

- أهدى ازاي؟

- انت بالذات عملتي ثورة قبل كده! مش بهدّيكي.. لكن مشروعك أكبر دليل!

facebook.com/the.Boooks

فكرت في كلماته، طمأنتها كمخدر لذيذ مفعوله نصف دقيقة!! قالت بعدها:

- أنا عاوزة أروح الميدان يا مهدي أرجوك! أرجوك وديني!!

- هايحصل، بس الدنيا تهدى شوية، فيه مليونية يوم الجمعة الجية، أوعدك إني هاوديكي.

في صباح الخميس قامت بتوصية المربية ونزلت، لن تهاتف "مهدي"، لن تنتظر وعده، لن تدفعه ليترك طفلتيه وزوجته القلقة خلفه، لمَ هي بحاجة لمهاتفة أحد أصلًا؟.. لا تدري! وكأن تلك اللحظة لا تصلح للوحدة! ظلت تقترب من نهاية شارع القصر العيني، انحرفت ناحية محطة الوقود فجأة، تأففت ثم لاحظت رعشة يديها، آه! "مصطفى!"، إنه بالقرب من هنا، يقطن عند أطراف "جاردن سيتي"، فهو يعيش وزوجته مع والدته، أجل ستحادثه ليأتي معها، وليأت بصفى أيضًا! رد أخيرًا قبل أن تغلق الخط!

- إيه؟ بتقولي فين؟؟.. طب خليكي مكانك ما تتحركيش لحد ماجيلك!

لم تكن سعيدة جدًّا لحضوره، في صوته ما يشوب! لم يتهلل حماسًا كما ظنت وكما كان أيام الجامعة! بالإضافة أنه لم يعلق. لم يطل الوقت قبل أن تلمحه وقد ترجل من سيارته التي أوقفها في وضع لا يوحي بطول غياب عنها، أشارت له فتقدم، توقف مترددًا هنيهات، كان متجهمًا لدرجة رفعت توترها أكثر! مالت كي

facebook.com/the.Boooks

تفتح الباب بجانبها له، توقف أيضًا هنيهة قبل أن يدخل محييًا إياها:

- مالك؟ أنا افتكرت انك هاتكون مبسوط.

- مبسوط؟ انت عارفة انت فين؟ عارفة إيه اللي بيحصل حواليكي؟ ازاي تيجي لوحدك في ظروف زي دي، ماسمعتيش عن البلطجية اللي مالين البلد؟

- مصطفى! وحدة وحدة عليَّ! مانا كلمتك عشان مادخلش لوحدي، مش ملاحظ انك متنرفز زيادة عن اللزوم؟.. على العموم ياسيدي أديني جيت خلاص، وماجراليش حاجة!

- هَيبت.. انت فاكراها فسحة؟

كم هو بارع في حرق الكلمات فوق فمه، بما أنه أبدًا لا يواجهها وأبدًا لا يولي بصره عن الزجاج أمامه.

- انت شايفني طفلة ساذجة قدامك مش عارفة هي رايحة فين وليه؟

- فيه ناس جوه بتموت!

- بتفرج على تلفزيون والله وعارفة! بس وبعدين؟ المفروض نفضل لغاية الآخر واقفين نتفرج زي العجزة لغاية مايجيبولنا حقنا! مش هانشارك حتى بعد اللي حصلهم وهم لسا صامدين؟

- نشارك؟ شاركي ياستي بقلبك، ابعتيلهم بطاطين، ده المطلوب من واحدة

facebook.com/the.Boooks

زيك!

- واحدة زيي يعني إيه؟ عجوزة؟ مكحكحة؟؟

- انت أم!

- مه عشان أنا أم، لازم أشارك في أهم حدث هايأثر على مستقبل ولادي، عشان أنا أم لازم يبقالي رد فعل يشرفهم لما يكبروا! مش كفاية اننا سكتنا طول السنين اللي فاتت، وهم اللي بيحاولوا دلوقتي ياخدولنا حقنا؟

- ده كلام أفلام يا هَيبت! أم يعني ولادك محتاجنلك دلوقتي! هم شباب مش مسؤولين عن حد!

- مش مظبوط! كلنا لازم نساندهم ونوصلهم انهم صح وان احنا وراهم! زمان ماكانش ده كلام أفلام يا مصطفى، إيه اللي حصل! لما بنكبر بنبوز؟ بنخاف؟ ولا إيه؟

- لما بنكبر بنعقل!

- إممم.. يعني الولاد دول في نظرك مجانين.. ماكنتش أعرف! ما خطرش في بالي ان ده رأيك! وطبعًا أنا كمان مجنونة دلوقتي، طيب لما انت مش ناوي تنزل ماقلتليش ليه في التلفون من الأول؟

- لإنك انت كمان لازم ترجعي البيت!

لم تعرف لمَ أصابها أسلوبه هذا معها بالخيبة!

facebook.com/the.Boooks

- مصطفى أنا مانمتش امبارح! أنا عاوزة أعمل حاجة! عاوزة أدخل معاهم وأشجعهم، عاوزة أساعد في حاجة، عاوزة أهتف!

- تهتفي.. – وكأنه توقع ما سمعه - انت مش متخيلة لما الهتاف بيقلب على صويت! ولا لما فرحتك وسط الناس تتحول لمأساة من واحد يسقط وسطيكوا فجأة! أنا لو عندي أي يقين ان النهاردة هايكون أمان كنت سيبتك تدخلي وكنت دخلت معاكي، لكن الضرب لسا ماخلصش!

- أنا مش عاوزة أدخل لما الضرب يخلص! أنا مش جبانة!!

صاح - كفاية بقى! جبانة إيه؟ الموضوع أكبر من كده بكتير! ده انتي بتتوتري من واحد اتعور في التلفزيون، أمال لما حد قدامك ينضرب بالرصاص الحي! ولا حتى انتي شخصيًا، طبعًا متخيلة نفسك ماسكة دراعك المصاب وانت بتبتسمي واللي حواليكي مبسوطين بيكي بيقولولك شدي حيلك بكرة تخفي، لكن مش متخيلة نفسك وانت إصابتك مش هاتخليكي تمشي تاني! مش هاتخليكي تشوفي تاني! وياسلام لو الثورة دي فشلت واتلميتي مع اللي هايتلموا في المعتقلات، ساعتها هاتتمني الموت بجد!

- مصطفى! –همستها باسمه أوقفت نزيف كلماته الشائكة، وعرف أنه أصاب هدفه- طول عمرك بتقويني.. طول عمرك بتشجعني، إيه اللي حصل؟

facebook.com/the.Boooks

- خايف! خايف عليكي ومش هاضحي بيكي!

- مانت ضحيت زمان! اشمعنى دلوقت؟

كانت أول مرة يلتفت بوجهه نحوها وينظر إليها! صدمته إجابتها فلم تبق فيه تعقلًا، تحديقته لم تخفها.. بل زادتها إصرارًا!

- قصدك إيه؟

- انت فاهم قصدي كويس!

توتر بخفاء، نظر ليديه التي نفرت عروقها - انت بتقولي الكلام ده على أساس إيه؟

- مش محتاجة أي أساس! ولا تفسير، كله قدامي أهه، إزاي ما شفتش من زمان، قد إيه إنت سلبي ومش طموح، ومستعد تستغنى عن حقك لأبسط سبب! سامحني على صراحتي، بس هيه دي الحقيقة!

- لأ مش هاسمحك – ضرب صندوق المفاتيح بينهما صائحًا – ومش هيه دي الحقيقة!

ظلت صامتة ترقب انفعاله الغريب عليها، وقد نظر لأعلى يستجمع ما يقول:

- بصي.. أنا مش عارف ازاي انت قلتي كده! انت مش فاهمة أي حاجة!! وعلى فكرة، مش عكس الجنون السلبية!

facebook.com/the.Boooks

- أوقات.. ماينفعش تاخد حقك إلا بالجنون، وإلا سيبه بقى لغيرك، وسيبه يحكم مصيرك وانت ماشي جمب الحيط!

- كنتي عايزه إيه؟؟ كنتي عايزاني أقلك بحبك؟ وأزود من طابور عشاقك واستنى دوري؟ - صاح- كده ما بقاش سلبي؟ ما تردي!

صُعقت "هَيبت" لصياحه واعترافه، ردت - على الأقل كنت تسيبني أنا أختار؟ إيه.. كتير عليَّ؟

- مش عارف! يمكن كان كتير عليَّ أنا!.. مش عارف..

ارتفع توترهما إزاء لحظة اعترافات متأخرة أكثر من عشرة أعوام، فاجأتهما كليًّا في غير موعدها! قالت:

- ودلوقتي؟ كتير عليك حريتك؟ كتير عليك كرامتك؟ لسا جنون انك تنزل تضحي بنفسك عشان تدافع عنهم؟ ومستني الهوجة تخلص وتشوف هاتقف في صف مين؟؟

ظل صامتًا في بروفيل وجهه إصرار غريب، سمعها بوضوح - خسارة.. خسارة يا مصطفى!

شغلت المحرك وأمسكت المقود ناظرة للأمام، قال بقلق - رايحة فين؟

- ماتخافش.. راجعة البيت، ماأقدرش أدخل الميدان لواحدي، وللأسف،

facebook.com/the.Boooks

مالقيتش راجل يدخل معايا!

تنهد غاضبًا وخرج من جانبها موصدًا بابها بعصبية، ووقف حتى تأكد أنها تعود أدراجها.

facebook.com/the.Boooks

(١١)

لربما كانت أسعد لحظة في حياة كل المصريين، كل المصريين الشرفاء، أحبوا صوت "عمر سليمان" وهو ينطق بالتنحي، صحيح لم يفكر أحد في ماهية ترك الحكم للقوات المسلحة! فأي منطق يدعو رئيسًا مخلوعًا لاختيار من سيعقبه؟؟ خاصة وأن المجلس الأعلى للقوات المسلحة ليس إلا رجالًا أدانوا بالولاء لرئيسهم طوال فترة رئاسته! وهم مُعينون على يديه من الأساس!!! لكن الشعب نزل الميدان يضج فرحة وسعادة غامرة، كانت الساعات الكثيرة الأخيرة مليئة بالغليان، واشتد الضغط على الأعصاب وكاد اليأس أن يلتهم الأنفس! وهذا ما ساقهم لقبول أي بديل دون استمرار القهر وتقبل الفشل!

وكان جديرًا بـ"هدير" أن تكون مثلهم، لكنها لم تكن.. فجأة انقطع الاتصال ولم تسمع خبرًا عن "حمزة"! ولا يجيب أحد من أصدقائهم المشتركين، كيف تفسر ذلك؟؟ غصبًا راحت تتخيل "حمزة" في جسد كل شخص في التلفاز داخل الميدان، الهواجس اعتصرت روحها ومنعت عنها أنفاسها، هي سعيدة لمصر، بالتأكيد هي كذلك، لكن ما طعم السعادة دون أن تشاركه إياها؟ أين هو؟؟

أراد "مهدي" على أن يحتفلوا مثل كل المصريين بهذه الليلة الصاخبة، لكن زوجته خافت على البنتين من الزحام الشديد! هاتف "هَيبت" بعد الخطاب ووجدها تبكي من الفرحة:

facebook.com/the.Boooks

- مبروك! مبروك علينا !! خلاص، أنا مش عاوزه حاجة تاني من الدنيا ، كفاية علينا النصر!

ابتسم "مهدي" وبارك سعادتها ، فعلًا كان الجميع قد تحول لكتلة يأس بالأمس حينما تكلم "مبارك" من جديد دون أن يتنحى!! وحقًّا اليوم لا يعتقد أن أحدًا من كان يريد شيئًا من هذه الدنيا بعد أن ارتشف الجميع طعم النصر، طعم حب مصر! حتى والده أخذ الزوجة المُبتئسة على رئيس اعتادته طوال عمرها في يده عائدًا بسعادة لبيتهم. في الأيام اللاحقة أصبح الميدان مزارًا ، نزلت "هدير" إليه مع صويحباتها لا لشيء، ولكن كي تبحث عنه، ربما.. ربما كُتب لها أن تقع في الصدفة التي هي خير من ألف ميعاد! لكن حلمها ظل يتهاوى مع الوقت.. أين أنت يا حمزة؟ ليتها تدرك رقم بيته لتطلبه، ليتها تدرك عنوانه لتذهب والله إليه! قلبها لا يحدثها بشيء، في كل مرة يحدثها بالقلق تتدثر بالطمأنينة.. لكنه اليوم لا يخبرها بشيء!!
أما "شيرين" فقد احتجت في البداية على أخذهم الأولاد في هذه الظروف إلى الميدان، لكنها سعيدة لسعادة زوجها جدًّا ، رغم عدم اقتناعها بسبب كل تلك السعادة! فماذا سيحصل في مصر؟؟ وماذا فعل الرئيس المسكين هو وأسرته كي يلقوا كل هذا الذل؟؟ لكن في النهاية رضخت لرغبته وصاحبته مع

facebook.com/the.Boooks

الطفلتين، في مشهد غريب ونادر، تمشي بجواره تتأبطه! تدفع عربة الطفلة بيد، وهو يحمل بيده الأخرى طفلته الأكبر، كانت تتحرك إلى جواره مبتسمة وفخورة به، هي فعلًا تحبه، وتحب لو تكون تلك الشمعة التي تحترق لتضيء له وتدفئه!! كيف رتب القدر زواجها بهذا المخلوق العظيم الذي تحسدها عليه الحسودات؟ كيف تشعر أنها تسبح في الهواء لمجرد أنها بجواره في الشارع! أخذ "مهدي" يجوب الميدان وهو يشتري كل ما له علاقة بعلم مصر للبنتين، لا يدري لماذا يشعر اليوم أكثر من أي يوم أنه رجل! لا يدري كيف نسى مشكلته العظيمة مع "هَيبت" منذ أن سمع بالتنحي، لا يدري من أين نزلت الراحة تغوص في جنباته وهو يشعر بطعم جديد في حلقه!.. يعرف أنها البداية! يعرف أن الطريق طويل لا زال، لكن شيئًا جديدًا لذيذًا أصابه.. الأمل! ومن هذه اللحظة.. سيُجند نفسه من أجل "مصر"، تدوس على سمعه أغنية محمد ثروت دون تحكم منه...

كل بلاد الدنيا جميلة، لكن أجمل من بلدي لا لالالالالالالا لا لا لا

وبحب الدنيا دي بحالها لكن أكتر من وطني لا لالالالالالالا لا لا لا

ثم تداخلها أغنية محمد الحلو

يا بووووي، يا بوي يا مصر أما الواحد بيحبك حب!

facebook.com/the.Boooks

أجل! جدًّا! والله بحبك يا مصر! يبتسم، يضحك، يتنفس، يمشي بخيلاء، يحدث طفلتيه عن بلدهما، يشير ناحية مجمع التحرير والمتحف المصري، يطمئنهم من الدبابات، يريهم تحية العلم كشاب مراهق سعيد ببذلته الجديدة، تكتنز "شيرين" الفرصة، هي لم تجده أسعد من اليوم منذ عقود! فمنذ أن حدثتها "هدير" ولَّحت لها ذاك التلميح السخيف بأن آراءها ربما تدفع من حولها دفعا للهرب منها ولم يغمض لها جفن! تعرفها صديقة زوجها الصدوقة، ولا دخان من دون نار!

- إنت سعيد بينا يا مهدي؟

كان يجب ألا تستخلص نفسها وحدها في السؤال.. فقد أصبحت وطفلتاها كيانًا واحدًا.. أليس كذلك؟ أجاب وهو يلتقط لها وللبنتين الصور بموبايله:

- سعيد بيكم؟ إلا سعيد، ده انتم حياتي كلها.

- بجد؟ يعني عمرك ما هاتفكر تبعد عننا؟

كان يراها في العدسة، فأبعد الموبايل من أمامه وسألها عما تقصد، بالطبع لا!، لكنها تابعت بحنان:

- ولا تشرك معانا حد فيك؟

دق قلبه ولمعت عيناه - شيرين.. إيه الكلام ده؟

facebook.com/the.Boooks

- عشان خاطري جاوبني، لو ليه معزة في قلبك تجاوب.

- أجاوب إيه بس! - أشار بيده - إضحكي علشان الصورة تطلع حلوة.

- أضحك ازاي وأنا قلقانة.

- جرالك إيه يا شيرين؟

بدأت غضبته تتحرك من سباتها، خشيت من ذلك جدًّا، فأشارت لفتاة أن تصورهم جميعًا، أعطاها "مهدي" الموبايل ووقف معهم مبتسمًا، شكر الفتاة وسمع زوجته تقول:

- الصورة عمرها ما ها تطلع حلوة من غيرك.

وجل من حديثها، هل أخبرتها "هدير" شيئًا؟؟ قبل أي شيء هي أختها! لكن ماذا قالت؟ وما الذي أسكت زوجته كل هذه الفترة؟ لا،لا.. لا يمكن!

- وهو أنا رحت فين؟ منا هنا أهُ.

- عارف يا مهدي، الفترة اللي فاتت كنت بفكر جامد قوي، وحسيت.. حسيت ان ربنا أكرمنا قوي، المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وأسرتنا مستقرة والحمد لله، والثورة فازت.

- فازت؟ اسمها نجحت.

- أيوه يعني نجحت، إيه رأيك نروح نعمل عمرة، أسيب البنتين عند ماما ونروح

facebook.com/the.Boooks

لوحدنا.

- غريبة! دايمًا كنت تسيبيني أروح لوحدي بسبب البنتين، إيه اللي حصل؟

- حجات كتير ممكن تتغير يا مهدي، حجات كتير بس انت خليك معايا.

- يا ستي منا معاكي أهُ.

ردت ضحكه بجدية هادئة

- أقصد خليك معايا في اللي محتاجه مني عشان أتغيرلك -تأثر لحديثها – عارف بقالنا كام سنة متجوزين يا مهدي؟ تمن سنين! أنا حاساك جزء مني، وولادي جزء مني، وأنا كمان جزء منك... مش كدة؟

ظل ينظر لعينيها مستعجبًا بهدوء قبل أن يحرك ذقنه بالإيجاب – كده.

- قول وحياة ولادي ما هاسبكم ولا أبعد عنكم أبدًا!

- أهُ كده انت بتنرفزيني! أبعد أروح فين؟

- حلفتك بأغلى ما عندك.. قول.. قول يا مهدي، عاهدني!

أمسكت يديه، قيدت عينيه، رق لها، سكت، توتر، نظر حوله، الميدان يُبعد عبسته، تنهد، نظر نحوها فإذا بعينها تستعطف كل ذرة فيه، قال أخيرًا بعد أن ألهبت ضمتها يديه:

- أعاهدك!

facebook.com/the.Boooks

تهللت كطفلة، عانقت ذراعه، شعر بأنفاسها تطير طيرانا، كما عهدها حينما يلبي لها طلبًا! وكما عهد نفسه سعيدًا بذلك.

ظل "مهدي" يفكر في كل ما يدور، من حوله أحداث واسعة...

هَيبت، زوجته، حديثها إليه، عهده معها، الثورة، النصر.. مصر! أو لا، ليس هكذا تدور الدوائر داخل رأسه، بل.. ماذا يريد؟ ماذا سيختار؟ ما يمكنه أن يتخلى عنه، وما لا يمكنه أن يضحي به؟ ما يجرء على فعله، وما ينوء عن فعله؟ أو كلا، ربما الأمر أكبر من ذلك.. ربما هي دوامة في صلب المعاني!! ما هي السعادة وما هو الجحود؟ ما هو الرضى وما هو العصيان؟؟ إنها أول مرة يجده واقفًا مع ذاته ذات الوقفة! يسألها هذه الأسئلة! هل هو قادر على الاختيار حقًّا؟؟ لكن مصر لا تمهله.. فهو وقت العمل لا الحب!

- يا مهدي! بندهلك من الصبح، سرحان في إيه؟ الغدا جهز وهدير وصلت.

انتفض ناحية زوجته ورجّته سيرة "هدير"، فقد نسيها تمامًا.. نسى أنها تريده في أمر غاية في الأهمية، نسى أنه أهملها تمامًا مؤخرًا وعاتب نفسه بشدة! قام لغرفة الطعام وحياها، فزع من محياها المبتئس، يعلم ألا ملجأ لها سواه، يجب أن يصغي لها اليوم، عليه ألّا يكون أنانيًا أمام الشيء الكبير الطاهر في

facebook.com/the.Boooks

حياته!

بعد الغداء انفردا، وأعين "شيرين" تكاد تلتهمهما التهامًا! منذ متى؟ منذ الشك! ولم يخطر ببالها أبدًا كم أن أختها الصغرى مكروبة! كلٌّ يغني على ليلاه!

شكت له الفتاة عن غياب "حمزة"، حاول أن يطمئنها لكنه قلق مثلها! وعدها أن يحاول كل جهوده أن يصل إليه من رقم محموله! فلابد أن هناك طريقة ما، أثناء تحاورهما رنت له "هَيبت" كثيرًا، اضطر للرد عليها عازمًا أن يؤجل الحديث، لكنها لم تمهله، تزف إليه أنها اختارت حزبًا لتنضم إليه! فوجئ طبعًا، هي لا تهمد!

- أنا لقيت في الحزب ده All what I need، أهدافه، وسطيِّته، وجود شباب فيه وكمان انضمت ليه شخصيات أنا بثق فيها...

- بس خدي بالك ده مش تعبير عن رأي وبس! ده ليه متطلبات وهيكون عليكي واجبات تجاهه.

- am ready for this! so what? من النهاردة أنا هادخل في السياسة، ومش هاسيب البلد لأي حد تاني من غير ما كون مشتركة وليه دور كمان!

- أنا مبسوط انك مبسوطة، أنا كمان مش هاسيب البلد بس هاشتغل تعمير،

facebook.com/the.Boooks

ابتديت بمنشية البكري، الناس بتوعي شغالين في المدارس الحكومية توضيب ونجارة وسباكة، وكمان بفكر أصنع في المصنع زبالات أوزعها في الشوارع، أبتدي برده بمنطقة كده على قدها...

- أفكارك !Brilliant، أنا برده شغالة في المشروع طبعًا، أنا مبسوطة قوي! بالتوفيق لينا، مش هاشوفك قريب؟

- أكيد، إن شاء الله.

حياها وأغلق الخط، التفت إلى "هدير" معتذرًا منها وقد رأى محياها وقد تغير، قالت له:

- صحيح يا أبيه حضرتك شغال في الحجات دي؟ أنا فخورة بيك قوي!

ابتسم بتواضع، وذكَّرها أن شباب الثورة لن يخيب ظنهم في جيل من فاته أن يثور، قالت بترقب:

- يا ترى صاحبك عمل إيه في مشكلته؟

كمش عينيه وحاجبيه بداية، ثم استدرك سؤلها وتنهد:

- والله مش عارف أقلك إيه.. أصله بقى مش عارف هو عايز إيه؟ مش مُصر زي الأول! كإنه كان بركان فاير ورجع هدي! بس برده مش مستقر.

- دي بداية الطريق يا أبيه إنه يستقر! – نظر لها مستفهمًا – أصل الإنسان

facebook.com/the.Boooks

فيه ميزة عن البركان، عنده مخ يفكر بيه عشان يلجم بيه العواطف، وعنده نفس لوامة! تعرف يا أبيه.. ربنا بيحب صحبك قوي!

- إشمعنى؟

- لأن ربنا لما يحب حد، بيسنده لما بيضعف، بيبقى عايزه ليه...

كانت عيناها تلمعان! أ لهذه الدرجة هي متأثرة به؟؟ طمأنها بشأن صديقه وبشأن "حمزة" على أن يكون على اتصال معها، شكرته من قلبها واتجهت لسيارتها، فورما أغلقت عليها بابها حتى اجهشت في بكاء شديد، كل الناس بدأت تعمل، إلا هي! لا زالت في انتظار لفتة من حبيبها، عسى الله أن يطمئنها عليه...

facebook.com/the.Boooks

(١٢)

لا يعلم أحد سره، ولا يدرك أحد مداه، ظل متوجعًا، يخفي بأحشائه الألم، لا يدري أنها تزأر في الخفاء، تُسائل القدر، أي مصير؟

لحكمة عظيمة انقطع الوصال، والقلق يفترس النفس والأوصال، من يقدر على حسم الأمر.. أو يقوى على تحريك الجمر، الخواء يزداد، والعسرة قاتلة! ولا من مجيب.

هو حقًّا لا يعلم! هي تبحث عنه في كل شبر، في كل أحد تراه، في كل رجل ترجوه أن يكون هو، لكنه سواه!

في كل ليلة تمر، لا يقوى هو على حديث أو حراك، تنهكه ذكراها وما فات، تساءل متثاقلًا تعبًا، عما ستختار، دون أن يحيق بها ظلما من هذا الاختيار، أم علَّه يظلمها ، وعلَّه يشتهي فاكهة مُنعت عنه دون إرادته!!

أظالمها هو أم نفسه التي يظلمها؟ كلا، سيقوم، سيتحرك، سيكسر نصف الظلام، ويتحدى حكم الشيطان، ويتحدى نفسه، ويتحدى خوفه، ويهرع إليها مسرعًا، طالبًا سماع الأحكام.

أجل قام، ترك فراشه واختبر حركته، رأى أمه القريبة، الغرقى في نصف نوم مهترئ، تقوم قلقة لقيامه وتسائله، بثبات الجبل يجيبها "هوا نضيف، هاموت

facebook.com/the.Boooks

وأشم هوا نضيف"، تعصف بها العواصف، تسأله، ترجوه، لكنه يصر مبتعدًا، يذهب لحديقة الأزهر، يبتلع هواءها ابتلاعًا، ويدخل في خوائها دخولًا عميقًا، يلمحه اللامحون مدققون! لا يعبأ، يتحرك، يتعب، يجلس، يكز من ألم قدمه، ينظر للسماء، يحتضنها بعينه الواحدة، يمسك بمحموله المغلق منذ أيام، رغم فخره بما حققه، تكسره الظنون بفقدها وتثقل كاهله الغض! يمسح عنه التراب، يفتحه، يراسلها بكلمات قليلات: أعتذر أيتها الحبيبة، أصابت الطلقات قدمي فأقعدتني، لكني أيضًا بعيني مصاب.. ولا أدري إن كان من العدل أو من الصواب، أن أُغرقك معي في نصف ظلامي، أمام الله أُحلك من أي عهد ووعد! وأحل لنفسي حرمانك، ووصمتي لا تؤذيني بل بها اعتزازي كله، لكنها لك وصمة لا أعلم كنهها، ولا أقدر على رؤية رفضها، من أهلك أولًا، ومن الحياة وصعابها ثانيًا. اعذري غيابي عليك، اعذري تأخري وتخوفي، اعذري علتي وآلامي، قهرتُها فقط لأخبرك. وها قد بلغت. اللهم فاشهد.

حينما تفتحت عيناها النائمة على صوت رسالة، تلكأت الحركة، فلا جديد يشدها أو يرضيها، لكن حينما لمحت اسمه الحبيب، اندفع الدم في الوريد، وأصبح بصرها حديدًا، من فرط اللهفة، سرت الرجفة، وضاع النفس!

"حمزة"! نور عيني، ها أنت ذا! حمدًا لله، فتحت رسالته الطويلة، قرأتها

facebook.com/the.Boooks

والدموع تنساب فوق الخدود، والقلب تعتصره الصدمة! مما تبعثر كيانها؟ من فقده عينه الجميلة الجذابة؟ من لوعتها عليه؟ أم من حلِّه إياها أي وعود.. وكأن ما بينهما مجرد وعد! حاولت أن تطلبه، لكنها تعرفه، أغلق هاتفه ليحول دون الاتصال، لأنه يعني كلماته! أغمضت عينيها بقوة تصفي مياه الملح وجراح روحها معًا، كتبت له بأصابع ترتعش..

عينك الحبيبة حينما تصفت، كانت من أجلي ومن أجل غيري، جلبت لنا الحرية! أراني أمشي بجوارك مرفوعة الرأس، والكل يعلم أنك بطلي، أنت بطلهم أجمعين، لكنني سرقتك منهم فأنت بطلي، ما عين بجانب قلب صبور حبيب ونفس مُثابرة أبيَّة، وروح نقية حبيبة، أبقاها الله لي كي لا أموت وحدي كمدًا؟؟ أحبك يا حمزة! أنتظرك يا حمزة! لا تتأخر عني يا حمزة فتضنيني ببعدك مثلما تركت قلقي يضنيني عليك! أما عن الوعد، فهل بين الروح والجسد أي وعود؟ إن فاضت هذه، دُفن ذاك."

كان "مهدي" يفكر كيف يعتذر لهَيبت من جديد؟ منذ أن ظهر "حمزة" ولقاءاتهما لا تنقطع بسبب المشروع! يكفي ما توقفه! ويكفي ما سيجده من عقبات توقفه أثناء التنفيذ! الشاب مجتهد في الحقيقة! ورغم إصابته الصعبة فهو يعمل على تحقيق المشروع أكثر منه! اليوم فاجأته "شيرين" بحضور

facebook.com/the.Boooks

أبويها لزيارتهم! ماذا أقول لك يا "هَيبت"؟ ها هي ترن له! تتحقق من الميعاد، أجابها يزفر، لكنها فاجأته بطلبها تأجيل ميعادهما...

- الحزب عامل ندوة مهمة لازم أحضرها!

تهلل قلبه أنها هي السبب هذه المرة، تظاهر أنه يقدر ظروفها "خدي بالك من نفسك ومن الأولاد!" وأغلق الخط مرتاحًا، في المساء انفردت به حماته، تشكوه "هدير" وهذا الشاب الذي تنتظر تخرجه كي يتقدم لها وما حدث لعينه، فوجئت المرأة تمامًا من رأي "مهدي"...

- ده فخر ليها ولينا ولمصر كلها! مادام عنده عين بيشوف بيها يبقى الحمد لله! فكري كويس يا طنط، ده شاب ممتاز ومستقبله ممتاز، وأنا أضمنهولك.

سكتت المرأة متأزمة، نصف مقتنعة، ثم تنهدت تخبره عما سيخبران به والدها! فهو يعلم أن والد "هدير" لا يميل كثيرًا لشباب الثورة!

- الكلام ده سابق لأوانه، خليها حضرتك على الله!

التقت "هَيبت" بمهدي كي يتشاوروا بشأن استفتاء التعديلات الدستورية، شرحت له وجهة نظر الحزب في اختيار"لا" كي تُعطى الثورة حقها في كتابة دستور جديد يليق بما بعد الثورة، كان قلقًا بداية من التفكير فيما ستؤول إليه

facebook.com/the.Boooks

البلاد ومن سيكتب هذا الدستور الجديد، لكنه اقتنع بكلماتها عن دستور كان لنظام فاسد قامت الثورة عليه فيجب أن يُجبَّ من الأساس! وزادته "هدير" اقتناعًا حينما قالت له:

- هاتبقى مفارقة مضحكة قوي لما شباب الثورة اللي حققوا الثورة أصلًا ما يكونلهمش مكان في خريطة مصر بعد الثورة!

لكن النتائج التي اختارت "نعم" جاءت مُخيبة لآمالهم، وبعد الفرحة العارمة بالوقوف في اللجان وتذوق طعم الاختيار، تحول كل ذلك للنقيد! هاتفته "هَيبت" غاضبة حانقة:

- يعني إيه يضحكوا على الناس الغلابة في المساجد ويقولوا لهم إن اختيار "لا" حرام!!

- إهدي يا هَيبت! صحيح حصل تجاوزات لكن انت عارفة ان الشعب المصري بيميل للاستقرار بطبعه! المهم إننا نقبل بالنتيجة بروح رياضية.

- لا يا مهدي! دي كده نتيجة مش نزيهة! أنا لازم أتناقش مع الحزب في موضوع الناس الغلبانين دول، مش معقول نسيبهم كورة في رجل الإخوان والإسلاميين والناس دي! لازم كأحزاب يبقالنا دور في التوعية! على رأي جلال أمين... ده عصر صغار الناس!

facebook.com/the.Boooks

- لو انت فاكرة ان الغلبانين بس هم اللي اختاروا (نعم) تبقي غلطانة!

- ممكن، بس دول اللي تقِّلوا الكفة!، البركة في الجماعة!

- مش كل الناس اللي جوا الجماعات دي وحشة، منهم الصالح ومنهم الطالح.

- لأ معلش! مادام أنا قائد جماعة وبسمح بانضمام ناس ليَّه يبقى أراقب تصرفاتهم ويكون في فإيدي Control عليهم لأنهم محسوبين عليه! ولا هو عدد وخلاص!

- أنا عارف ان دي هاتفضل نقطة خلاف صعب نتقابل فيها، على العموم موضوع الحزب ده ممتاز، روقي كده وشوفي النقط اللي هاتعرضيها عليهم إيه.

وبينما هي تكتب العريضة التي تشرح فيها ما يحتاجون لمناقشته من وجهة نظرها، وما يحتاجون لأخذ رد فعل تجاهه، هاتفها "مصطفى"، العمل في المشروع مستمر، حتى في هذه الظروف الحالكة! هي تتوق لتحقيق أي شيء... أي شيء! تتوق لترى هدفًا يتحقق وسط هذا الجو الجاف من كل أمل، ولو بشكل جزئي، ووالدها يطاوعها، غاية مناه ألا تذبل وردته، كانت "قسمت" قد عرضت عليهم أكثر من مرة أن يقوموا بتصفية كل شيء وأن يأتوا إلى كندا! بموقفهم المالي والعملي هذا هم مؤهلون للحصول على فيزا لمدة ثلاث سنوات،

facebook.com/the.Boooks

لم تفهم "قسمت" بعد أن "هَيبت" تفضل الموت في أرض مصر على أن تهرب منها مع الهاربين!

لكن المفاجأة أن "مصطفى" لم يكن يتحدث عن العمل! منذ لقاء الثورة وهي لا تهاتفه سوى على أضيق الحدود، ومن فرط جُبنه –كما ترى- لم يعترض أو يحاول سؤالها عن تغير معاملتها معه! أو ربما رب الأسرة تغيرت أحواله! قال:

- أنا كنت عاوز أطلب منك طلب شخصي، وخايف تكسفيني!

- اتفضل!

- عقيقة ابني الأسبوع الجي، ونفسي تجيبي الولاد وتيجي.

سكتت، تنهدت، باركت له دون أن تجيب على طلبه، سألته عما سيسميانه كنوع من كسر الجليد، سألها:

- هاشوفك؟

جديدة جرأته! أجابت - مش عارفة!

قال بصوت دافئ - أنا بترجاكي تيجي!

سكتت مندهشة، لم هذا الإصرار؟ أهو يصالحها؟ أجابته بغموض أنها سترى ظروفها وخلافه، سمعت تنهده الحزين، قال دون تردد:

- هَيبت، من ساعة آخر مرة شفتك فيها، وأنا مابنامش تقريبًا! انت ظلمتيني،

facebook.com/the.Boooks

بجد ظلم جامد!

- إيه لزمته الكلام ده دلوقتي يا مصطفى؟

- دلوقتي وكل وقت! يعز عليه جدًّا إن إنسانة ليها مكانتك عندي تفضل واخده عني صورة مش كويسة!

هل ظلمته حقًّا؟ لكنه شخص محترم، بالتأكيد هو كذلك، تنهدت بدورها، أخيرًا انقلبت الآية ويتحدث هو وتصمت هي! قالت فجأة - قللي يا مصطفى، انت اخترت (نعم) ولا (لا)؟

- اخترت نعم، أنا بثق في رأي الإخوان جدًّا، ناس عاقلين ومنظمين ومناضلين من سنين، وجه الوقت اللي لازم يبتدوا ياخدوا فيه حقهم!

- هو انت منهم ولا إيه يا مصطفي؟

- مش لازم أكون إخواني، ناس كتير مش منضمة ليهم لكن بتأيدهم وبتثق فيهم، ناس يمكن أكتر من الإخوان نفسهم!

- إمم.. وبالنسبة لشباب الثورة؟ حقهم فين؟

- على راسنا من فوق، بس هم عملوا اللي عليهم وقاموا بثورة، يسيبوا الكبار يشتغلوا بقى! وبعدين مه لولا الإخوان ماكانتش الثورة نجحت! لولا نزولهم يوم الجمال ولولا تدريبهم وتفكيرهم كان كل شيء خلص ساعتها!

facebook.com/the.Boooks

- ازاي تقول كده؟؟ !How dare you

- هَيبت انت عارفة كام من شباب الإخوان استُشهد في أحداث الثورة؟ بالذات موقعة الجمل؟؟

- ما الإخوان موجودين في الدنيا بقالهم ميت سنة! عمرهم ما عرفوا يثوروا ليه؟ عمرهم ما عرفوا يقفوا قدام النظام ليه؟

- هاتغضبي تاني؟ - كان صوته مستعطفًا فهدأها – أرجوكي بلاش كلام في السياسة! لما نتناقش في السياسة بتزعلي مني، وأنا ماقدرش على كده! أرجوكي...

هدأت بالفعل، نجح في أن يُسكتها وجيد أنه فعل! فقد منعها من أن تخبره أنه سلبي من جديد، يؤيد الإخوان لكن من بعيد! لن ينضم لهم ويتحمل مسؤولية ذلك ويُثقل كاهله بمهام وواجبات، هو آسف! لكنها يجب أن تتعلم كيف تتحاور مع من يختلف معها دون عصبية فعلًا.. إن استطاعت! قال:

- ممكن تنسي الاستفتاء ده وتيجي، عاوزين نرجع زي زمان، أنا وعدتك قبل كده ان علاقتنا عمرها ما هاتتلمس! وانا عند وعدي.. حتى لو انت اللي كنت عاوزه تنهيها!

تأثرت كثيرًا! هل آلمته إلى هذا الحد؟ قالت:

facebook.com/the.Boooks

- ما أقصدش يا مصطفى ..Look..am sorry! أنا مش عاوزة أفرط في الصداقة دي، أنا فعلًا بعتز بيها.. بس عاوزاك تفهم ان فيه لحظات.. بتحدد مصير الشعوب! ما ينفعش أبدًا نجازف ونتصرف أي تصرف وخلاص! We have to study our steps very well

- الاختلاف في الرأي، مش المفروض يفسد للود قضية يا هَيبت!

- في الأحوال العادية، لكن in a certain Circumstances ممكن ينسفها نسف!

- الإخوان مش وحشين زي ما انت فاهمة! الإعلام ليه دور قوي جدًّا في توصيل الصورة دي عنهم للناس، لإنهم كيان قوي فعلًا، ومُفكر فعلًا، لكن لو قربتي شوية هاتعجبك حجات كتير، فهمهم للسياسة والاقتصاد، خطتهم لإنقاذ البلد والنهوض بيها، شيء فعلًا يبهر!

- واضح انك مقتنع قوي!

- هاتيجي؟

- هاجي يا مصطفى، هاجي...

على الوجه الآخر كان "وائل" في زيارة لخالته كي يكيد ابنها البطل، الثوري، صاحب العاهة الذي لا يهدأ! كم يغيظه هذا الفتى رغم أنه العليل! كم يتمنى لو

facebook.com/the.Booooks

تفشل تلك الثورة التي لم يكن له أي با ع فيها!! كم يتمنى لو تعود الأجواء المتعفنة لتسود من جديد!! فلم يقض طيلة عمره كي يتعلم كيف يتعفن، ثم تضج الحياة فجأة بالنقاء من حوله!!!

- شفت يا سيدي؟ الشعب اختار نعم! وحط كل الثوار في صفيحة الزبالة!

قالت خالته - اللفظ سعد يا وائل!

وائل: آسف يا طنت بس ده اللي حصل! أنا نفسي بس تعترفوا ان قبل ما نضحي بالغالي، نضحي علشان ناس تستاهل، مش ناس بتتقاد زي العبيد! وسايبين نفسهم لأي حد يقلهم حرام وحلال!! – ضحك – ناس حمير، نقلهم نظام فاسد يقولولنا هانظبط دستوره، لإنهم بيحبوا النظام على فكرة! قال ثورة قال، بتتكلم في إيه يا راجل!

خالته: لازم تفهم إن التضحية دي كانت عشان البلد، واللي شايف البلد ماتستهلش.. ما يستاهلش يعيش فيها!

تجاهل جديتها وأجاب مستهزئًا - يا ريت والله انت بتقولي فيها! ده ناس كتير هجت بعد الثورة مش زي مانتم فاهمين! مه لو أخويا ده بني آدم، كنت رحتله وشفتلي حتة هناك أنا كمان واتجوزتها وخدت الجنسية!

أجابه "حمزة" الذي بادله نظرة ثاقبة بعينه الوحيدة القوية...

facebook.com/the.Boooks

- عارف يا وا ئل.. انت صعبان عليه قوي!

- أنا برده؟ مايصعبش عليك غالي يا حبيبي، ليه بقى يا بطل؟

- أصلك هاتتحاسب حساب عسير، ومانتاش عارف ولا حاسس!

ارتبكت معدته من جديته، لكنه تماسك وأكمل استهزاءه قائلًا:

- إيه يا معلم، انت انضميت لجماعة الجهاد والتكفير ولا إيه؟؟

- لا أنا بتكلم بجد قوي يا وائل! فكرك الناس العبيد اللي مايستهلوش في نظرك دول، ثقافتهم إيه؟ معرفتهم إيه؟

- صفر! جهلة بعيد عنك، وكل شعبك على ده الحال!

- بالظبط كده! وفكرك الجهلة دول، مين بيحركهم؟ - انتظر جوابه برهة – عارف مين بيحركهم؟ إنت واللي زيك.

تعكر ما بين حاجبي وائل، وقال أخيرًا بجدية - تقصد إيه؟

- أقصد إن معظم الشعب الغلبان ده، في إيد الإعلام! هم لا بيدخلوا على Google، ولا بيقروا، ولا لاقيين وقت يتعلموا من الأساس، إنما يوميًّا قدام التلفزيون! وكل يوم لازم يشوفوا جرايد، الثوار دول مخربين ولاد كلب!.. يبقوا ولاد كلب، الجيش كان ممكن يعمل فينا زي سوريا، يبقى الحمد لله على قد كده – اقترب إليه – ولما الإعلام يقول ان مصر هاتنهار ومافيش وقت لدستور

facebook.com/the.Boooks

جديد ويلا نرقع الدستور.. يبقى نعم لترقيع الدستور!! ولو كان فيه أمانة وشرف في التنوير وتوصيل الحقيقة.. ماكانش زمانهم عبيد زي مانت بتقول!

- يابني كفاية عبط! – ثار – العبودية دي ورث متأصل في المصريين من أيام الفراعنة! أيام ما اتسخروا بالآلاف عشان يبنوا الأهرامات! إصحى!

- إتكلم عن نفسك – بهدوء – أنا حر بكل نقطة في دمي – أشار لعينه الفقيدة – ودي أكبر دليل...

ها هو يذهب شامتًا ويأتي كارها لنفسه ولكل الدنيا من حوله! منذ أن تركته "سلمى" والدنيا تتوحل به أكثر فأكثر.. وها هو "حمزة"، بدلًا من أن يحمل أذيال الخيبة بعاهته تلك، ها هو يُدخله النار وهو واقف!! ويشير لها بالبنان فخورًا! ألا يمل؟ ألا يكل؟! لابد أن يأتي يوم ويتعلم مثله أن أحلامه تلك ليست سوى تراهات! لابد أن يتعلم كيف يتعفن! لابد أن تدور الدوائر، ويعود فيسمع كلامه ويثق في تشاؤمه!... لابد!!

هو لا يعلم أن "حمزة" ليس ابدا ولن يكون هذا الشخص! مهما جرى! فما الذي يمكن أن يحدث له أكثر مما حدث ويحدث؟ يظل يُحدث "هدير" تعبا منهكا ويشكو لها، فهو يرى من حوله النظام السابق مازال قائما بكل تفاصيله، مستفحل في كل الثنايا كالأخطبوط ذي الأذرع الكثيرة، عميت

facebook.com/the.Boooks

عيناه، لكن الأذرع لا تزال في حركة مستمرة، تغوص بسوادها القذر، فتوحل الأماني الغضة، وتهرس الأنفس القلقة، وتزداد طمعا في إعادة الروح وإحياء ما كان، تحاول "هدير" أن تثبته, تذكره أن الله معهم لكنه يذكر، بل تضعف هي أحيانا فيُذكرها هو..

يظل يستمع وهي من جديد إلى أعظم ألبوم في القرن, "إنسان", لصديقه الروحي "حمزة نمرة"....

إرفع راسك انت مصري..انت واحد مللي نزلوا في الميدان

وترتفع معنوياته إلى السماء السابعة..حينما يسمع "حاصر حصارك"!...

طول مانت فيك النبض حيّ... أكيد نهارك بكرة جي!

facebook.com/the.Boooks

(١٣)

تمر الأيام صعبة على مصر، تحتشد الأحداث احتشادًا! وتقترب انتخابات مجلس الشعب! رغم القلوب العليمة الوجلة بما يجري حولهم من تأخير المحاكمات التي كان لابد من تقديمها! وما يعني ذلك من احتمال تواطؤ!! واستمرار المحاكمات العسكرية لمدنيين، وعدم ظهور ولو بصيص من النور لتحقيق مطلب واحد حتى من مطالب الثورة! رغم كل ذلك يُقبل الكل على المشاركة في هذه الانتخابات، فسيصبح لدى مصر على الأقل هيئة مُختارة من الشعب ولها شرعية! حاولت "هدير" أن تُقنع "مهدي" و"شيرين" باختيار شباب الثورة...

- أيوه بس دول صغيرين فعلًا في السن! والسياسة برده عايزه حنكة!

- يا أبيه مش كل وظيفة مجلس الشعب هي التشريع، في كمان المراقبة والمحاسبة، فيه توصيل المشكلات وعرض الحلول! ده غير ان كل أملنا يحصلوا على كام مقعد ويكون ليهم وجود مش أكتر!

عقل كلماتها واقتنع، وطبعًا تقول "شيرين" السمع والطاعة! حادث بدوره "هَيبت" والتقيا كي يناقشها في الأمر، كان من مرشحي حزبها شبابٌ لكن ليس في دائرتها، ومع هذا أعجبها المنطق، مع تقديسها الشديد لهؤلاء الشباب، وافقت على الفور، حدثته عن أخبارها، سامح يأتي بشكل دوري من

facebook.com/the.Boooks

أجل الأولاد، ويحاول أن يستميلها أحيانًا! قال دون تفكير "طب وانت حاسة بإيه؟"، لكنها أجابته دون تفكير أيضًا

ودون عتاب "مش عارفة أصفى!"

رأت أنها كان يجب أن تقول ذلك! لم تخبره كم أن "سامح" تغير! لم تخبره كيف يسألها في كل مرة عن تطورات الحزب، وكيف يشجعها لمبادراتها!! وكيف يلمح لها أنها تؤثر عليه حتى أنه يناقش تلك الأفكار مع طلابه بين الحين والحين! لم تخبره كيف يحكي لها عن الطالب المجتهد الذي سيشرف هو على رسالة الدكتوراه خاصته، وعن طلبة البكالوريوس الذين يعملون على مشروع تخرجهم تحت إشرافه أيضًا، وكيف يلح على ذكر انشغاله مع كل ذلك، وكأنه يأكد لها أنه تاب عما كان منه! عجيب!.. أحقًا لا يدرك الإنسان قيمة الشيء إلا بعد أن يفقده؟؟

بعد ظهور نتيجة الانتخابات، جاء "هَيبت" حالة من الفزع! راح "مهدي" يحاول أن يلم هياجها دون جدوى...

- لا يا مهدي! أنا بجد مش مصدقة! معقول للدرجة دي الإخوان مسيطرين على عقول الشعب المصري؟ وإيه السلفيين دول كمان؟ من إمته ليهم في السياسة؟؟ ويعني إيه يحطوا مكان صورة الست فاز؟؟؟ Am shocked!

facebook.com/the.Boooks

- أنا عمري ما شفتك كده! حصل إيه؟

- حصل إن بلدي الي بحبها وبعبدها ممكن مايكونش فيها مكان ليه فجأة! حصل إن مصر العظيمة ممكن تتحول السعودية ولا إيران!

- ماتقوليش كده! مصر بتاعتنا ومش هانسيبها لحد! مش تاني؟! إهدي أرجوكي، كل دي مبالغات، البركة في الإعلام المصري! انت عارفة ليه التيار الشيعي ما قدرش يعمل حاجة في مصر طول القرون اللي فاتت دي؟ لإن الشعب المصري شعب بسيط

ووسطي، ومايحبش الانحراف! صدقيني.

- يعني إيه؟

- يعني مصر هاتفضل مصر، ولا يمكن تبقى السعودية زي مانت فاكرة، وتأكدي إن اللي مساعد السعودية على حاجة زي دي إن ده إيمان وفكر رؤوس الأموال عندهم، أما عندنا، فانت عارفة كويس رأس المال شكله إيه.

- مش كلهم! دلوقتي بقى عادي خالص تلاقي عربية شيك وجواها واحدة منتقبة ولا واحد بدقن!

- مش عيب! هَيبت.. ماتخليش خوفك يعميكي، احنا بنقول عاوزين ديمقراطية حقيقية، ماحدش يجور على حرية حد!

- إحنا عمرنا ما هانجور، لكن هم عاوزين كل العالم زيهم!

facebook.com/the.Boooks

- إحنا إيه وهم إيه؟؟ كلنا الشعب المصري! وفي النهاية لو فعلًا جاروا إحنا رحنا فين؟ وشباب الثورة راح فين؟ خلاص! المصريين اتحرروا من عقدة الخوف يا هَيبت!

كم يطمئنها! كم تتحول من نار إلى بَرَد بعد أن تبثه شكواها، لقد فكرت طويلًا في أمرهما.. صحيح لم يكن تفكيرها هذا في المقام الأول، لكن ما بين أطفالها وعملها والحزب، ومصر، تفكر فيه.. تتذكر اللحظات التي استرقتها من الزمن بقربه، لكنها تمر بخاطرها كذكرى حلوة، وليس كرغبة! هي تخشى كل الخشية من أن تفاتحه في أمرهما فيصلان لطريق مسدود يتعين عليه تركها فيه! قالت له مرة عفوًا:

- نفسي تشوف ولادي!

تنهد، صمت دهرًا، قال لها - طب ما إحنا فيها.. مهِّديلهم إن ليهم خال، وأولاد خال، واحنا نيجي نزوركم.

صُعقت لدى رده! ابتسمت رغمًا عنها - بجد يا مهدي؟

- بجد.. مبسوطة؟

ترددت، تلعثمت، أشفقت عليه، قالت بحذر - وانت؟؟

- أنا سعيد.. سعيد قوي يا هَيبت.. سعيد بيكي، ومش عاوز أفقدك، ومش

facebook.com/the.Boooks

عاوز أبقى أناني..

- أيوه يا مهدي، المهم يفضل بيننا العطاء النادر ده.. أنا مش عارفة أشكرك ازاي؟ -تنهدت بفرح - أكلم الولاد بقى؟ هاتجولنا إمته؟

ضحك منها - اديني فرصة أمهد أنا كمان طيب؟

طارت "هَيبت" فرحة، لم تفكر في ترجمة مشاعرها التي تبدلت! ربما كان احتياجًا له فورة! ولم يفكر "مهدي" بالمثل في تفسير لما حدث معه! في الأيام الفائتات لم يجد في حياته مكانًا لحب جديد، لكن وجد مكانًا لأشياء أخرى كثيرة!

مر عام على الثورة ولا زالت مصر دون رئيس! كان "حمزة" متخوفًا ألا يجد الملايين وقد نزلت في ذكرى إحياء الثورة! كان قلبه الوجل يحدثه بما حدث في العام الماضي من تجاهل لمطالب الثورة، ثم من انقشاع مظاهر الثورة نفسها! فقد أصبح الفلول يعترفون بكونهم فلول! وأصبح صغار الناس يكرهون الثوار ويسمونهم مخربين! وأصبحت الشرطة تمعن في الاختفاء وإقلاق الشعب! حتى بعد قيام (حكومة الجنزوري) لا زال الناس يتعرضون للسرقة بالإكراه، ولا زالت الحقوق تضيع، ولا زالت الاشتباكات بالأسلحة البيضاء والنارية تحدث! ولا زالت الطرق تُقطع! والأخطر في كل ذلك –في نظره – أنه لم يعد هناك تقدير للثوار! لم يعد هناك حملات نظافة بديعة يستجيب لها الناس! أو أحاديث

facebook.com/the.Boooks

تلفازية تشيد بالثورة وما حققته الثورة! لم يعد هناك وحدة! ألف ائتلاف وألف حركة وألف وجه منافق! ولم يعد هناك أعلام مصر!! لولا مشاريع النهضة التي يتحرك بها "عمرو خالد" و"وائل غنيم" وأمثالهما، لاكتأب كمدًا على نور عينه الذي فقد في سبيل الثورة على الظلم! إن "وائل" يبتسم في وجهه باستهزاء كلما واجه عينيه، وائل يُمعن في مضايقته كلما تظاهر أنه يحاول مساعدته في التقاط شيء ما أو الأمساك بشيء ما كأنه العاجز المسكين!! حتى أباه يُضايقه! أباه الذي قال: "شوية عيال ودوا نفسهم في داهية وودونا معاهم وهم مش فاهمين!"، هذا الأب الغريب يُلقي باللوم عليه كلما هبط مؤشر البورصة، وكلما حدث اعتصامًا من عمال مصنع أو من موظفين هيئة! وكأن الثورة هي السبب لا من يحكم!!

لكن بعد كل ذلك، فوجئ "حمزة"! فوجئ بالمصريين الأحرار وقد نزلوا إلى التحرير احتفالًا بذكرى الثورة! فوجئ بسيل منهمر يستمر طوال النهار محملًا بالأعلام والأحلام معًا! لم يمت الشعب بعد! رغم حقد الحاقدين على الثورة وكمد المستفيدين من فشلها، لا يزال الناس على اختلاف أطيافهم وعقلياتهم يدركون معنى الثورة! معنى الظلم ومعنى العدل، معنى العبودية ومعنى الحرية! وهناك.. قابل الكثير ممن يحيِّيه لعينه الفقيدة، ووجد رجلًا عجوزًا دون كلمة ودون سابق معرفة، يمسك بيديه الاثنين رأسه ويقبل تلك العين! فاضت

facebook.com/the.Boooks

عينه الأخرى تأثرًا، كم أن الدموع فوق خد واحد غريبة الطعم! الرجال أحيانًا يبكون!

ينظر بعينه الجميلة إلى صديقه "عمر"، أو الذي كان صديقًا! ينظر له نظرة عتاب.. نظرة تقول كل شيء دون قول.. فلماذا تخليتم عنا بعد أن ساندتمونا؟ لماذا استقللتم وتركتمونا بعد أن تداخل نسيجنا سويًا في نصر بديع ووحدة أبدع؟ لماذا قبلتم الصفقات وأخليتم الميدان؟؟ لكن "عمر" لا يجيب.. "عمر" يرى أن كبارهم يعلمون ما يفعلون! وأن كل شيء يهون في سبيل تحقيق الغاية الكبرى التي تعب من أجلها هؤلاء الكبار

طويلًا! وآن وقت الحصاد! يتألم "حمزة" من جوابه الصامت الصادم! كم أن الفرقة موجعة!!

يتواصل مع "هدير" من حين إلى حين، حاول "مهدي" كثيرًا من أجلهما، لكن يبدو أن والدها يصر على رفضه، لا لشيء لكن لأنه من شباب الثورة! فضحته عينه!! يقول ذلك والدها وهو لا يعلم أن ابنته كانت من شباب الثورة! لم تنزل التحرير سوى في المليونيات لكن تروج للثورة، وتشد من الأزر، وترسل باحتياجاتهم من دواء وكساء عن طريق زوج أختها المقتدر! لا يعلم الوالد أنه برفضه هذا إنما يزيدها إصرارًا! حدثه "مهدي" طويلًا، أخبره أنه لا غنى عن الجيش بالنسبة للثوار الشباب، وأنهم يرون أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة

facebook.com/the.Boooks

لا يعبر عن الجيش بكل حال! أخبره أن ثوار ماسبيرو ومحمد محمود ليسوا أبدًا مخربين ولا بلطجية! لكنه لا يسمع ولا ينسط! تتكاتف معه الوالدة التي تكره علّته! فلم تخلُ الدنيا من الرجال!! تتمنى "هدير" لو تُفهمها، لكنها مثل "شيرين" تمامًا، أنَّى لها والشباب وعقل الشباب وقلب الشباب؟ (يا أمي أجل! تخلو الدنيا من الرجال، فالرجل ليس بذكورته، أرجوكي افهميني!)، لكن كيف تفهمها؟ زوجة لواء جيش يرى كل الثقة في القوات المسلحة والذي كان قائدها الرئيس المخلوع!! يرى أنه من المستحيل أن يكون رجال الجيش –جميعًا- سوى شرفاء أنقياء وفقط! يرى أنهم في وعكة لتحملهم مسؤولية ليست من اختصاصهم! وأنهم أبدًا ليسوا في السلطة طامعين!!

لكن "هدير" لن تيأس! ستنتظر حتى تطفو الثورة فوق ركام المتناقدات حولهم لتُعيد إليهم "حمزة" من جديد، وعدها "مهدي"، ووعدها قبلًا ربها وهي تصدقه!

كتم "حمزة" حزنه العميق، "هدير" مثل مصر!! عشقه الذي لا حدود له، أمله الذي لا منتهى له، وعصيٌّ منالها لأقصى حد! وهو يعمل كادحًا غير مبال كي يصل إلى حضنها آمنًا مطمئنًا!

يشد من أزره "مهدي": "يلا يا بطل! ورانا شغل كتير"، لكن "حمزة" مستعد!

facebook.com/the.Boooks

ذكَّر "هدير" مجددًا.. ليست على وعد معه، أكدت له مجددًا.. سوف تنتظره، ولو لألف عام!

أمام جهازها، راحت تكتب على الفيس بوك، في الـStatus خاصتها:

"سمعنا جميعًا عن قرب انتخابات الرئاسة! البعض يخشى رئيسا من العسكر، والبعض يخشى الإسلاميين، والبعض يخشى اليسار، مهما كان الرئيس!!! لا أحد يخشى، لا شباب الثورة ولا المؤمنين بالثورة، فلا تزال الجموع المصرية متيقظة لها، تُذكر كل من تسول له نفسه، أن يوم التّناد على المحك!

ثم قامت بعمل share لجزء من قصيدة رائعة لشاعر عراقي...

وقد خبروني أن في الشرق وحدة كنائسه تدعو فتبكي الجوامع

وقد خبروني أن للعرب نهضة بشائر قد لاحت لها وطلائع

وقد خبروني أن مصر بعزمها تناضل عن حق لها وتدافع

هبوا أن هذا الشرق كان وديعة " فلابد يوماً أن ترد الودائع "

عشان كده أنا متأكده.. إن الثورة.. هاتفضل مستمرة"

تمت

facebook.com/the.Boooks